For Reference

NOT TO BE TAKEN FROM THIS ROOM.

Arabic Literature

المقامات الحریریۃ

قیمت ۳۵

ac 4723
1782
٣١

المقامات الحريرية

مشتملة على خمسين حكاية

قد طبع مرة ثانية باهتمام اضعف العباد

عبد الله

في المطبع الطبي في بلدة چچرة من محلات بندر هوگلى

وتصحيح المدرس المولوي منصور احمد البردواني من مدرسي المدرسة المحسنيه

والمعاون المولوي جواد علي من معاوني المدرسة الكلكتيه

في سنة ١٢٦١ من الهجرة النبوية عليه وعلى آله السلام والصلوة الزكية

موافقا للسنة ١٨٤٥ المسيحية

Allama Iqbal Library
47238

J. & K. UNIVERSITY LIB
Acc No 47238
Date 5-11-63

ST 01

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انشأ الموجودات بقدرته * وكرّم من بينهم الناس بحسن خلقته * فضّله بفصاحة البيان على جمّ غفير من مخلوقاته * وشرّفه بالغدوات والروحات بمنته وعطيّاته * وبعدُ فلمّا كانت المقاماتُ التي ابتدعها المحقّق الفاضل * المدقّق الكامل * نِحرير العُلَماء * اديب الادباء * الذى تَفوّقَ افاويق البلاغة والبراعة * وفاق في مِضْمار الفصاحة اصحابَ اليراعة * لا يُماثِله ضديد * وماسُمِع له نديد * ابو محمّد القاسمُ بن علّيّ بن محمد بن عثمان الحريرى البصرىّ برّد الله مَضجَعه * وطيّب مُهْجه ومَهْجَعه * اكثرَ فائدةً فى العلوم الادبية * واوفر عائدة في انشاء الحكايات العربيّة * وقد تلقّاها بالقبول لدرس الطُلّاب الّذين جُبِلوا على اكتساب الفضائل * ورُزقوا طبائعَ راغبة عن الرذائل * مَنْ هو مركزُ دائرة الفضل وحميد الخصائل * قُطبُ فَلَك الفواضل وجميل الشّمائل * رافع الوية فنون العلوم فى الآفاق * مُبَشّرا رباب تلك السِلَع بنفاق الاَسواقِ *

نظم

* في قلبه مِقياسُ نورٍ أيّما مقياس * بَدْرُ ضياءٍ وجهه مُغْنٍ من النِّبراس *

قد فاز بالقِدْح المعلّى في محاسن الشِّيَم بذهنه النقّاد * ووصل الى الدرجة العليا من المَعارف بطَبْعه الوقّاد * الصاحب الجلي الشان على الاقران ميتهولمسدن المدرس المعروف بين الاعيان والاركان * دامت دولته مادامت الرِّياحُ تَهُزُّ الأفنان * وتهتزُّ الأغصان على شجر البيان * وصارت لكَرِّ الازمنة والدُّهور * ومَرِّ القبول والدَّبور * قد ضاعت في ايدي الناس * ووقع في نُسَخها الاختلاف والالتباس * حتى صعُب فهم المراد على الطُلّاب غاية الاستصعاب * فاراد الصاحب الرفيع المكان طَبْع الكتاب المسطور * وأمران يُجْتهَد في تصحيحه بالجهد الموفور * ويُكْتَب في اوله نَبْذ من احوال المصنِّف والمصنَّف * ويُملأ في آخره ما أُدرِك من استعارات المؤلِّف في المؤلَّف * ليَسْهُل عن الطالبين فهمُ مُعْضلاته * ولا يحتاجُون كثيرا في استكشاف مُغْلَقاته * فاستجمع سبعةُ أسفار * مقروَّة على الأَحبار * واُوثر من عباراتها عند لبس الاساس * ما كان في كثير منها وقُرب من القياس * فصُحِّحَتْ الفاظها من اغلاط النَسْخ والسهو * وطُبِعَت حتى صارت كالشمس في الضَّحْو * وقد ذُكر في حالاته * أنّه كان من رُؤساء بَلْدته * بارعا في العلوم كلها * سيَّما في التصريف والنحو والحديث واللُغة بكثرها وقُلّها * عاش سَبْعين سَنة من السِنين القمريَّة * وتُوفّي سنة خمسمائة وستة عشر من الهجْرة النَّبويّة * وانتسابه بالحرير قيل لتجارتها * وقيل الحريرُ قرية ولد فيها * فنسب اليها * وبالبَصْرة لانه اقام بها * وذكر ابن الجَوْزيّ انه عرض المقامة الحرامية على الوزير انوشيروان وزير المسترشد بالله فاستحسَنها * وأمره ان يُضيف

اليها ما شاكلها * فاتمها خمسين * وقيل عمل اربعين مقامة وحملها الى بغداد من البصرة * وعرضها على جلال الدين عبد الدولة فاتهمه * من يحسده * فقال الوزير ان كان صادقا * فليصنع مقامة اخرى * فقال نعم وانفرد بناحية من الايوان ومكث زمانا كثيرا * فلم يفتح الله سبحانه عليه شيأ يسيرا * فقام وهو خجلان * وفي ايدى الناس ندمان * وعاد الى البصرة * واملأ عشر مقامات اخرى * وارسلهن الى الوزير * واعتذر من عيه في الديوان * وما لحقه من المهانة بين الاعيان * فبان فضله على الانام * وقد نجا من الاتهام * واعتنى بمقاماته الادباء * واقتدى باستعاراته الخطباء * وقد اكب على تعاورها الشيخة والشبان * واخذوها مقبولة من بين الدفاتر والديوان * وشرحوا لها شروحا قد زادت على الخمسين * واستكشفوا عن خبايا ها بالافانين * ولله در الزمخشري حيث قال في توصيفها * وقد اصاب في تعريفها *

نظم

* اُقسِمُ بالله وآياتـه * ومَشْعَرِ الحجِّ وميقاتـه *

* ان الحريرى حريٌّ بان * تَكْتُبَ بالتِبْرِ مقاماتـه *

هذا ما وصل من خبره * ونظم من نثره *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال الشيخ الاجلّ الاوحد ابو محمدٍ القاسم بن عليّ بن محمّد بن عثمان الحريريّ البصريّ
برّد الله مضجعه * اللهمّ انّا نحمدك على ما علّمت من البيان * والهمت من التبيان * كما
نحمدك على ما اسبغت من العطاء * واسبلت من الغطاء * ونعوذ بك من شرّة اللّسن *
وفضول الهذر * كما نعوذ بك من معرّة اللّكن * وفضوح الحصر * ونستكفي بك الافتتان
باطراء المادح * واغضاء المسامح * كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح * وهتك الفاضح *
ونستغفرك من سوق الشّهوات * الى سوق الشّبهات * كما نستغفرك من نقل الخطوات *
الى خطط الخطيّات * ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرّشد * وقلبا متقلّبا مع الحقّ * ولسانا
متحلّيا بالصدق * ونطقا مؤيّدا بالحجّة * واصابة ذائدة عن الزّيغ * وعزيمة قاهرة هوى النّفس *
وبصيرة ندرك بها عرفان القدر * وان تسعدنا بالهداية الى الدّراية * وتعضدنا بالاعانة
على الابانة * وتعصمنا من الغواية في الرّواية * وتصرفنا عن السّفاهة في الفكاهة * حتّى نأمن
حصائد الالسنة * ونكفى غوائل الزّخرفة * فلا نرد مورد مأثمة * ولا نقف موقف مندمة *

ولا نُرْهَق بتَبِعَةٍ ولا مَعْتَبةٍ * ولا نلجأ الى مَعْذِرةٍ عن بادرةٍ * اَللّٰهُمَّ فحقِّق لنا هٰذِهِ المُنْيةُ * وَاَنِلْنا هٰذِهِ البُغْيةِ * ولا تُفْضِحنا عن ظِلِّكَ السّابِغ * ولا تجعلنا مُضْغةً لِلْماضِغ * فقد مَدَدْنا اليك يدَ المَسئلة * وبَخَعنا لك بالاستكانة والمَسْكَنة * واستنزلنا كرمَكَ الجَمّ * ومَنَّكَ الّذي عَمَّ * بضراعةِ الطَّلَب وبضاعةِ الأمَل * ثُمَّ بالتّوسُّلِ بمحمّدٍ سيّدِ البَشَر * وَالشَّفيعِ المُشفَّعِ في المَحْشَرِ * الّذي خَتمتَ به النَّبيّين * واَعليتَ دَرَجَتَه في عِلِّيّين * ووصفتَه في كتابِكَ المُبين * فقلتَ وانتَ اصدقُ القائلين * وما ارسلناكَ الّا رحمةً للعالَمين * اللّٰهُمَّ فصلِّ عليه وعلى آلِهِ الهادين * واصحابِهِ الّذين شادُوا الدِّين * واجعلنا لهديه وهديهم مُتَّبعين * وانفعنا بمحبّتِه ومحبّتِهم اجمعين * انّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ * وبالإجابةِ جديرٌ * وبعدُ فانّه قد جرى ببعضِ أنْدِيَةِ الأَدَبِ الّذي رَكَدَتْ في هذا العصرِ رِيحُهُ * وخَبَتْ مَصابيحُه * ذِكْرُ المقاماتِ الّتي ابتدعها بديعُ الزّمان * وعلّامةُ هَمَدان * رحمه الله وعزاها الى ابي الفتحِ الإسكندريّ نَشْأتَها * والى عيسى بنِ هِشامٍ رِوايتَها * وكلاهما مجهولٌ لا يُعرف * ونكرةٌ لا تتعرّف * فاشارَ مَن اشارتُه حُكْمٌ * وطاعتُه غُنْمٌ * الى ان أُنشئَ مقاماتٍ أتلو فيها تِلوَ البديع * وان لم يُدرِكِ الظّالِعُ شأوَ الضّليع * فذاكرتُه بما قيل فيمن ألّف بين كلمتين * ونظم بيتًا او بيتين * واستقلتُ من هذا المقامِ الّذي فيه يحارُ الفهمُ * ويَفْرُطُ الوهمُ * ويُسْبَرُ به غَوْرُ العقلِ * وتتبيّنُ فيه قيمةُ المرءِ * ويُضطرُّ صاحبُه الى ان يكونَ كحاطبِ ليلٍ * او جالبِ رَجْلٍ وخَيْلٍ * وقلّما سَلِمَ مِكثارٌ * او أُقيلَ له عِثارٌ * فلمّا لم يُسْعِف بالإقالة * ولا اَعفى عن المقالة * لبّيتُ دعوتَه تلبيةَ المُطيع * وبذلتُ في مطاوعته

جُهْدَ المُسْتَطِيعِ * وَأَنْشَأْتُ عَلَى مَا أُعَانِيهِ مِنْ قَرِيحَةٍ جَامِدَةٍ * وَفِطْنَةٍ خَامِدَةٍ * وَرَوِيَّةٍ نَاضِبَةٍ * وَهُمُومٍ نَاصِبَةٍ * خَمْسِينَ مَقَامَةً تَحْتَوِي عَلَى جِدِّ القَوْلِ وَهَزْلِهِ * وَرَقِيقِ اللَّفْظِ وَجَزْلِهِ * وَغُرَرِ البَيَانِ وَدُرَرِهِ * وَمُلَحِ الأَدَبِ وَنَوَادِرِهِ * إِلَى مَا وَشَّحْتُهَا بِهِ مِنَ الآيَاتِ * وَمَحَاسِنِ الكِنَايَاتِ * وَرَصَّعْتُهُ فِيهَا مِنَ الأَمْثَالِ العَرَبِيَّةِ * وَاللَّطَائِفِ الأَدَبِيَّةِ * وَالأَحَاجِيِّ النَّحْوِيَّةِ * وَالفَتَاوَى اللُّغَوِيَّةِ * وَالرَّسَائِلِ المُبْتَكَرَةِ * وَالخُطَبِ المُحَبَّرَةِ * وَالمَوَاعِظِ المُبْكِيَةِ * وَالأَضَاحِيكِ المُلْهِيَةِ * مِمَّا أَمْلَيْتُ جَمِيعَهُ عَلَى لِسَانِ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ * وَأَسْنَدْتُ رِوَايَتَهُ إِلَى الحَارِثِ بْنِ هَمَّامٍ البَصْرِيِّ * وَمَا قَصَدْتُ بِالإِحْمَاضِ فِيهِ إِلَّا تَنْشِيطَ قَارِئِيهِ * وَتَكْثِيرَ سَوَادِ طَالِبِيهِ * وَلَمْ أُودِعْهُ مِنَ الأَشْعَارِ الأَجْنَبِيَّةِ إِلَّا بَيْتَيْنِ فَذَّيْنِ أَسَّسْتُ عَلَيْهِمَا بِنْيَةَ المَقَامَةِ الحُلْوَانِيَّةِ * وَآخَرَيْنِ تَوْأَمَيْنِ ضَمَّنْتُهُمَا خَوَاتِمَ المَقَامَةِ الكَرَجِيَّةِ * وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَخَاطِرِي أَبُو عُذْرِهِ * وَمُقْتَضِبُ حُلْوِهِ وَمُرِّهِ * هَذَا مَعَ اعْتِرَافِي بِأَنَّ البَدِيعَ رَحِمَهُ اللهُ سَبَّاقُ غَايَاتٍ * وَصَاحِبُ آيَاتٍ * وَأَنَّ المُتَصَدِّيَ بَعْدَهُ لِإِنْشَاءِ مَقَامَةٍ * وَلَوْ أُوتِيَ بَلَاغَةَ قُدَامَةَ * لَا يَغْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فُضَالَتِهِ * وَلَا يَسْرِي ذَلِكَ المَسْرَى إِلَّا بِدَلَالَتِهِ * وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ *

نظم

* فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً * بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ *

* وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِيَ البُكَا * بُكَاهَا فَقُلْتُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ *

وَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ فِي الهَذَرِ الَّذِي أَوْرَدْتُهُ * وَالمَوْرِدِ الَّذِي تَوَرَّدْتُهُ * كَالبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ * وَالجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ * فَأَلْحَقَ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيٰوةِ

الدُّنيا وهُم يَحْسَبُونَ أَنَّهم يُحسِنُون صُنْعا * عَلى أَنّي وإِنْ أَغمَضَ لِيَ الفَطِنُ المُتَغابي * ونَضَحَ عَنِّي المُحِبُّ المُحابي * لا اكادُ أَخْلُصُ من غُمرٍ جاهِلٍ * او ذي غِمرٍ مُتَجاهِلٍ * يَضَعُ مِنّي لِهٰذا الوَضعِ * ويَنَدِّدُ بأنّه من مَناهِي الشَّرْعِ * ومَن نَقَدَ الأَشياءَ بعَيْنِ المَعقول * وأَنعَمَ النَّظَرَ في مَبانِي الأُصول * نَظَمَ هٰذِهِ المَقاماتِ في سِلْكِ الإِفاداتِ * وسَلَكَها مَسْلَكَ المَوضوعاتِ عَنِ العَجْماواتِ والجَماداتِ * ولم يُسْمَعْ بِمَنْ نَبا سَمْعُهُ عَن تلكَ الحِكاياتِ * وأَثَّمَ رُواتَها في وَقْتٍ مِنَ الأَوقاتِ * ثُمَّ إِذا كانَتِ الأَعْمالُ بالنِّيّاتِ * وبِها انْعِقادُ العُقودِ الدِّينيّاتِ * فأَيُّ حَرَجٍ عَلى مَنْ أَنشأَ مُلَحاً لِلتَّنْبيهِ * لا لِلتَّمْويهِ * ونَحا بِها مَنْحَى التَّهْذيبِ * لا الأَكاذيبِ * وَهَلْ هُوَ في ذٰلكَ إِلّا بِمَنْزِلَةِ مَنِ انْتَدَبَ لِتَعْليمٍ * وَهَدَى إِلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ *

شعر

* عَلى أَنَّني راضٍ بِأَنْ أَحمِلَ الهَوى * وَأَخْلُصَ منه لا عَلَيَّ وَلا لِيا *

وَبِاللّهِ أَعْتَضِدُ * فِيما أَعْتَمِدُ * وَأَعْتَصِمُ * مِمّا يَصِمُ * وَأَسْتَرْشِدُ إِلى ما يُرْشِدُ * فَما المَفْزَعُ إِلّا إِلَيْهِ * وَلا الاِسْتِعانَةُ إِلّا بِهِ * وَلا التَّوفيقُ إِلّا مِنْهُ * وَلا المَوْئِلُ إِلّا هُوَ * عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ * وَإِلَيْهِ أُنِيبُ *

المقامة الاولى الصنعانية

حَدَّثَ الحارِثُ بْنُ هَمّامٍ قالَ لَمّا اقْتَعَدْتُ غارِبَ الاِغْتِرابِ * وَأَنْأَتْني المَتْرَبَةُ عَنِ الأَتْرابِ * طَوَّحَتْ بي طَوائِحُ الزَّمَنِ * إِلى صَنْعاءِ اليَمَنِ * فَدَخَلْتُها خاوِيَ الوِفاضِ * بادِيَ الإِنْفاضِ *

لا أملك بُلغة * ولا أجد في جرابي مُضغة * فطفقت أجوب طُرقاتها مثل الهائم * وأجول في حوماتها جولان الحائم * وأرود في مسارح لمحاتي * ومسايح غدواتي وروحاتي * كريماً أُخلق له ديباجتي * وأبوح إليه بحاجتي * أو أديباً تفرج رؤيته غمتي * وتروي روايته غلتي * حتى أدتني خاتمة المطاف * وهدتني فاتحة الألطاف * إلى نادٍ رحيب * محتوٍ على زحام ونحيب * فولجت غابة الجمع * لأسبر مجلبة الدمع * فرأيت في بُهرة الحلقة * شخصاً شخت الخلقة * عليه أُهبة السياحة * وله رنة النياحة * وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه * ويقرع الأسماع بزواجر وعظه * وقد أحاطت به أخلاط الزمر * إحاطة الهالة بالقمر * والأكمام بالثمر * فدلفت إليه لأقتبس من فوائده * وألتقط بعض فرائده * فسمعته يقول حين خبّ في مجاله * وهدرت شقاشق ارتجاله * أيها السادر في غلوائه * السادل ثوب خيلائه * الجامح في جهالاته * الجانح إلى خزعبلاته * إلامَ تستمر على غيك * وتستمرئ مرعى بغيك * وحتامَ تتناهى في زهوك * ولا تنتهي عن لهوك * تبارز بمعصيتك * مالك ناصيتك * وتجترئ بقبح سيرتك * على عالم سريرتك * وتتوارى عن قريبك * وأنت بمرأى رقيبك * وتستخفي من مملوكك * وما تخفى خافية على مليكك * أتظن أن ستنفعك حالك * إذا آن ارتحالك * أو ينقذك مالك * حين توبقك أعمالك * أو يغني عنك ندمك * إذا زلت قدمك * أو يعطف عليك معشرك * يوم يضمك محشرك * هلّا انتهجت محجة اهتدائك * وعجلت معالجة دائك * وفللت شباة اعتدائك * وقدعت

نَفْسَکَ فِهِیَ اَکْبَرُ اَعْدائِکَ * اَمَّا الْحِمامُ مِیْعادُکَ * فَمَا اِعْدادُکَ * وَبِالْمَشِیْبِ اِنْذارُکَ * فَما اِعْذارُکَ * وَفِي اللَّحْدِ مَقِیْلُکَ * فَما قِیْلُکَ * وَاِلَی اللّٰهِ مَصِیْرُکَ * فَمَنْ نَصِیْرُکَ * طَالَمَا اَیْقَظَکَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ * وَجَذَبَکَ الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ * وَتَجَلَّتْ لَکَ الْعِبَرُ فَتَعَامَیْتَ * وَحَصْحَصَ لَکَ الْحَقُّ فَمَا رَبْتُ * وَاَذْکَرَکَ الْمَوْتُ فَتَنَاسَیْتَ * وَاَمْکَنَکَ اَنْ تُوَاسِیَ فَمَا آسَیْتَ * تُؤْثِرُ فَلْسًا تُوعِیْهِ * عَلٰی ذِکْرٍ تَعِیْهِ * وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِیْهِ * عَلٰی بِرٍّ تُوْلِیْهِ * وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِیْهِ * اِلٰی زَادٍ تَسْتَهْدِیْهِ * وَتُغَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَهِیْهِ * عَلٰی ثَوَابٍ تَشْتَرِیْهِ * یَوَاقِیْتُ الصِّلَاتِ * اَعْلَقُ بِقَلْبِکَ مِنْ مَوَاقِیْتِ الصَّلٰوةِ * وَمُغَالَاةُ الصَّدُقَاتِ * آثَرُ عِنْدَکَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ * وَصِحَافُ الْاَلْوَانِ * اَشْهٰی اِلَیْکَ مِنْ صَحَائِفِ الْاَدْیَانِ * وَدُعَابَةُ الْاَقْرَانِ * آنَسُ لَکَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ * تَأْمُرُ بِالْعُرْفِ وَتَنْتَهِکُ حِمَاهُ * وَتَحْمِیْ عَنِ النُّکْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ * وَتُزَحْزِحُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ * وَتَخْشَی النَّاسَ وَاللّٰهُ اَحَقُّ اَنْ تَخْشَاهُ * ثُمَّ اَنْشَدَ

نظم

* تَبًّا لِطَالِبِ دُنْیَا * ثَنٰی اِلَیْهَا انْصِبَابَهْ *

* مَا یَسْتَفِیْقُ غَرَامًا * بِهَا وَفُرْطَ صَبَابَهْ *

* وَلَوْ دَرٰی لَکَفَاهُ * مِمَّا یَرُوْمُ صُبَابَهْ *

ثُمَّ اِنَّهُ لَبَّدَ عَجَاجَتَهُ * وَغَیَّضَ مُجَاجَتَهُ * وَاعْتَضَدَ شَکْوَتَهُ * وَتَأَبَّطَ هِرَاوَتَهُ * فَلَمَّا رَنَتِ الْجَمَاعَةُ اِلٰی تَحَفُّزِهِ * وَرَأَتْ تَاَهُّبَهُ لِمُزَایَلَةِ مَرْکَزِهِ * اَدْخَلَ کُلٌّ مِنْهُمْ یَدَهُ فِیْ جَیْبِهِ * فَاَفْعَمَ

له سَجْلا من سَيْبِه * وقالَ اصْرِفْ هذا في نَفَقَتِك * اوفَرِّقْه على رُفْقَتِك * فَقَبِلَه منهم مُغْضِيًا * وانْثَنى عنهم مُثْنِيًا * وجَعَلَ يُوَدِّعُ مَن يُشَيِّعُه * لِيَخْفى عليهم مَهْيَعُه * ويُسَرِّبُ مَن يَتْبَعُه * لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبَعُه * قالَ الحارثُ بن همام فاتَّبَعْتُه مُوارِيًا عنه عِياني * وقَفَوْتُ اِثْرَه مِن حَيْثُ لا يَراني * حَتّى انْتَهى الى مَغارةٍ * فانْسابَ فيها على غَرارةٍ * فأمْهَلْتُه رَيْثَما خَلَعَ نَعْلَيْه * وغَسَلَ رِجْلَيْه * ثُمَّ هَجَمْتُ عليه * فوَجَدْتُه مُثافِنًا لِتِلْميذٍ * على خُبْزِ سَميذٍ * وجَدْيٍ حَنيذٍ * وقُبالَتَهُما خابِيَةُ نَبيذٍ * فقُلْتُ يا هذا أيَكُونُ ذاكَ خَبَرَك * وهذا مَخْبَرَك * فزَفَرَ زَفْرَةَ القَيْظِ * وكادَ يَتَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ * ولم يَزَلْ يُحَمْلِقُ اِلَيَّ * حَتّى خِفْتُ اَن يَسْطُوَ عَلَيَّ * فلمّا اَن خَبَتْ نارُه * وتَوارى أُوارُه * اَنْشَدَ *

نظم

* لَبِسْتُ الخَميصَةَ اَبْغي الخَبيصَة * واَنْشَبْتُ شِصّي في كُلِّ شِيصَة *
* وَصَيَّرْتُ وَعْظِي أُحْبُولَةً * اُريغُ القَنيصَ بِها والقَنيصَة *
* وَاَلْجأَني الدَّهْرُ حَتّى وَلَجْتُ * بِلُطْفِ احْتِيالِيَ عَلى اللَّيْثِ عيصَه *
* على اَنَّني لَمْ اَهَبْ صَرْفَه * ولا نَبَضَتْ لِيَ مِنْهُ فَريصَة *
* ولا شَرَعَتْ بي على مَوْرِدٍ * يُدَنِّسُ عِرْضِي نَفْسٌ حَريصَة *
* وَلَوْ اَنْصَفَ الدَّهْرُ في حُكْمِه * لَما مَلَّكَ الحُكْمَ اَهْلَ النَّقيصَة *

ثُمَّ قالَ لي اُدْنُ فكُلْ * وإنْ شِئْتَ فقُمْ وقُلْ * فالتَفَتُّ الى تِلْميذِه وقلتُ عَزَمْتُ عليكَ بِمَن يُسْتَدْفَعُ بِه الاَذى * لَتُخْبِرَنّي مَن ذا * فقالَ هذا ابو زيدٍ السَّروجِيُّ سِراجُ الغُرَباء *

وتاجُ الأُدَباء * فانْصرفْتُ من حيثُ أتَيْتُ * وقضيْتُ العَجَبَ ممّا رأيْتُ *

المقامة الثانية الحلوانية

حَكى الحارثُ بنُ همّامٍ قالَ كلِفتُ مُذْ مِيطَتْ عنّي التّمائِمُ * ونِيطَتْ بيَ العمائِمُ * بأنْ أغْشى مَعانَ الأدَب * وأُنضيَ اليهِ رِكابَ الطّلَب * لأعْلَقَ منه بما يكونُ لي زينَةً بين الأنام * ومُزْنَةً عندَ الأُوام * وكُنتُ لفَرْطِ اللّهَجِ باقتباسِه * والطّمَعِ في تقمّصِ لِباسِه * أُباحِثُ كُلَّ مَنْ جَلَّ وقلَّ * واسْتَسْقي الوَبْلَ والطَّلَّ * واتعلّلُ بعسى ولعلَّ * فلمّا حَلَلْتُ حُلْوانَ * وقد بلَوْتُ الإخْوانَ * وسبَرْتُ الأوْزانَ * وخَبَرْتُ ما شانَ وزانَ * ألْفيتُ بها أبا زيدٍ السَّروجيَّ يتقلّبُ في قوالِبِ الانتساب * ويَخْبِطُ في أساليبِ الاكتساب * فيدَّعي تارةً أنّه من آلِ ساسانَ * ويعتزي مرّةً الى أقيالِ غسّانَ * ويبرزُ طوراً في شِعارِ الشُّعَراءِ * ويَلْبَسُ حِيناً كِبرَ الكُبَراء * بيْدَ أنّه مع تلوّنِ حالِه * وتبيُّنِ مُحالِه * يتحلّى برُواءٍ وروايةٍ * ومُداراةٍ ودِرايةٍ * وبلاغةٍ رائعةٍ * وبديهةٍ مُطاوِعةٍ * وآدابٍ بارِعةٍ * وقَدَمٍ لأعلامِ العُلومِ فارِعةٍ * فكانَ لِمحاسنِ آلاتِه * يَلْبَسُ على علاّتِه * ولِسَعةِ روايتِه * يُصْبى الى رُؤيتِه * ولِخلابةِ عارِضَتِه * يُرغَبُ عن مُعارضَتِه * ولِعُذوبةِ إيرادِه * يُسْعَفُ بمُرادِه * فتعلّقتُ بأهْدابِه * لِخصائِصِ آدابِه * ونافسْتُ في مُصافاتِه * لنَفائسِ صِفاتِه *

شعر

* فكُنْتُ به أجْلو هُمومي وأجْتَلي * زَمانيَ طلْقَ الوَجْهِ مُلْتمِعَ الضِّيا *
* أرَى قُرْبَه قُرْبى ومَغْناه غُنْيَةً * ورُؤيتَهُ رِيّاً ومَحْياه لي حَيا *

ولبثنا على ذلك برهة * ينشي لي كل يوم نزهة * ويدرأ عن قلبي شبهة * الى ان جدحت له يد الاملاق * كاس الفراق * وافراه عدم العراق * بتطليق العراق * ولفظته معاوز الآفاق * الى مفاوز الأفاق * ونظمه في سلك الرفاق * خفوق راية الاخفاق * فشحذ للرحلة غرار عزمته * وظعن يقتاد القلب بازمته * نظم

* فما راقني من لاقني بعد بعده * ولا شاقني من ساقني لوصاله *

* ولا لاح لي مذ ندّ ندّ لفضله * ولا ذو خلال حاز مثل خلاله *

واستسر عني حينا * لا اعرف له عرينا * ولا اجد عنه مبينا * فلما ابت من غربتي * الى منبت شعبتي * حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين * وملتقى القاطنين منهم والمتغربين * فدخل ذو لحية كثة * وهيئة رثة * فسلم على الجلاس * وجلس في اخريات الناس * ثم اخذ يبدي ما في وطابه * ويعجب الحاضرين بفضل خطابه * فقال لمن يليه * ما الكتاب الذي تنظر فيه * فقال ديوان ابي عبادة * المشهود له بالاجادة * فقال هل عثرت فيما لمحته * على بديع استملحته * فقال نعم قوله * شعر

* كأنما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد او اقاح *

فانه ابدع في التشبيه * المودع فيه * فقال له يا للعجب * ولضيعة الادب * لقد استسمنت يا هذا ذا ورم * ونفخت في غير ضرم * اين انت عن البيت الندر * الجامع مشبهات الثغر * وانشد * نظم

نَفْسِي الفِداءُ لِثَغْرٍ راقَ مَبْسِمُهُ * وزانَهُ شَنَبٌ ناهِيكَ من شَنَبِ *

يَفْتَرُّ عن لُؤلُؤٍ رَطْبٍ وعن بَرَدٍ * وعن اقاحٍ ومن طَلْعٍ وعن حَبَبِ *

فاستجادَهُ من حَضَرَ واستحلاه * واستعادَهُ منه واستملاه * وسُئِلَ لِمَنْ هذا البيتُ * وهل حَيٌّ قائلُه ام مَيْتٌ * فقال ايمُ اللهِ لَلْحَقُّ أَحَقُّ ان يُتَّبَعَ * ولَلصِّدْقُ حقيقٌ بان يُستمَعَ * انّهُ يا قوم * لَنَجِيُّكم مُذُ اليومِ * قال فكأنَّ الجماعةَ ارتابتْ بِعَزْوَتِهِ * وأَبَتْ تَصديقَ دِعْوَتِهِ * فتوجّسَ ما هَجَسَ في افكارهم * وفَطِنَ لِما بَطَنَ من استنكارِهم * وخافَ ان يَفْرُطَ اليه ذَمٌّ * او يَلْحَقَهُ وَصْمٌ * فقرأ انَّ بعضَ الظَّنِّ اِثْمٌ * ثم قال يا رُواةَ القَريضِ * وأُساةَ القولِ المَريضِ * إنَّ خُلاصةَ الجَوْهَرِ تظهرُ بالسَّبْكِ * ويَدَ الحقِّ تصدعُ رِداءَ الشَّكِ * وقد قيل فيما غَبَرَ من الزَّمانِ * عندَ الامتحانِ يُكرَمُ الرَّجُلُ او يُهانُ * وها انا قد عَرَضْتُ خَبيئتي للاختبار * وعرضتُ حَقيبتي على الاعتبار * فابتدرَ * احدُ مَن حَضَرَ * وقال أعرِفُ بيتًا لم يُنْسَجْ على مِنْوالِهِ * ولا سَمَحَتْ قريحةٌ بمِثالِهِ * فان آثرتَ اجتلابَ القلوبِ * فانظِمْ على هذا الأُسلوبِ * وأنشدَ

* شعر *

* فأَمطرتْ لُؤلُؤًا من نَرْجِسٍ فسَقَتْ * وَرْدًا وعَضَّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ *

فلم يكُنْ الا كَلَمْحِ البَصرِ اوْ اقرَبَ * حتى انشدَ واغربَ *

نظم

* سَأَلْتُها حِينَ زارتْ نَضْوَ بُرْقُعِها * القانِي وإيداعَ سَمْعِي اطيبَ الخَبَرِ *

* فَزَحْزَحَتْ شَفَقًا غَشَّى سَنا قَمَرٍ * وساقَطَتْ لُؤلُؤًا من خاتَمٍ عَطِرٍ *

فعارا الحاضرون لبداهته * واعترفوا بنزاهته * فلما آنس استئناسهم بكلامه * وانصبابهم الى شعب اكرامه * اطرق كطرفة العين * ثم قال ودونكم بيتين آخرين * وانشد *

نظم

* واقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر *

* فلاح ليل على صبح اقلهما * غصن وضرست البلور بالدرر *

فحينئذن استسنى القوم قيمته * واستغزروا ديمته واجملوا عشرته * وجملوا قشرته * قال المخبر بهذه الحكاية * فلما رأيت تلهب جذوته * وتالق جلوته * امعنت النظر في توسمه * وسرحت الطرف في ميسمه * فاذا هو شيخنا السروجي * وقد اقمر ليله الدجوجي * فهنأت نفسي بموردة * وابتدرت استلام يده * وقلت له ما الذي احال صفتك * حتى جهلت معرفتك * واي شيء شيب لحيتك * حتى انكرت حليتك * فانشا يقول *

نظم

* وقع الشوائب شيب * والدهر بالناس قلب *

* إن دان يوما لشخص * ففي غد يتغلب *

* فلا تثق بوميض * من برقه فهو خلب *

* واصبر اذا هو اضرى * بك الخطوب والب *

* فما على التبر عار * في النار حين يقلب *

ثم نهض مفارقا موضعه * ومستصحبا القلوب معه *

المقامة الثالثة القيلية

روى الحارث بن همام * قال نظمني واخداناً لي نادٍ * لم يخب فيه منادٍ * ولا كبا قدح زنادٍ * ولا ذكت نار عنادٍ * فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد * ونتوارد طرف الاسانيد * اذ وقف بنا شخص عليه سمل * وفي مشيه قزل * فقال يا اخاير الذخائر * وبشائر العشائر * عموا صباحاً * وانعموا اصطباحاً * وانظروا الى من كان ذا ندي ونديً * وجدةٍ وجديً * وعقارٍ وقريً * ومقارٍ وقريً * فما زال به قطوب الخطوب * وحروب الكروب * وشر رشر الحسود * وانتياب النوب السود * حتى صفرت الراحة * وقرعت الساحة * وغار المنبع * ونبا المربع * واقوى المجمع * واقض المضجع * واستحالت الحال * واعول العيال * وخلت المرابط * ورحم الغابط * واودى الناطق والصامت * ورثى لنا الحاسد والشامت * وآل بنا الدهر الموقع * والفقر المدقع * الى ان احتذينا الوجى * واغتذينا الشجا * واستبطنا الجوى * وطوينا الاحشا * على الطوى * واكتحلنا السهاد * واستوطنا الوهاد * واستوطأنا القتاد * وتناسينا الاقتاد * واستطبنا الحين المجتاح * واستبطأنا اليوم المتاح * فهل من حرٍّ آسٍ * او سمحٍ مواسٍ * فوالذي استخرجني من قيلةٍ * لقد امسيت اخا عيلةٍ * لا املك بيت ليلةٍ * قال الحارث بن همام فاويت لمفاقره * ولويت الى استنباط فقره * فابرزت له ديناراً * وقلت له اختباراً * ان مدحته نظماً * فهو لك حتماً * فانبرى ينشد في الحال * من غير انتحال

نظم

اكرم به اصفر راقت صفرته * جواب آفاق ترامت سفرته *

ما ثورةٌ سُمعتُه وشُهرتُه * قد اُودِعَتْ سِرَّ الغِنى اَسِرَّتُه
وقارنَتْ نُجحَ المَساعِي خَطْرَتُه * وحُبِّبَتْ الى الانامِ غُرَّتُه
كاَنَّما مِنَ القُلوبِ نُقْرَتُه * بهٖ يَصُولُ مَن حَوَتْه صُرَّتُه
وِانْ تَفانَتْ اوتَوانَتْ عِتْرَتُه * يا حَبَّذا نُضارُهُ ونَضْرَتُه
وحَبَّذا مُغْناتُه ونُصْرتُه * كَمْ آمِرٍ بهٖ اسْتَتَبَّتْ اِمْرَتُه
ومُتْرَفٍ لولاه دامَتْ حَسْرَتُه * وجَيْشِ هَمٍّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُه
وبَدْرِ تِمٍّ اَنْزَلَتْهُ بَدْرَتُه * ومُسْتَشِيطٍ تَتَلَظّى جَمْرَتُه
اَسَرَّ نَجْواهُ فلانَتْ شِرَّتُه * وكم اسيرٍ اَسْلَمَتْهُ اُسْرَتُه
اَنْقَذَهُ حَتّى صَفَتْ مَسَرَّتُه * وحَقِّ مولىً اَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُه

لَوْلَا التُّقى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُه * ثم بَسَطَ يَدَهُ * بعدما اَنْشَدَهُ * وقالَ اَنْجَزَ حُرٌّ ما وَعَدَ * وسَحَّ خالٌ اذ رَعَدَ * فَنَبَذْتُ الدّينارَ اليهِ * وقلتُ خُذْهُ غيرَ ماسُوفٍ عليهِ * فوضَعَهُ في فِيهِ * وقال بارِكِ اللّهُمَّ فيهِ * ثم شمَّر للانثناءِ * بعدَ تَوْفِيَةِ الثَّناءِ * فنشأَتْ لي من فُكاهَتِه نَشْوَةُ غَرامٍ * سَهَّلَتْ عليَّ ائتنافَ اغترامٍ * فجرَّدْتُ ديناراً آخَرَ * وقُلتُ هل لكَ في اَن تَذُمَّهُ * ثم تَضُمَّهُ * فَانْشَدَ مُرتجلاً * وشَدا عَجِلاً

نظم

تَبّاً له من خادعٍ مُماذِقٍ * اَصْفَرَ ذي وَجْهَينِ كالمُنافِقِ *
يَبْدو بِوَصْفَيْنِ لِعَيْنِ الرّامِقِ * زينةِ معشوقٍ ولَوْنِ عاشِقٍ *

وحُبّه عند ذوي الحقائق * يدعو الى ارتكاب سُخط الخالق
لولاه لم تُقطع يمين سارق * ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأزّ باخل من طارق * ولا شكا المطول مطل العائق
ولا استُعيذ من حسود راشق * وشرّ ما فيه من الخلائق
ان ليس يُغني عنك في المضائق * الّا اذا فرّ فرار الآبق
واهاً لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق * لا رأي في وصلك لى ففارق

فقلت له اما اغزر وبلك * فقال والشرط املك * فنفحته بالدينار الثاني * وقلت له عوّذهما بالمثاني * فالقاه في فمه * وقرنه بتوأمه * وانكفأ يحمد مغداه * ويمدح النادي ونداه * قال الحارث بن همام فناجاني قلبي بانه ابوزيد * وان تعارجه لكيد * فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك * فاستقم في مشيك * فقال ان كنت ابن همام * فحييت باكرام * وحييت بين كرام * فقلت انا الحارث * فكيف حالك والحوادث * قال اتقلّب في الحالين بؤس ورخاء * وانقلب مع الريحين زعزع ورخاء * فقلت فكيف ادّعيت القزل * وما مثلك من هزل * فاستسرّ بشره الذي كان تجلّى * ثم انشد حين ولّى *

نظم

تعارجت لا رغبة في العرج * ولكن لاقرع باب الفرج

وَأُلْقِي حَبْلِي عَلَى غَارِبِي * وَأَسْلُكُ مَسْلَكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ

فَإِنْ لَامَنِي الْقَوْمُ قُلْتُ اعْذِرُوا * فَلَيْسَ عَلَى أَعْرَجٍ مِنْ حَرَجٍ

المقامة الرابعة الدمياطية

اخبر الحارثُ بن همّام قال اَظعنتُ الى دِمْياطَ * عامَ هِياطٍ ومِياطٍ * وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مَرْمُوقُ الرَّخاء * مَوْمُوقُ الإِخاء * أَسْحَبُ مَطارِفَ الثَّراء * أَجْتَلِي مَعارِفَ السَّرّاء * فرافقتُ صَحْباً قد شَقُّوا عَصَا الشِّقاق * وَارْتَضَعُوا أَفَاوِيقَ الْوِفاق * حَتَّى لَاحُوا كَأَسْنانِ الْمُشْطِ فِي الاستواء * وكالنَّفْسِ الْواحدةِ في التِئامِ الأَهْواء * وكُنّا مع ذلك نَسِيرُ النَّجاءَ * ولا نَرْحَلُ إِلَّا كُلَّ هَوْجاءَ * واذا انزلنا مَنزِلاً * او وَرَدْنا مَنْهَلاً * اِخْتَلَسْنا اللَّبْثَ * ولم نُطِلِ الْمُكْثَ * فَعَنَّ لنا اِعْمالُ الرِّكابِ * في ليلةٍ فَتِيَّةِ الشَّبابِ * غُدافِيَّةِ الإِهابِ * فَأَسْرَيْنا إِلى أَنْ نَضا اللَّيْلُ شَبابَهُ * وَسَلَتَ الصُّبْحُ خِضابَهُ * فَحِينَ مَلِلْنا السُّرى * وَمِلْنا إِلى الْكَرى * صادَفْنا أَرْضًا مُخْضَلَّةَ الرُّبا * مُعْتَلَّةَ الصَّبا * فَتَخَيَّرْناها مُناخًا لِلْعِيسِ * وَمَحَطًّا لِلتَّعْرِيسِ * فَلَمّا حَلَّها الْخَلِيطُ * وَهَدا بِها الأَطِيطُ وَالْغَطِيطُ * سَمِعْتُ صَيِّتًا مِنَ الرِّجالِ * يقولُ لِسَمِيرِهِ في الرِّحالِ * كيف حُكْمُ سِيرَتِكَ * مع جِيلِكَ وجِيرَتِكَ * فقالَ أَرْعَى الْجارَ * وَلَوْ جارَ * وَأَبْذُلُ الْوِصالَ * لِمَنْ صالَ * وَاحْتَمِلُ الْخَلِيطَ * وَلَوْ أَبْدَى التَّخْلِيطَ * وَأُوَدُّ الْحَمِيمَ * وَلَوْ جَرَّعَنِي الْحَمِيمَ * وَأُفَضِّلُ الشَّفِيقَ * عَلَى الشَّقِيقِ * وَأَفِي لِلْعَشِيرِ * وَإِنْ لَمْ يُكافِئْ بِالْعَشِيرِ * وَأَسْتَقِلُّ الْجَزِيلَ * لِلنَّزِيلِ * وَأَغْمُرُ الزَّمِيلَ * بِالْجَمِيلِ * وَأُنْزِلُ سَمِيرِي *

مَنْزِلةَ امِيرِي * واُحِلَّ انِيسِي * مَحَلَّ رئيسِي * واُودِعَ مَعارِفي * عَوارِفي * واُولي مَرافِقي * مَرافِقي * واُلِينَ مَقالِي * لِلْقالِي * واُدِيمَ تَساءُلِي * عَنِ السّالِي * وارضى مِنَ الْوَفاء * باللَّفاء * واَقْنعَ مِنَ الْجزاء * باَقَلِّ الاْجْزاء * ولااَتَظَلَّمُ * حين اُظْلَمُ * ولا اَنْقِمُ * ولَوْلَدَغنِي الاَرْقَمُ * فقال له صاحبهُ وَيْكَ يا بُنَيَّ اِنَّما يُضَنُّ بالضَّنين * وينافَسُ فِي الثَّمين * لكن اَنَالا آتي * غَيرَالمُواتي * ولااَسِمُ الْعاتي * بمُراعاتي * ولا اُصافِي * مَن يَأْبى اِنْصافي * ولااُواخي * من يُلْغي الاَواخي * ولااُبالي * من يُخَيّبُ آمالي * ولااُبالي * بِمَنْ صَرَمَ حِبالي * ولااُداري * من جَهِلَ مِقْداري * ولا اُعْطي زِمامي * من يُخْفِرُ ذِمامي * ولااَبْذُلُ وِدادي * لاَضْدادي * ولااَدَعُ اِيعادي * للمُعادي * ولااَغْرِسُ الايادي * في اَرْضِ الاَعادِي * ولا اَسْمَحُ بمُواساتي * لمن يَفْرَحُ بمَساآتي * ولااَرى الْتِفاتي * الى من يَشْمَتُ بوَفاتي * ولااَخُصُّ بحِبائي * الاَّ اَحِبَّائي * ولااَسْتَطِبُّ لِدائي * غيرَ اَوِدّائي * ولا اُمَلِّكُ خُلَّتي * مَنْ لا يَسُدُّ خَلَّتي * ولااُصْفي نِيَّتي * لمن يَتَمَنّى مَنِيَّتي * ولا اُخْلِصُ دُعائي * لمن لا يَفْعِمُ وِعائي * ولا اُفْرِغُ ثَنائي * على من يُفَرِّغُ اِنائي * وَمَنْ حَكَمَ بِاَنْ اَبْذُلَ وتَخْزُنَ * واَلِينَ وتَخْشُنَ * واَذُوبَ وتَجْمُدَ * واَذْكُوَ وتَخْمُدَ * لاَ واللّٰهِ بل نَتَوازَنُ في المَقال * وَزْنَ المِثْقال * ونَتَحاذى في الفَعال * حَذْوَالنِّعال * حتى نأْمَنَ التَّغابُنَ * ونُكْفى التَّضاغُنَ * والاّفَلِمَ اُعِلُّكَ وتُعِلُّني * واُقِلُّكَ وتَسْتَقِلُّني * واَجْتَرِحُ لكَ وتَجْرَحُني * واَسْرَحُ اليكَ وتُسَرِّحُني * وكيفَ يُجتَلبُ اِنصافٌ بضَيْمٍ * واَنّى تَشْرُق

شمسٌ مع غيمٍ * ومتى اصحب ودٌّ بعسف * واي حرٍّ رضي بخطة خسف * ولله ابوك ان يقول

نظم

جزيت من اعلق بي ودّه * جزاء من يبني على اسّه
وكلت للخلّ كما كال لي * على وفاء الكيل او بخسه
ولم اخسّره وشرّ الورى * من يومه اخسر من امسه
وكلّ من يطلب عندي جنًى * فما له الا جنى غرسه
لا ابتغي الغبن ولا انثني * بصفقة المغبون في حسّه
ولست بالموجب حقًّا لمن * لا يوجب الحق على نفسه
وربّ مذّاق الهوى خالني * اصدقه الودّ على لبسه
وما درى من جهله انني * اقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى * وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسةٌ * لباس من يرغب عن انسه
ولا ترجّ الودّ ممن يرى * انك محتاجٌ الى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما * تقت الى ان اعرف عينهما * فلما لاح ابن ذكاء * والتحف الجو الضياء * غدوت قبل استقلال الركاب * ولا اغتداء الغراب * وجعلت استقري صوب الصوت الليلي * واتوسم الوجوه بالنظر الجلي * الى ان

University Library
Accession No 47238

لَمَحْتُ ابا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَحادَثان * وعليهما بُرْدانِ رَثّان * فعلمتُ انّهما نَجِيّا لَيْلَتِي * وصاحِبا رِوايَتِي * فقصدتهما قَصْدَ كَلِفٍ بِدَمامَتِهِما * رَاثٍ لِرَثاثَتِهِما * وَاَبَحْتُهُما التَّحَوُّلَ اِلَى رَحْلِي * والتَّحَكُّمَ فِي كُثْرِي وقُلِّي * وطَفِقْتُ اُسَيِّرُ بَيْنَ السَّيّارَةِ فَضْلَهُما * واَهُزُّ لِاَعْوادِ الْمُثْمِرَةِ لَهُما * حَتّى غُمِرا بِالنِّحَلانِ * واتُّخِذا مِنَ الخُلّان * وكُنّا بِمُعَرَّسٍ نَتَبَيَّنُ مِنْهُ بُنْيانَ القُرى * ونَتَنَوَّرُ نيرانَ القِرى * فَلَمّا رَأَى ابوزيدٍ امْتِلاءَ كِيسِهِ * وَانْجِلاءَ بُؤْسِهِ * قال لِي اِنَّ بَدَنِي قَدِ اتَّسَخ * وَدَرَنِي قد رَسَخ * اَفَتَأْذَنُ لِي فِي قَصْدِ قَرْيَةٍ لِاَسْتَحِمّ * وَاَقْضِيَ هذا المُهِمّ * فقلتُ اِذا شِئْتَ فالسُّرْعَةَ السُّرْعَةَ * والرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ * فقال سَتَجِدُ مَطْلَعِي عليك اَسْرَعَ مِنِ ارْتِدادِ طَرْفِكَ اليك * ثمّ اسْتَنَّ اسْتِنانَ الجَوادِ فِي المِضْمار * وقال لِابْنِهِ بَدارِ بَدارِ * ولم نَخَلْ اَنّه غَرّ * وطَلَبَ المَفَرّ * فَلَبِثْنا نَرْقُبُهُ رِقْبَةَ اَهِلَّةِ الاَعْياد * ونَسْتَطْلِعُهُ بِالطَّلائِعِ والرُّوّاد * اِلَى اَنْ هَرِمَ النَّهارُ * وكادَ جُرُفُ اليَوْمِ يَنْهار * فلمّا طالَ اَمَدُ الانتظار * ولاحَتِ الشَّمْسُ فِي الاَطْمار * قلتُ لِاَصْحابِي قد تَناهَيْنا فِي المُهْلَة * وتَمادَيْنا فِي الرِّحْلَة * اِلَى اَنْ اَضَعْنا الزَّمانَ * وبانَ اَنَّ الرَّجُلَ مانَ * فَتَأَهَّبُوا الظَّعْن * ولا تَلْوُوا عَلَى خَضْراءِ الدِّمَن * ونَهَضْتُ لِاُحْدِجَ راحِلَتِي * واَتَحَمَّلَ لِرِحْلَتِي * فوجدتُ ابا زيدٍ قد كَتَبَ على القَتَب *

نظم

يا مَنْ غَدا لِي ساعِدا * ومُساعِدا دونَ البَشَر

لا تَحْسَبَنْ اَنّي نَأَيْتُكَ عَنْ مَلالٍ اَوْ اَشَر

لٰكِنَّنِي مُذْ لم أَزَلْ * مِمَّن اذا طَعِمَ انْتَشَر

قال فاقرأتْ الجماعة القَنَب * لِيَعْذِرَه مَنْ كان عَتَب

فاعْجَبُوا بخرافته * وتعوذوا مِن آفته * ثم انّا ظعنّا * ولم ندرِ مَنِ اعتاض عنّا *

المقامة الخامسة الكوفيه

حكى الحارثُ بنُ همّام قال سَمَرْتُ بالكوفة في لَيلةٍ اديمها ذو لَونين * وقمرها كتعويذٍ من لُجَينٍ * مع رُفقةٍ غُذُوا بلِبانِ البيان * وسَحَبُوا على سَحْبان ذَيلَ النِّسيان * ما فيهم الّا مَنْ يُحفَظ عنه * ولا يُتحفَّظ منه * ويَميل الرفيقُ اليه ولا يَميل عنه * فاستهوانا السَّمَرُ * الى ان غربَ القمرُ * وغلبَ السَّهرُ * فلمّا روّق الليلُ البهيمُ * ولم يبقَ الّا التهويمُ * سمِعنا مِنَ البابِ نَبأةَ مستنبحٍ * ثمّ تلتها صكّةُ مُستفتحٍ * فقلنا مَن المُلِمُّ * في الليل المُدلهِمّ * فقال *

نظم

يا اهلَ ذا المَغنى وُقيتم شرّا * ولا لقيتم ما بقيتم ضُرّا

قد دفَع الليلُ الذي اكفهرّا * الى ذَرِيكم شعِثًا مُغبرّا

اخا سِفارٍ طالَ واسبطرّا * حتى انثنى مُحقَوقِفًا مُصفرّا

مِثلَ هِلالِ الأُفقِ حين افترّا * وقد عرا فِناءكم مُعترّا

وامّكم دُونَ الانامِ طُرّا * يبغي قِرىً منكم ومُستقرّا

فدُونكم ضَيفًا قنوعًا حُرّا * يرضى بما احلولى وما امرّا

وَيَثْنِيني عنكم بَثُّ البُرَّا * قال الحارث بن همام فلما خُلِّينا بُعْد وبهِ نُطْقِه * وعلمنا
ما وراءَ بَرْقِه * ابتدرنا فتحَ الباب * وتلقيناه بالتِّرحاب * وقلنا للغلامِ هَيَّا هَيَّا * وهلمّ
ما تهيّأ * فقال الضيفُ والذي احلّني ذَرٰىكُمْ * لا تلمّظتُ بِقراكم * اوتضمنوا لي ان
لا تتخذوني كَلًّا * ولا تتجشّموا لأجلي اُكْلا * فرُبَّ اُكْلةٍ هاضت الآكِلَ * وحرمته مآكل *
وشرُّ الاضيافِ مَن سامَ التكليفَ * وآذى المُضيفَ * وخصوصًا اذيً يعتلِق بالاجسام *
ويُفضِي الى الاَسقام * وما قيلَ في المَثلِ الذي سارا سائره * خَيْرُ العَشاءِ سوافره *
الّا ليُعَجِّل التَّعشِّي * ويُجتنب اَكْل اللّيلِ الّذي يُعَشِّي * اللّهمّ الّا اَنْ تقدنار الجُوْع *
وتحولَ دُوْنَ الهُجُوْع * قال فكانّه اُطْلِعَ على ارادتنا * فرمى عن قَوْسِ عقيدتِنا * لاجَرَم
اِنّا آنسناه بالتزامِ الشَّرْط * واثنيناه على خُلْقِهِ السَّبْط * فلمّا اَحْضَرَ الغُلامُ ما راجَ * واذكى
بيننا السِّراجَ * تأمّلته فاذا هوا بوزيدٍ فقلتُ لصَحْبِي لِيهْنِكُم الضَّيْفُ الوارِدُ * بل المَغْنَمُ
البارد * فانْ يكُنْ اَفَلَ قَمَرُ الشِّعْرى فقد طَلَعَ قَمَرُ الشِّعر * او استسرّ بَدْرُ النَّثْرة فقد تبلَّج
بَدْرُ النَّثْر * فسرَتْ حُمَيَّا المَسَرّة فيهم * وطارت السِّنَةُ عن مآقِيهم * ورَفَضُوا الدِّعَةَ التي
كانوا نَوَوْها * وثابوا اِلى نَشْرِ الفُكاهةِ بَعْدَ ما طَوَوْها * وابوزيدٍ مُكِبٌّ على اِعْمالِ يديه *
حَتّى اذا استرفعَ ما لَدَيْه * قلتُ له اَطْرِفْنا بغريبةٍ من غرائبِ اَسْمارِكَ * اَوْعجيبةٍ
مِن عَجائبِ اَسْفارِكَ * فقالَ لقد بَلَوْتُ مِنَ العجائبِ ما لم يَرَهُ الرَّاؤُوْن * ولا رَواهُ
الرّاوُوْن * واِنّ مِنْ اَعْجبِها ما عاينتُهُ اللّيلةَ قُبَيْلَ انتيابِكُم * ومَصيري الى بابِكُم *

فاستخبرناهُ عن طُرفةِ مَرآه * في مَسرحِ مَسْراه * فقالَ إنَّ مَرامِيَ الغُربة * لَفَظَتْني إلى هذهِ التُّربة * وأنا ذو مَجاعةٍ وبُؤسى * وجِرابٍ كفؤادِ أُمِّ موسى * فنهضتُ حين سَجا الدُّجى * على ما بي من الوَجى * لأرتادَ مُضيفاً * أو أقتادَ رغيفاً * فساقني حادي السَّغَب * والقَضاءُ المُكنّى أبا العَجَب * إلى أن وقفتُ على بابِ دار * فقلتُ على بِدار *

نظم

حُيِّيتُمُ يا أهلَ هذا المَنزِلِ * وعِشتُمُ في خَفضِ عَيشٍ خَضِلِ

ما عِندَكُمْ لابنِ سبيلٍ مُرمِلِ * نِضوِ سُرىً خابطِ ليلٍ ألْيَلِ

جَوي الحَشى على الطَّوى مُشتمِلِ * ما ذاقَ مُذْ يَوْمانِ طَعْمَ مأكَلِ

ولا لهُ في أرضِكُمْ من مَوْئِلِ * وقد دَجى جِنحُ الظَّلامِ المُسبَلِ

وهو منَ الحَيْرةِ في تَمَلمُلِ * فهلْ بهذا الرَّبعِ عَذْبُ المَنهَلِ

يقولُ لي ألقِ عصاكَ وادخُلِ * أَبشِرْ ببِشْرٍ وقِرىً مُعَجَّلِ

قالَ فبرزَ إليَّ جُوذَر * عليهِ شَوذَر * وقال *

نظم

وحُرمةِ الشيخِ الَّذي سَنَّ القِرى * وأسَّسَ المحجوجَ في أُمِّ القُرى

ما عِندَنا لطارِقٍ إذا عَرى * سِوى الحديثِ والمُناخِ في الذَّرى

وكيفَ يَقري مَن نَفى عنهُ الكَرى * طَوىً بَرى أعظُمَهُ لمّا انبَرى

فما ترى فيما ذكرتُ ما ترى * فقلتُ ما أصنعُ بمنزلٍ إقفرٍ *

وَمَنْزِلِ خَلِفٍ قَفْرٍ * ولكن يا فتى ما اسمُك * فقد فتنني فهمُك * فقال اسمي زيد *
ومنشاي فَيْدُ * ووردتُ الى هذه المدرةِ أمسِ * مع أخوالي من بني عبسٍ * فقلت له
زدني ايضاحًا عِشتَ ونُعِشتَ * فقال أخبرتني أُمّي بَرّة * وهي كاسمها بَرّة * أنّها نكحت عامَ
الغارةِ بماوانَ * رجلًا من سَراةِ سَرُوجَ وغسّانَ * فلمّا آنسَ منها الاثقالَ * وكان
باقعةً على ما يُقال * ظعَن عنها سِرًّا * وهلُمّ جرًّا * فما يُعرف أحيٌّ هو فيتوقّع * أم
أُودِعَ اللّحدَ البلقعَ * قال ابو زيد فعلمتُ بصحّةِ العلامات أنّه ولدي * وصدفني
عن التعرّف اليه صِفرُ يدي * ففصلتُ عنه بكبدٍ مرضوضةٍ * ودموعٍ مفضوضةٍ *
فهل سمعتم يا اولي الالباب * بأعجبَ من هذا العُجاب * قلنا لا ومن عنده علمُ
الكتاب * فقال أثبتوها في عجائب الاتفاق * وخلّدوها بطونَ الأوراق * فما سُيّر
مثلُها في الآفاق * فأحضرنا الدواةَ وأساوِدَها * ورقشنا الحكايةَ على ما سرَدها *
ثمّ استنبطناه عن مُرتآه * في استضمامِ فتاه * فقال اذا ثقُل رُدْني * خفّ عليّ أنْ
أكفُلَ ابني * فقلنا ان كان يكفيك نصابٌ من المال * ألّفناه لك في الحال *
فقال وكيف لا يُقنعني نصابٌ * وهل يحتقرُ قدرَه الّا مُصابٌ * قال الراوي فالتزمَ
منه كلٌّ منّا قسطًا * وكتبَ له به قِطًّا * فشكر عند ذلك الصُّنعَ * واستنفدَ في الثناءِ الوُسعَ *
حتّى انّنا استطلنا القولَ * واستقللنا الطَّولَ * ثمّ إنّه نشر من وشيِ السَّمَر * ما أزرى
بالحِبَر * الى أن أظلّ التنويرُ * وجشَر الصبحُ المنيرُ * فقضّيناها ليلةً غابت شوائبُها * الى

ان شابت ذوائبها * وكمل سعودها * الى ان انفطر عودها * ولما ذرقرن الغزالة * طمر طمور الغزالة * وقال انهض بنا لنقبض الصلات * ونستنض الاحالات * فقد استطارت صدوع كبدي * من الحنين الى ولدي * فوصلت جناحه * حتى سنيت نجاحه * فحين احرز العين في صرته * برقت اسارير مسرته * وقال لي جزيت خيرا عن خطا قدميك * والله خليفتي عليك * فقلت اريد ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب * وانا فته لكيما يجيب * فنظر الى نظرة الخادع الى المخدوع * وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع * ثم انشد *

نظم

يا من تظنى السراب ماء * لما رويت الذي رويت
ما خلت ان يستسر مكري * وان يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي * ولا لي ابن به اكتنيت
وانما لي فنون سحر * ابدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الاصمعي فيما * حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة الى ما * تجنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت * حالي ولم احو ما حويت
فمهد العذر او فسامح * ان كنت اجرمت او جنيت

ثم انه ودعني ومضى * واودع قلبي جمرا لغضا

المقامة السادسة المراغية وتعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همّام قال حضرتُ ديوانَ النَّظر بالمراغة * وقد جرى به ذِكرُ البَلاغة * فأجمعَ مَن حضرَ من فُرسانِ اليَراعة * وأربابِ البَراعة * على انّه لم يبقَ مَن يُنقّح الانشاءَ * ويتصرَّف فيه كيف شاءَ * ولا خَلَفَ بعدَ السَّلَف * مَن يبتدعُ طريقةً غرّاء * او يفترعُ رسالةً عَذراءَ * وانّ المُفلِقَ من كُتّابِ هذا الاوان * المتمكّنَ من ازِمّةِ البيان * كالعيالِ على الاوائِل * ولو مَلَكَ فصاحةَ سَحْبانِ وائِل * وكان بالمجلِس * كهلٌ جالِسٌ * في الحاشية * وعِندَ مَواقفِ الحاشية * فكانَ كلّما شطَّ العَومُ في شَوطهم * ونَشَروا العَجوةَ والنجوةَ مِن نَوطهم * ينبِئُ تخازُرُ طَرفِهِ * وتَشامُخُ انفِهِ * انّه مُخْرَنْبِقٌ لينباعَ * ومُجْرَمِزٌّ سيمُدُّ الباعَ * ونابِضٌ يبري النِّبالَ * ورابِضٌ يبغي النِّضالَ * فلمّا نَثِلَتِ الكنائِنُ * وفاءَتِ السَّكائِنُ * وركَدتِ الزعازِعُ * وكُفَّ المُنازِعُ * اقبَلَ على الجماعة وقال لقد جئتم شيأً إدًّا * وجُرتم عَنِ القَصدِ جِدًّا * وعظّمتمُ العِظامَ الرُّفاتَ * وافتتّم في المَيل الى مَن فاتَ * وغمصتُم جيلكم الّذين فيهم لكمُ اللِّداتُ * ومعهم انعقدتِ المَوَدّاتُ * أنسيتُم يا جهابذةَ النَّقدِ * ومَوابذةَ الحَلِّ والعَقدِ * ما أبرزَتهُ طوارِفُ القرائِحِ * وبرَّزَ فيه الجذَعُ على القارِحِ * مِنَ العِباراتِ المهذّبة * والاستعاراتِ المُستعذَبة * والرّسائلِ المُوشّحة * والاساجيعِ المُستملَحة * وهل للقُدَماءِ اذا أُنعِمَ النَّظرُ * مَن حَضَرَ * غيرُ المَعاني المطروقةِ المَوارِد * المعقولةِ الشَّوارِد * المأثورةِ عنهم لتقادُمِ المَوالِد لا لتقدُّمِ الصّادرِ على الوارِدِ * وانّي لأعرِفُ

الآنَ مَنْ اذا أنشا * وَشّى * واذا عبّر * حبّر * واذا أسهب * أذهب * واذا أوجز *
أعجز * وإن بَدَهَ * شَدَهَ * ومتى اخترع * خرع * فقال له ناظورة الديوان * وعين
اولئك الأعيان * مَنْ قارع هذي الصفاة * وقريع هذه الصفات * قال إنه قِرن مجالك *
وقرين جدالك * واذا شئت فرض نجيبا * وادعُ مجيبا * لترى عجيبا * فقال له يا هذا
إن البغاث بأرضنا لا تستنسر * والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر * وقلّ من
استهدف للنضال * فخلص من الداء العضال * أو استثار نقع الامتحان * فلم يقذ
بالامتهان * فلا تعرّض عرضك للمفاضح * ولا تعرض عن نصاحة الناصح * فقال
كلّ امرء أعرف بوسم قدحه * وسينفري الليل عن صبحه * فتناجت الجماعة فيما
يسبر به قليبه * ويعمد فيه تقليبه * فقال أحدهم ذروه في حصّني * لأرميه بحجر قصّني *
فإنها عضلة العقد * ومحكّ المنتقد * فقلّدوه في هذا الأمر الزعامة * تقليد الخوارج
أبا نعامة * فأقبل على الكهل وقال اعلم أنّي أوالي * هذا الوالي * وأرقّح حالي * بالبيان
الحالي * وكنت أستعين على تقويم أودي * في بلدي * بسعة ذات يدي * مع قلّة
عددي * فلمّا ثقل حاذي * ونفد رذاذي * أممته من أرجائي * برجائي * ودعوته
لإعادة روائي * وإروائي * فهشّ للوفادة وارتاح * وغدا بالافادة وراح * فلمّا
استأذنته في المراح الى المراح * على كاهل المراح * قال قد أزمعت أن لا أزوّدك بتاتا *
ولا أجمع لك شتاتا * أو تنشئ أمام ارتحالك * رسالة تودعها شرح حالك * حروف

أَحدى كَلِمَتَيها يعمُّها النَّقط * وحُروفُ الأُخرى لم يُعجَمْنَ قَطّ * وقد استأنيتُ بيانِي حَولًا * فما أَحارَ قولًا * ونبَّهتُ فِكرِي سَنَةً * فما ازدادَ الّا سِنَةً * وَاستَعَنتُ بقاطِبَةِ الكُتّاب * فكلٌّ منهم قطّبَ وتاب * فانْ كنتَ صدَعتَ عن وَصفِك باليقين * فأْتِ بآيةٍ ان كُنتَ مِنَ الصّادقين * فقال له لقدِ استَسعيتَ يعبوبًا * واستَسقيتَ أُسكوبًا * واعطيتَ القَوسَ بارِيَها * وَأَنزلتَ الدّارَ بانِيَها * ثم فكَّر ريثَما استَجَمَّ قريحتَه * واستدَرَّ لِقحتَه * وقال له اَلقِ دَواتَك * وخُذ اداتَك * وَاكتُب * الكرمُ ثبّتَ اللّهُ جَيشَ سُعودِكَ يَزِين * واللُّؤمُ غَضَّ الدَّهرُ جَفنَ حَسودِكَ يَشِين * والاروعُ يُثيب * والمُعوِرُ يُخيب * والحُلاحِلُ يُضيف * وَالماحِلُ يُخيف * والسَّمحُ يُغذِي * والمحِكُ يُقذِي * والعَطاءُ يُنجِي * والمِطالُ يُشجِي * والدُّعاءُ يَقِي * والمدحُ يُنقِي * والحُرُّ يَجزِي * والإلطاطُ يُخزِي * وَاطِّراحُ ذِي الحُرمةِ غَيٌّ * وَمُحرِمةُ بَنِي الامالِ بَغْيٌ * وماضَنَّ الّا غبينٌ * ولا غَبَنَ الّا ضنينٌ * ولاخزَنَ الّا شَقيٌّ * ولا قبَضَ راحةً تَقيٌّ * وماقتِئَ وَعدُكَ يفِي * وآراؤكَ تَشفِي * وحِلمُكَ يُغضِي * وهلالُكَ يُضِيء * وآلاؤكَ تُغنِي * وَاعداؤكَ تُثنِي * وحُسامُكَ يُغنِي * وسُؤدُدُكَ يَبنِي * وَمَواصِلُكَ يَجتَنِي * وَمادِحُكَ يَقتَنِي * وسَماحُكَ يُغِيث * وسَماؤكَ تَغيث * ودَرُّكَ يَفِيض * ورَدُّكَ يَغيض * ومُؤَمِّلُكَ سَيِّحٌ حَكاهُ فَيءٌ * ولم يَبقَ له شَيءٌ * اَمَّكَ بِظَنٍّ حَرَصَه يَشِبُّ * وَمَدحُكَ بِنُخَبٍ مُهورُها تَجِبُ * وَمَرامُه يَخِفّ * وَاَواصِرُه تَشِفّ * وَاِطراؤه يُجتَذَب * ومَلامُه يُجتَنَب * ووَراءَه ضَفَفٌ * مَسَّهم شَظَفٌ * وحَصَّهم جَنَفٌ *

وعمهم قشف * وهو في دمع يجيب * وولَه يذيب * وهم تضيف * وكمد نيف * لإمول خيب * واهمال شيب * وعدو نيب * وهدو تغيب * ولم يزغ وده فيغضب * ولا خبث عوده فيقضب * ولا نفث صدره فينفض * ولا نشز وصله فيبغض * وما يقتضى كرمك نبذ حرمة فبيض املة بتخفيف المه * يفث حمدك بين عالمه * بقيت لإماطة شجب * واعطاء نشب * ومداواة شجن * ومراعاة يفن * موصولا بخفض * وسرور غض * ما غشى معهد غنى * او خشى وهم غبي * والسلام * فلما فرغ من إملاء رسالته * وجلى في هيجاء البلاغة من بسالته * ارضته الجماعة فعلا وقولا * واوسعته حفاوة وطولا * ثم سئل من اي الشعوب نجاره * وفي اي الشعاب وجاره * فقال

نظم

غسان أسرتي الصميمة * وسروج تربتي القديمة
والبيت مثل الشمس اشـراقا ومنـزلة جسيمة
والربع كالفردوس * مطيبة ومنـزهة وقيمة
واها لعيش كان لي * فيها ولذات عميمة
ايام اسحب مطرفي * في روضها ماضي العزيمة
اختال في بُرد الشبا * ب واجتلي النعم الوسيمة
لا اتقي نوب الزما * ن ولا حوادثه المليمة
فلو ان كربا متلف * لتلفت من كربي المقيمة

أو يُفتدى عيشٌ مضى * لفدتهُ مُهجتي الكريمه

فالمَوتُ خيرٌ للفتى * من عيشهِ عيشَ البهيمه

تقتادُهُ بُرَةُ الصغا * ر الى العظيمة والهضيمه

ويَرى السِّباعَ تَنوشُها * أيدي الضِّباعِ المستضيمه

والذنبُ للايّام لولا شؤمُها لَم تَنْبُ شِيمَه

ولَوِ استقامت كانتِ الأحوالُ فيها مستقيمة

ثمَّ إنَّ خَبَرَه نَمى الى الوالي * فملأ فاهُ باللآلي * وسامَهُ أن يَنضوي الى أحشائهِ * ويلي ديوانَ إنشائهِ * فاحسبه الحِباءُ * وظَلَفَه عن الولاية الإباءُ * قال الرّاوي وكنتُ عرفتُ عُودَ شَجرتهِ * قبلَ إيناعِ ثمرتهِ * وكِدتُ أُنبِّهُ على علوِّ قدرهِ * قبلَ استنارةِ بدرِهِ * فأوحى اليَّ بإيماضِ جَفنهِ * أن لا أُجرِّدَ عضبَهُ من جَفنِهِ * فلمّا خرجَ بَطينَ الخُرجِ * وفصَلَ فائزاً بالفُلجِ * شيّعتُهُ قاضياً حقَّ الرِّعايةِ * ولاحِياً له على رفضِ الوِلايةِ * فأعرضَ مُتبسِّماً * وأنشدَ مُترنِّماً *

نظم

لَجَوبُ البلادِ مَعَ المَتربَه * أحبُّ اليَّ من المرتبة

لأنَّ الوُلاةَ لهُم نَبوةٌ * ومَعتبةٌ يا لها مَعتبَه

وما فيهِم من يَرُبُّ الصَّنيعَ * ولا من يُشيِّدُ ما رتَّبه

فلا يَخدعَنكَ لُموعُ السَّرا * بِ ولا تأتِ أمراً اذا ما اشتبَه

وكم حالم سرّه حلمه * واَدركه الروع لمّا انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من برقعيد * وقد شمت برق عيد * فكرهت الرحلة من تلك المدينة * او اشهد بها يوم الزينة * فلمّا اظلّ بفرضه ونفله * واجلب بخيله ورجله * اتبعت السنّة في لبس الجديد * وبرزت مع من برز للتعييد * وحين التأم جمع المصلّى وانتظم * واخذ الزحام بالكظم * طلع شيخ في شملتين * محجوب المقلتين * وقد اعتضد شبه المخلاة * واستقاد لعجوز كالسعلاة * فوقف وقفة متهافت * وحيّى تحيّة خافت * ولمّا فرغ من دعائه * اجال خمسه في وعائه * فابرز منه رقاعاً قد كتبن بالوان الاصباغ * في اوان الفراغ * فناولهنّ عجوزه الحيزبون * وامرها ان تتوسّم الزبون * فمن آنست ندى يديه * القت ورقة منهنّ لديه * قال فاتاح لي القدر المعتوب * رقعة فيها مكتوب *

نظم

لقد اصبحت موقوذا * باوجاع واوجال

وممنوّا بمختال * ومحتال ومغتال

وخوّان من الاخوا * ن قال لي لاقلالي

واعمال من العمّا * ل في تضليع اعمالي

فكم اصلى بانذال * واهوال وترحالي

وَكَم أَخْطِرُ في بالٍ * ولا أَخْطُرُ في بالِ
فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جا * رَ أَطْفى لِي أَطْفالِي
فَلَوْ لا أَنَّ أَشْبالِي * أَغْلالِي وَأَغْلالِي
لَمَا جَهَّزْتُ آمالِي * إِلى آلٍ ولا والِ
ولا جَرَّرْتُ أَذْيالِي * على مَسْحَبِ إِذْلالِي
فَمِحْرابِي آحْرى بِي * وَإِسْمالِي أَسْمى لِي
فَهَل حُرٌّ يَرى تَخْفِيفَ * أَثْقالِي بِمِثْقالِ
ويُطْفِيْ حَرَّ بَلْبالِيْ * بِسِرْبالٍ وسِرْوالِ

قال الحارث بن همام فلمّا استعرضتُ حُلَّةَ الأبيات تُقْتُ الى معرفة مُلْحِمِها * وراقمِ عَلَمِها * فناجاني الفِكْرُ بأنّ الوُصْلةَ اليه العجوزُ * وأفتاني بأنّ حُلْوانَ المُعرِّفِ يَجوزُ * فرصدتُّها وهي تستقرِئ الصُّفوفَ صَفًّا صَفًّا * وتَستوكِفُ الأكُفَّ كَفًّا كَفًّا * وما إنْ يُنْجِحُ لها عَناءٌ * ولا يَرشَحُ على يَدِها إناءٌ * فلمّا أكدى استعطافُها * وكَدَّها مَطافُها * عادَتْ بالاسترجاع * ومالَتْ الى ارتجاعِ الرِّقاع * وأنساها الشَّيطانُ ذِكْرَ رُقْعَتي * فلَمْ تَعُجْ الى بُقْعَتي * وآبَتْ الى الشيخ باكيةً للحِرْمان * شاكيةً تَحامُلَ الزَّمان * فقال إنّا لله * وأُفوِّضُ أمْرِي الى الله * ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله * وانشد

نظم

لم يَبْقَ صافٍ ولا مُصافٍ * ولا مَعِينٌ ولا مُعِينٌ

وفي المساوي بدا التساوي * فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها أمني النفس وعديها * واجمعي الرقاع وعديها * فقالت لقد عددتها لما استعدتها * فوجدت يد الضياع * قد غالت احدى الرقاع * فقال تعساً لك يا لكاع * أتحرمين ويحك القنص والحبالة * والقبس والذبالة * انها لضغث على ابالة * فانصاعت تقتص مدرجها * وتنشد مدرجها * فلما ان أتتني قرنت بالرقعة * درهماً وقطعة * وقلت لها ان رغبت في المشوف المعلم * وأشرت الى الدرهم * فبوحي بالسر المبهم * وان أبيت ان تشرحي * فخذي القطعة واسرحي * فمالت الى استخلاص البدر التم * والأبلج الهم * وقالت دع جدالك * وسل عما بدا لك * فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته * والشعر وناسج بردته * فقالت ان الشيخ من أهل سروج * وهو الذي وشى الشعر المنسوج * ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق * ومرقت مروق السهم الراشق * فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه * وتأجج كربي لمصابه بناظريه * وآثرت ان أفاجئه وأناجيه * لأعجم عود فراستي فيه * وما كنت لأصل اليه الا بتخطي رقاب الجمع * المنهي عنه في الشرع * وعفت ان يتأذى بي قوم * او يسري الي لوم * فسددت بمكاني * وجعلت شخصه قيد عياني * الى ان انقضت الخطبة * وحقت الوثبة * فخففت اليه * وتوسمته على التئام جفنيه * فاذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس * وفراستي فراسة اياس * فعرفته حينئذ شخصي * وآثرته بأحد قمصي * وأهبت الى قرصي * فهش لمعارفتي وعرفاني * ولبى دعوة رغفاني * فانطلق

ويَدِي زِمامَهُ * وظِلّي إمامَهُ * والعجوزُ ثالثةُ الأثافي * والرَّقيبُ الّذي لا يَخفى عليه خافٍ *
ولمّا استحلسَ وُكْنتي * واحضرتُه عُجالةَ مُكْنتي * قال يا حارِث * أمَعَنا ثالث * فقلتُ ليس
الّا العجوزُ * فقال ما دونَها سِرٌّ محجوز * ثمّ فتح كريمتَيْه * ورأرأ بتَوْأمتَيْه * فاذا سِراجا
وَجْهِه يَقِدان * كانّهما الفَرْقَدان * فابْتهجتُ بسلامة بَصَرِه * وعَجِبْتُ من غرائب
سِيَرِه * ولم يُلْقِنِي قرارٌ * ولا طاوعَني اصطبارٌ * حتى سألتُه ما دَعاك الى التّعامي *
مع سَيرك في المَعامي * وجَوْبِك المَوامي * وايغالِك في المَرامي * فتظاهَرَ باللُّكْنة *
وتشاغَلَ باللُّهْنة * حتى اذا قضى وَطَره * أتْأَرَ اليَّ نَظَرَه * وانشد *

نظم

ولمّا تعامى الدَّهْرُ وهوَ أبُو الوَرى * عن الرُّشْدِ في انحائِه ومَقاصِدِه
تعامَيْتُ حتى قِيلَ انّي اخو عمًى * ولا غَرْوَ ان يَحذُو الفتى حَذْوَ والِدِه

ثم قال لي انْهَضْ الى المَخْدَع فأْتِني بغَسُولٍ يرُوقُ الطَّرْفَ * ويُنقّي الكَفَّ * ويُنعّم
البَشَرة * ويُعطّر النَّكْهَة * ويَشُدُّ اللِّثَةَ * ويُقوّي المَعِدَةَ * وليَكُنْ نظيفَ الظَّرْف * ارِيجَ
العَرْف * فَتِيَّ الدَّق * ناعِمَ السَّحْق * يَحسَبُه اللامِسُ ذَرورًا * ويَخالُه النّاشِقُ كافورًا *
واقرِنْ به خِلالةً نَقيّةَ الأصل * محبوبةَ الوَصْل * انيقةَ الشَّكْل * مَدْعاةً الى الأكْل * لها
نَحافةُ الصَّبّ * وصِقالُ العَضْب * وآلةُ الحَرْب * ولُدونةُ الغُصْنِ الرَّطْبِ * قال
فنهضتُ كما امَر * لا دْرأَ عنه الغَمَر * ولم اَهِمْ انّه قصدَ ان يَخدَع * بادخالي المَخدع *
ولا تظنّيتُ انّه سَخِرَ من الرَّسول * في استدعاء الخِلالة والغَسول * فلمّا عُدتُ بالمُلتمَس *

في أقرب من رجع النفس * وجدت الجوّ قد خلا * والشيخ والشيخة قد أجفلا * فاستشطت من مكره غضبا * وأوغلت في إثره طلبا * فكان كمن قمس في الماء * أو عرج به إلى عنان السماء *

المقامة الثامنة المعرّية

أخبر الحارث بن همّام قال رأيت من أعاجيب الزمان * أن تقدّم خصمان * إلى قاضي معرّة النعمان * أحدهما قد ذهب منه الأطيبان * والآخر كأنّه قضيب البان * فقال الشيخ أيّد الله القاضي * كما أيّد به المتقاضي * إنّه كانت لي مملوكة رشيقة القدّ * أسيلة الخدّ * صبور على الكدّ * تخبّ أحيانا كالنهد * وترقد أطوارا في المهد * وتجد في تمّوز مسّ البرد * ذات عقل وعنان * وحدّ وسنان * وكفّ ببنان * وفم بلا أسنان * تلدغ بلسان نضناض * وترفل في ذيل فضفاض * وتجلى في سواد وبياض * وتسقى ولكن من غير حياض * ناصحة خدعة * خبأة طلعة * مطبوعة على المنفعة * ومطواعة في الضيق والسعة * إذا قطعت وصلت * ومتى فصلتها عنك انفصلت * وطالما خدمتك فجمّلت * وربّما جنت عليك فآلمت وململت * وإنّ هذا الفتى استخدمنيها لغرض * فأخدمته إيّاها بلا عوض * على أن يجتني نفعها * ولا يكلّفها إلّا وسعها * فأولج فيها متاعه * وأطال بها استمتاعه * ثمّ أعادها وقد أفضاها * وبذل عنها قيمة لا أرضاها * فقال الحدث أمّا الشيخ فأصدق من القطا * وأمّا الإفضاء ففرط عن خطا * وقد رهنته * عن أرش ما أوهنته * مملوكا لي متناسب الطرفين * منتسبا إلى القين * نقيّا من الدرن والشين * يقارن محلّه

سوادَ العين * يُغشي الاحسانَ * ويُنشئ الاستحسانَ * ويُغذّي الانسانَ * ويتحامى اللسان * ان سُوِّدَ جادَ * وإن وُسِمَ أجادَ * واذا زُوِّدَ وهبَ الزادَ * ومتى استُزيدَ زادَ * لا يستقرّ بمغنًى * وقلّما ينكحُ الّا مثنى * يسخو بموجوده * ويسمو عند جوده * وينقادُ مع قرينته * وإن لم تكن من طينتهِ * ويستمتع بزينتهِ * وان لم يطمع في لينتهِ * فقال لهما القاضي إمّا أن تُبينا * وإلّا فبِينا * فابتدرَ الغلامُ وقال *

نظم

أعارني إبرةً لأرفوَ أطما * راً عفاها البلى وسوّدها
فانخرمت في يدي على خطأٍ * منّي لمّا جذبتُ مقوَدها
فلم يرَ الشيخُ أن يسامحني * بأرشها إذ رأى تأوّدها
بل قال هاتِ إبرةً تماثلها * أو قيمةً بعد أن تجوّدها
واعتاقَ ميلي رهناً لديه وما * هيكَ بها سُبّةً تزوّدها
فالعينُ مرهى لرهنه ويدي * تقصُرُ عن أن تفكّ مروَدها
فاسبُر بذا الشرحِ غورَ مسكنتي * وارثِ لمن لم يكن تعوّدها

فأقبلَ القاضي على الشيخ وقال إيهٍ * بغير تمويهٍ * فقال *

نظم

أُقسم بالمشعر الحرام ومن * ضمّ من الناسكين خيفُ منى
لو ساعفتني الأيّامُ لم ترني * مرتهناً ميلَه الذي رهنا
ولا تصدّيتُ أبتغي بدلاً * من إبرةٍ غالها ولا ثمنا

لٰكِنَّ قَوْسَ الخُطوبِ ترشُقني * بِمُصْمِياتٍ مِن هٰا هُنا و هُنا
و خُبْرُ حالي كخُبْرِ حالتِهِ * ضُرّاً و بُؤْساً و غُرْبةً و ضَنى
قد عَدَلَ الدَّهْرُ بيننــا فأنا * نظيرُهُ في الشَّقاءِ و هو أنا
لا هو يستطيع فَكَّ مِرْوَدِهِ * لمّا غَدا في يَدَيَّ مُرْتَهَنــا
ولا مجالي لضِيقِ ذاتِ يَدي * فيه اتّساعٌ للعفو حين جَنى
فهٰــذِهِ قِصَّتي و قِصَّتُــه * فانظُــرْ إلينا و بيننا و لَنا

فلمّا وَعى القاضي قَصَصَهما * وتبيّن خصاصتَهما وتخصّصهما * أبرز لهما ديناراً من تَحْتِ مُصَلّاه * وقال اقطَعا بهِ الخِصامَ وافصِلاه * فتلقّفه الشيخُ دُونَ الحَدَث * واستخلصه على وَجْهِ الجِدّ لا العَبث * وقال للحَدَثِ نِصْفُه لي بسَهْمِ مَبَرّتي * وسَهْمُك لي عن أرْشِ أبرتي * ولستُ عن الحقِّ أمِيلُ * فقُــم وخُذِ المِيلَ * فعرى الحَدَثَ * لما حَدَثَ * اكتئابٌ وَجَم له قلبُ القاضي * وهيَّج أسَفَه على الدينارِ الماضي * إلّا أنّه جَبَر بالَ الفتى وبَلْباله * بدُرَيْهِماتٍ رَضَخ بها له * وقال لهما اجْتَنِبا المعامَلاتِ * وادْرَءا المخاصَماتِ * ولا تحضُراني في المحاكَمات * فما عِندي كِيسُ الغَراماتِ * فنهضا من عِندِه * فَرِحَيْنِ بِرِفْدِه * مُفْصِحَيْنِ بحَمْدِه * والقاضي ما يَخْبُو ضَجَرُه * مُذْ بَضَّ حَجَرُه * ولا ينْصُل كَمَدُه * مذ رَشَحَ جَلْمَدُه * حتى إذا أفاق من غَشْيَته * أقبلَ على غاشِيَتِهِ * وقال قد أُشْرِبَ حِسّي * ونَبَّأني حَدْسي * أنّهما صاحبا دَهاءٍ * لا خَصْما ادّعاءٍ * فكيفَ السبيلُ الى سَبْرِهما *

واستنباط سرهما * فقال له نحرير زمرته * وشرارة جمرته * انه لن يتم استخراج خبأهما * الا بهما * فقفاهما عونا يرجعهما اليه * فلما مثلا بين يديه * قال لهما اصدقاني سن بكركما * ولكما الامان من تبعة مكركما * فاحجم الحدث واستقال * واقدم الشيخ وقال *

نظم

انا السروجي وهذا ولدي * والشبل في المخبر مثل الاسد
وما تعدت يده ولا يدي * في ابرة يوما ولا في مرود
وانما الدهر المسيء المعتدي * مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد * وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد * بالجد ان اجدى والا باللدد
لنجلب الرشح الى الحظ الصدي * وننفد العمر بعيش انكد
والموت من بعد لنا بالمرصد * ان لم يفاجي اليوم فاجي في غد

فقال له القاضي لله درك فما اعذب نفثات فيك * وواها لك لولا خداع فيك * واني لك لمن المنذرين * وعليك من الحذرين * فلا تماكر بعدها الحاكمين * واتق سطوة المتحكمين * فما كل مسيطر يقيل * ولا كل اوان يسمع القيل * فعاهده الشيخ على اتباع مشورته * والارتداع عن تلبيس صورته * وفصل عن جهته * والختر يلمع من جبهته *
قال الحارث بن همام فلم ارا عجب منها في تصاريف الاسفار * ولا قرأت مثلها

في تصانيف الأسفار *

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب * وهوى الاكتساب * الى أن جبت ما بين فرغانة * وغانة * أخوض الغمار * لأجني الثمار * وأقتحم الأخطار * لكي أدرك الأوطار * وكنت لقفت من افواه العلماء * وثقفت من وصايا الحكماء * أنه يلزم الاديب الاريب * اذا دخل البلد الغريب * أن يستميل قاضيه * ويستخلص مراضيه * ليشتد ظهره عند الخصام * ويأمن في الغربة جور الحكام * فاتخذت هذا الادب اماما * وجعلته لمصالحي زماما * فما دخلت مدينة * ولا ولجت عرينة * الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح * وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح * فبينما انا عند حاكم الاسكندرية * في عشية عرية * وقد أحضر مال الصدقات * ليفضه على ذوي الفاقات * اذ دخل شيخ عفرية * تعتله امرأة مصبية * فقالت أيد الله القاضي * وأدام به التراضي * اني امرأة من اكرم جرثومة * واطهر أرومة * واشرف خؤولة وعمومة * ميسمي الصون * وشيمتي الهون * وخلقي نعم العون * وبيني وبين جاراتي بون * وكان ابي اذا خطبني بناة المجد * وأرباب الجد * سكتهم وبكتهم * وعاف وصلتهم وصلتهم * واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفة * أن لا يصاهر غير ذي حرفة * فقيض القدر لنصبي ووصبي * أن حضر هذا الخدعة نادي ابي * فأقسم بين رهطه * انه وفق شرطه * وادعى أنه طالما نظم

دُرَّةً الى دُرَّة * فباعهما ببدرة * فاغترّا بى بزخرفة مُحاله * وزوّجنيه قبل اختبار حاله * فلمّا استخرجني من كناسي * ورحّلني عن اُناسي * ونقلني الى كسره * وحصّلني تحت اَسره * وجدته قُعدة جُثمة * والفيته ضُجعة نُومة * وكنت صحبته برياش وزيّ * واَثاث وريّ * فما برح يبيعه في سُوق الهضم * ويتلف ثمنه فى الخضم والقضم * الى اَن مزّق مالى بأسره * وانفق مالي في عُسره * فلمّا اَنساني طعم الرّاحة * وغادر بيتي اَنقى من الرّاحة * قلتُ له يا هذا انّه لا مخبأ بعد بُوس * ولا عطر بعد عروس * فانهض للاكتساب بصناعتك * واجتني ثمرة براعتك * فزعم اَنّ صناعته قد رُميت بالكساد * لما ظهر فى الارض من الفساد * ولى منه سُلالة * كانّه خلالة * وكلانا ما ينال معه شبعة * ولا ترقأ له من الطّوى دمعة * وقد قُدته اليك * واحضرته لديك * لتعجم عود دعواه * وتحكم بيننا بما اراك الله * فاقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك * فبرهن عن نفسك * والّا كشفت عن لبسك * وامرت بحبسك * فاطرق اطراق الافعوان * ثم شمّر للحرب العوان * وقال *

نظم

اِسمع حديثي فانّه عَجَبُ * يُضحك من شرحه ويُنتحبُ

اَنا امرؤٌ ليس في خصائصه * عيبٌ ولا في فخاره ريَبُ

سُروج داري التي وُلدتُ بها * والاَصل غسّان حين اَنتسبُ

وشُغلي الدّرس والتّبحّر في الـعلم طلابي وحبّذا الطّلبُ

ورأسُ مالِيَ سِحْرُ الكلامِ لَذِي * مِنْهُ يُصاغُ القريضُ والخُطَبُ
أغوصُ في لُجّةِ البيانِ فاخْتا * رُ اللآلِيْ منها وأنتخِبُ
وأجتني اليانِعَ الجَنِيَّ من الـ * ـقولِ وغيري للعُودِ مُحتطِبُ
وآخُذُ اللفظَ فِضّةً فإذا * ما صُغْتُهُ قيلَ إنّه ذَهَبُ
وكنتُ من قبلُ أمترِي نَشَبًا * بالأدبِ المُقتنَى وأحتلِبُ
ويمتطِي أخْمَصِي لُحْرِ منهِ * مَراتِبًا ليس فوقَها رُتَبُ
وطالَما زُفّتِ الصِّلاتُ إلى * رَبْعِي فلم أرضَ كلَّ من يَهَبُ
فاليومَ مَن يَعلَقُ الرجاءُ بهِ * أكسدُ شيءٍ في سُوقِهِ الأدَبُ
لا عِرْضُ أبنائِهِ يُصانُ ولا * يُرقَبُ فيهِمْ إلٌّ ولا سَبَبُ
كأنّهم في عِراصِهم جِيَفٌ * يُبْعَدُ من نَتنِها ويُجتنَبُ
فحارَ لُبّي لِما مُنيتُ به * من اللّيالي وصَرْفُها عَجَبُ
وضاقَ ذَرْعِي لِضِيقِ ذاتِ يَدِي * وساوَرَتْني الهمومُ والكُرَبُ
وقادَني دَهرِي المُليمُ إلى * سُلوكِ ما يَستشينُهُ الحَسَبُ
فبِعْتُ حتّى لم يَبْقَ لي لَبَدٌ * ولا بَتاتٌ إليه أنقلِبُ
وادّنتُ حتّى أثقلتُ سالِفتي * بحَمْلِ دَيْنٍ من دُونِهِ العَطَبُ
ثمّ طَوَيتُ الحشا على سَغَبٍ * خَمْسًا فلمّا أمَضَّنِي السَّغَبُ

لم أرَ إلّا جهـا زَها عَرَضا * أجُولُ في بيعه وأضطربُ
فجُلتُ فيه والنّفسُ كارهةٌ * والعينُ عبرى والقلبُ مكتئبُ
وَما تجاوَزتُ إذ عَبِثتُ به * حَدّ التّراضي فيحدُثُ الغضبُ
فإن يكن غاظَها توهُّمُها * أنّ بناني بالنّظم تكتسبُ
أو أنّني إذ عزمتُ خِطبتَها * زخرفتُ قولي لينجحَ الأرَبُ
فوالّذي سارتِ الرّفاقُ الى * كعبتهِ تستحثّها النُّجُبُ
ما المكرُ بالمحصَنات من خُلُقي * ولا شِعاري التّمويهُ والكذبُ
ولا يدي مُذ نشأتُ نِيطَ بها * إلّا مواضي اليراعِ والكُتُبُ
بل فكرتي تنظمُ القلائدَ لا * كفّي وشِعري المنظومُ لا السُّخُبُ
فهذه الحرفةُ المُشارُ الى * ما كنتُ أحوي بها وأجتلبُ
فأذَن لشرحي كما أذِنتَ لها * ولا تُراقبْ واحكمْ بما يجبُ

قال فلمّا أحكمَ ما شادَه * وأكملَ إنشادَه * عطفَ القاضي الى الفتاةِ * بعد أن شُغِفَ بالأبيات * وقال أمَا إنّه قد ثبتَ عند جميع الحُكّام * ووُلاةِ الأحكام * انقراضُ جيلِ الكِرام * ومَيلُ الأيّام الى اللِّئام * وإنّي لإخالُ بعلَكِ صَدوقًا في الكلام * بريًّا من المَلام * وها هو قد اعترف لكِ بالقَرض * وصرّح عن المَحض * وبيّنَ مِصداقَ النّظم * وتبيّنَ أنّه معروقُ العَظم * وإعناتُ المُعذِرِ مَلأمةٌ * وحبسُ المُعسِرِ مأثَمةٌ * وكِتمانُ الفقرِ زَهادةٌ *

وانتظارُ الفَرَج بالصبرِ عِبادةٌ * فارجِعي الى خِدرِكِ * واعذِرِي اَبا عُذرِكِ * ونَهنِهِي من غَربِك * وسَلِّمِي لقضاءِ رَبِّكِ * ثم اِنّه فَرَض لهما في الصَّدَقاتِ حِصّةً * وناوَلهما من دراهِمها قَبْضةً * وقال لهما تَعلّلا بهٰذه العُلالة * وتَنَدَّيا بهٰذه البُلالة * واصْبِرا على كَيْدِ الزمان وكَدِّه * فعسى اللّهُ اَنْ ياتيَ بالفتح او اَمْرٍ من عنده * فنهضا وللشيخ فَرْحةُ المُطْلَق من الإئسار * وهِزَّةُ المُوسِر بعدَ الاعسار * قال الرّاوي وكنتُ عَرَفتُ اَنّه ابوزيد ساعةَ بَزغتْ شَمْسُه * ونَزَغَتْ عِرْسُه * وكِدتُّ أُفْصِحُ عن افتنانه * واِثْمارِ اَفنانه * ثم اَشْفقتُ من عُثورِ القاضي على بُهْتانه * وتزويقِ لسانه * فلا يَرى عند عِرْفانه * اَن يُرَشِّحَه لاحسانه * فاَحْجَمتُ عن القول اِحْجامَ المُرتاب * وطَوَيتُ ذِكْرَه كطَيِّ السِّجِلّ للكِتاب * اِلّا اَنّي قلتُ بعد ما فَصَل * ووَصَل الى ما وَصَل * لواَنَّ لنا من يَنطلِقُ في اَثَرِه * لاَتانا بفَصِّ خَبَرِه * وما ينشُر من حِبَرِه * فاَتْبَعَه القاضي اَحَدَ اُمَنائه * واَمَره بالتجسُّسِ من اَنبائه * فما لَبِثَ اَن رَجَع مُتَدَهْدِهاً * وقَهْقَرَ مقهقِهاً * فقال له القاضي مَهْيَمْ * يا ابامريم * فقال لقد عاينتُ عَجَباً * وسَمِعتُ ما انشألي طَرَباً * فقال له ماذا رَاَيتَ * وما الذي وَعَيتَ * قال لم يَزَلِ الشيخُ مُذْ خَرَج يُصَفِّق بيَدَيْه * ويُخالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْه * ويُغَرِّد بمِلْءِ شِدْقَيْه * ويقول *

نظم

كِدتُ اُصْلى بِبَلِيّة * من وَقاحٍ شَمَّرِيّة
واَزُورُ السِّجنَ لولا * حاكمُ الاسكندرِيّة

فضحك القاضي حتى هَوَتْ دَنِّيَّتُه * وَذَوَتْ سكينتُه * قال فلمّا فاءَ الى الوَقار * وعقّب الاستغرابَ بالاستغفار * قال اللّهمّ بحُرمةِ عبادِكَ المقرَّبين * حرِّمْ حَبْسي على المتأدّبين * ثمّ قال لذلك الامين علَيَّ به * فانطلق مُجِدًّا في طَلَبه * ثمّ عادَ بعدَ لأْيِه * مُخبرًا بنَأْيِه * فقال القاضي اَمَا إنّه لو حضَر * لكُفِيَ الحَذَرَ * ثمّ لاَوْلَيتُه ما هو به اَوْلى * ولَاَرَيتُه اَنّ الآخرةَ خيرٌ له من الاُولى * قال الحارث بن همام فلمّا رأيتُ صَغْوَ القاضي اليه * وفوتَ ثمرةِ التنبيه عليه * غشِيَتْني ندامةُ الفرزدق حين ابانَ النَّوارَ * او الكُسَعِيّ لمّا استبانَ النَّهارُ *

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتَفَ بي داعي الشَّوقِ * الى رَحْبةِ مالكِ بنِ طَوْق * فلبّيتُه مُمتطيًا شِمِلَّةً * ومُنتضيًا عزمةً مُشمعِلَّةً * فلمّا اَلقيتُ بها المراسي * وشدَدتُ اَمْراسي * وبرزتُ من الحمّامِ بعدَ سبْتِ راسي * رأيتُ غلامًا أُفرِغَ في قالَبِ الجمال * واُلبِسَ من الحُسنِ حُلّةَ الكمال * وقد اعتلق شيخٌ بُرْدَنِه * يدّعِي اَنّه فتَكَ بابنِه * والغلامُ يُنكِر عِرفتَه * ويُكبِر قِرفتَه * والخصامُ بينهما مُتطايرُ الشِّرار * والزِّحامُ عليهما يَجمع بين الاَخيار والاَشرار * الى اَنْ تراضَيا بعدَ اشتطاطِ اللَّدَد * بالتنافرِ الى والي البلَد * وكان ممّن يُزَنّ بالهَنات * ويُغلِّبُ حُبَّ البنينَ على البَنات * فاَسرَعا الى نَدْوتِه * كالسُّلَيكِ في عَدْوَتِه * فلمّا حَضَراه * جدَّدَ الشيخُ دَعْواه * واستَدْعى عَدْواه * فاستَنْطَقَ

الغُلامُ وقد فتنه بمحاسن غُرّته * وطرّ عقله بتصفيف طُرّته * فقال إنّها إفيكةُ أفّاكٍ *
على غير سفّاكٍ * وعضيهةُ محتالٍ * على من ليس بمُغتالٍ * فقال الوالي للشيخ إن شهد
لك عدلانِ من المسلمين * وإلّا فاستوفِ منه اليمين * فقال الشيخ إنّه جدّله خاليًا *
وأفاح دمه خاليا * فأنّى لي شاهدٌ * ولم يكن ثمّ مُشاهِدٌ * ولكن ولّني تلقية اليمين *
ليبين لك أيصدُق أم يمين * فقال له أنت المالكُ * لذلك * مع وجدك المنهالك *
على ابنك الهالك * فقال الشيخ للغلام قُل والّذي زيّن الجباه بالطُّرر * والعيون بالحور *
والحواجب بالبلج * والمباسم بالفلج * والجفون بالسّقم * والأنوف بالشّمم * والخدود باللهب *
والثّغور بالشّنب * والبنان بالتّرف * والخصور بالهيف * إنّني ما قتلت ابنك سهوًا
ولا عمدًا * ولا جعلت هامته لسيفي غمدًا * وإلّا فرمى اللّهُ جفني بالعمش * وخدّي
بالنّمش * وطُرّتي بالجلح * وطلعي بالبلح * وورْدي بالبهار * ومسكتي بالبخار *
وبدري بالمحاق * وفضّتي بالاحراق * وشعاعي بالإظلام * ودواتي بالأقلام * فقال
الغلامُ الاصطلاء بالبليّة * ولا الإيلاء بهذه الألية * والانقياد للقود * ولا الحلف بما
لم يحلف به أحد * وأبى الشيخُ إلّا تجريعه اليمين التي اخترعها * وأمقر له جرعها * و
لم يزل التلاحي بينهما يستعر * ومحجّةُ التّراضي تعر * والغلام في ضمن تأبّيه * يخلب
الوالي بتلوّيه * ويطمعه في أن يلبّيه * إلى أن ران هواه على قلبه * والبّ بلبّه * وسوّل له
الوجدُ الذي تيّمه * والطّمعُ الذي توهّمه * أن يخلّص الغلام ويستخلصه * وأن ينقذه من

حِبالةِ الشَّيخ ثم يَقْتَنِصَه * فقال للشيخ هل لك فيما هو اَلْيَق بالاَقوى * واَقربُ للتقوى *
فقال الَمِ تُشِيرُ لاَقتفيه * ولا اَقِفَ فيه * قال اَرى اَن تُقْصِرَ من القِيل والقال * وتَقْتَصِرَ
على مائة مِثقال * لا تحمَّلَ منها بَعْضًا * واَجْنِيَ الباقيَ لك عَرَضًا * فقال الشيخُ ما مِنّى
خِلافٌ * فلا يَكُنْ لِوَعْدِك اِخلافٌ * فَنَقَدَه الوالي عِشرِين * ووَزَّع على وَزَعَتِه تكملةَ
خَمْسين * ورَقَّ ثوبُ الاَصِيل * وانقطع لاَجْلِه صَوْبُ التحصيل * فقال له خُذْ ما راجَ *
ودَعِ اللَّجاجَ * وعليَّ في غدٍ ان اَتوصَّلَ * الى اَن يَنِضَّ لك الباقي ويَتحصَّلَ * فقال
الشَّيخُ اَفعلُ ذاك على ان الازمَه ليلتى * ويَرعاه اِنسانُ مُقْلَتى * حتى اذا اَسفرَ بعدَ
اِسْفارِ الصُّبْحِ * بما بَقِيَ من مال الصُّلْحِ * تَخلّصتْ قائبةٌ من قُوبٍ * وبَرِئَ بَراءةَ
الذئب من دمِ ابنِ يعقوب * فقال له الوالي ما اَراكَ سُمْتَ شَطَطًا * ولا رُمْتَ فَرَطًا *
قال الحارث بن همام فلمّا رأيتُ حُجَجَ الشيخ كالحُجَجِ السُّرَيْجِيَّة * علمتُ اَنه عَلَمُ
السَّروجيَّة * فلَبِثْتُ الى اَن زَهَرتْ نُجومُ الظَّلام * وانتَثَرتْ عُقودُ الزِّحام * ثم قصدتُ
فِناءَ الوالي * فاذا الشيخُ للفتى كالِي * فنَشَدتُه اللهَ اَهو ابو زيد * فقال اِيْ ومُحِلِّ
الصَّيْد * فقلتُ مَن هذا الغلامُ * الذى هَفَتْ له الاَحلامُ * فقال هو فى النَّسَب فَرْخِي *
وفى المَكْسَب فَخِّي * قلتُ فهلّا اكتفيتَ بمَحاسِن فِطْرَتِه * وكَفيتَ الوالي الافتتانَ
بطُرَّتِه * فقال لو لم تَبرُزْ جَبهتُه السِّينَ * لما قَنَفْشتُ الخمسينَ * ثم قال بِتِ الليلةَ عندى
لنُطْفِئَ نارَ الجَوى * ونُدِيلَ الهَوى من النَّوى * فقد اَجمعتُ على ان انسَلَّ بسُحْرة *

وأصلى قلب الوالى نار حسرة * قال فقضيت الليلة معه في سمر * آنق من حديقة زهر * وخميلة شجر * حتى اذا لألأ الأفق ذنب السرحان * وآن انبلاج الفجر وحان * ركب متن الطريق * وأذاق الوالى عذاب الحريق * وسلم الى ساعة الفراق * رقعة محكمة الالصاق * وقال ادفعها الى الوالى اذا سلب القرار * وتحقق منا الفرار * ففضضتها فعل المتلمس * من مثل صحيفة المتلمس * فاذا فيها مكتوب *

نظم

قل لوال غادرته بعد بينى * نادما ساد ما يعض اليدين

سلب الشيخ ماله وفتاه * لبه فاصطلى لظى حسرتين

جاد بالعين حين أعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين

خفض الحزن يا معنى فما يجـ * ـدى طلاب الآثار من بعد عين

ولئن جل ما عراك كما جل * لدى المسلمين رزء الحسين

فقد اعتضت منه فهما وحزما * واللبيب الاريب يبغى ذين

فاعص من بعدها المطامع واعلم * ان صيد الظباء ليس بهين

لا ولا كل طائر يلج الفخ * ولو كان محدقا بالّلجين

ولكم من سعى ليصطاد فاصطيـ * ـد ولم يلق غير خفى حنين

فتبصر ولا تشم كل برق * رب برق فيه صواعق حين

واغضض الطرف تسترح من غرام * تكتسى فيه ثوب ذل وشين

فبلاءُ الفتى اِتّباعُ هَوى النّفْسِ وبَذْرُ الهَوى طُموحُ العَيْنِ

قالَ الرّاوي فمزّقتُ رقعتَه شَذَرَ مَذَرَ * ولم اُبَلِ اَعَذَلَ اَمْ عَذَرَ *

المقامة الحادية عشر الساوية

حدّث الحارث بن همام قال آنستُ من قلبي القَساوة * حين حَلَلْتُ ساوَةَ * فاخذتُ بالخَبَرِ المأثُور * في مُداواتها بزيارة القُبور * فلمّا صِرْتُ الى مَحلّة الاَموات * وكِفات الرُّفات * رأيتُ جمْعًا على قبرٍ يُحفَر * ومَجْنوزٍ يُقبَر * فانحزْتُ اليهم مُفكّرًا في المآل * ومُتذكّرًا مَنْ دَرَجَ مِنَ الآل * فلمّا اُلْحِدَ الميْت * وفات قولُ لَيْت * اَشرفَ شيخٌ من رُباوةٍ * مُتخصّرٍ بهِراوةٍ * وقد لفّع وجهَه بردائِه * ونكّر شخصَه لدَهائِه * فقال لمِثلِ هذا فليَعمَلِ العامِلون * فادّكِروا اَيُّها الغافِلون * وشمّروا اَيُّها المُقصِّرون * واَحسِنوا النّظرَ اَيُّها المُتبصِّرون * ما لكم لا يَحزُنكم دَفْنُ الاَتْراب * ولا يَهولُكم هَيْلُ التُّراب * ولا تَعبأُون بنَوازِلِ الاَحداث * ولا تستعِدّون لنُزولِ الاَجْداث * ولا تَستعبِرُون لعَيْنٍ تَدْمَع * ولا تعتَبِرون بنَعِيٍّ يُسمَع * ولا ترتاعُون لاِلْفٍ يُفقَد * ولا تلتاعُون لمَناحةٍ تُعقَد * يُشيّع اَحدُكم نعشَ الميْتِ * وقلبُه تِلْقاءَ البيْت * ويَشهَدُ مُواراةَ نسيبِه * وفِكرُه في استِخلاصِ نصيبِه * ويُخلّى بين وَدودِه ودُودِه * ثم يَخلُو بمِزمارِه وعُودِه * طالما اَسِيتُم على انثلامِ الحَبّة * وتناسَيتم اخترامَ الاَحِبّة * واستكَنتم لاعتِراضِ العُسْرة * واستهَنتم بانقِراضِ الاُسْرة * وضحِكتم عند الدّفْن * ولا ضحِكَكم ساعةَ الدّفن وتبختَرتم خَلْفَ الجَنائِز * ولا تبختُرَكم

يوم قَبْضِ الجوائز * وأعرضتم عن تعديدِ النَّوادِب * الى إعْدادِ المآدِب * ومن تحرّقِ النَّواكِل * الى التأنُّقِ في المآكِل * لا تُبالون بمَنْ هو بالٍ * ولا تُخطِرون ذِكْرَ الموت ببالٍ * حتى كأنّكم قد عَلِقتم من الحِمام * بذِمام * او حصلتم من الزَّمان * على أمان * او وثقتم بسلامة الذات * او تحقّقتم مُسالمةَ هادِمِ اللّذّات * كلّا ساءَ ما تتوهّمون * ثم كلّا سوف تعلمون * ثم أنشد *

نظم

أيا من يدّعي الفَهْمَ * الى كم يا أخا الوَهْمِ
تُعبّي الذَّنْبَ والذَّمَّ * وتُخطِي الخطأَ الجَمّ
أما بانَ لك العَيْبُ * أما أنذرك الشَّيْبُ
وما في نُصْحِهِ رَيْبُ * ولا سَمْعُك قد صَمّ
أما نادى بك الموتُ * أما أسْمَعك الصَّوْتَ
أما تَخشى من الفَوْتِ * فتَحتاطَ وتَهْتَمّ
فكَمْ تَسْدُرُ في السَّهْوِ * وتَختالُ من الزَّهْوِ
وتَنْصَبُّ الى اللَّهْوِ * كأنَّ الموتَ ما عَمّ
وحتّامَ تجافيك * وإبطاءُ تلافيك
طِباعاً جَمَعَتْ فيك * عيوباً شَمْلُها انضَمّ
إذا أسْخَطْتَ مَوْلاك * فما تقلقُ من ذاك

وإن أخفق مسعاك * تلظيت من الهم

وإن لاح لك النقش * من الأصفر تهتش

وإن مر بك النعش * تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر * وتعتاص وتزور

وتنقاد لمن غر * ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس * وتحتال على الفلس

وتنسى ظلمة الرمس * ولا تذكر ما ثم

ولولا خطك الحظ * لما طاح بك اللحظ

ولا كنت إذا الوعظ * جلا الأحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع * إذا عاينت لا جمع

يقي في عرصة الجمع * ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط * إلى اللحد وتنغط

وقد أسلمك الرهط * إلى أضيق من سم

هناك الجسم ممدود * ليستأكله الدود

إلى أن ينجز العود * ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد * من العرض إذا اعتد

صِراطٌ جِسْرُهُ مُدّ * على النارِ لِمَن أمّ

فكَمْ مِن مُرْشِدٍ ضَلّ * ومِنْ ذي عِزّةٍ ذَلّ

وكَمْ من عالِمٍ زَلّ * وقال الخَطْبُ قد طَمّ

فبادِرْ أيُّها الغُمْرُ * لِما يَحْلُو به المُرُّ

فقد كادَ يَهِي العُمْرُ * وما أقلعتَ عن ذَمّ

ولا تَرْكَنْ إلى الدّهْر * وإنْ لانَ وإنْ سَرّ

فَتُلْفى كَمَنِ اغْتَرّ * بأفْعى تَنفُثُ السّمّ

وخَفِّض من تَراقيك * فإنّ المَوْتَ لاقِيك

وسارٍ في تَراقيك * وما يَنْكُلُ إنْ هَمّ

وجانِبْ صَعَرَ الخَدّ * إذا ساعَدكَ الجَدّ

وزُمّ اللفظَ أنْ نَدّ * فما أسْعَدَ مَن زَمّ

ونَفِّسْ عن أخي البَثّ * وصَدِّقْه إذا نَثّ

ورُمِّ العَمَلَ الرَّثّ * فقد أفْلَحَ من رَمّ

ورِشْ مَن رِيشُه انْحَصّ * بما عَمّ وما خَصّ

ولا تأسَ على النّقص * ولا تَحْرِص على اللّمّ

وعادِ الخُلُقَ الرَّذْل * وعَوِّدْ كَفَّكَ البَذْل

ولا تستمع العذل * ونزّهها عن الضمّ
وزوّد نفسك الخير * ودع ما يعقب الضير
وهيّئ مركب السير * وخف من لجّة اليمّ
بذا اوصيت يا صاح * وقد بحت كمن باح
فطوبى لفتى راح * بآداب يأتمّ

ثم حسر رُدنه عن ساعدٍ شديد الأسر * قد شدّ عليه جبائر الماكر لا الكسر * متعرّضاً للاستماحة * في معرض الوقاحة * فاختلب به أولئك الملأ * حتى أترع كمّه وملأ * ثم انحدر من الربوة * جذلاً بالحبوة * قال الراوي فجاذبته من ورائه * حاشية ردائه * فالتفت اليّ مستسلماً * وواجهني مسلّماً * فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه * ومينه * فقلت له *

شعر

الى كم يا ابا زيد * أفانينك في الكيد
لينحاش لك الصيد * ولا تعبأ بمن ذمّ

فاجاب من غير استحياء * ولا ارتياء * وقال *

شعر

تبصّر ودع اللوم * وقل لي هل ترى اليوم
فتى لا يقمر القوم * متى ما دست تمّ

فقلت له بعداً لك يا شيخ النار * وزاملة العار * فما مثلك في طلاوة علانيتك * وخبثة

بُنَيَّتِكَ * الآمِثلُ رَوْثٍ مُفَضَّضٍ * اوكنيفٍ مُبَيَّضٍ * ثم تفرّقنا فانطلقتُ ذاتَ اليمين * وانطلقَ ذاتَ الشِّمالِ * وَناوحتُ مَهَبَّ الجنوبِ * وناوحَ مَهَبَّ الشَّمالِ *

المقامة الثانية عشر الدمشقية

حكى الحارثُ بن همّام قال شَخَصْتُ من العِراقِ الى الغُوطَةِ * وَاَنا ذُو جُرْدٍ مربوطةٍ * وجِدَةٍ مغبوطةٍ * يُلْهِيني خُلُوُّ الذَّرْعِ * ويزدهيني حُفولُ الضَّرْعِ * فلمّا بلغتُها بعدَ شِقِّ النَّفْسِ * وانضاءِ العَنَسِ * اَلفيتُها كما تَصِفُها الأَلسُنُ * وفيها ما تشتهي الأَنفُسُ وتَلَذُّ الأَعيُنُ * فشكرتُ يَدَ النَّوى * وجَرَيتُ طَلَقًا مع الهَوى * وطَفِقْتُ اَفُضُّ بها خُتومَ الشَّهَوات * وَاَجْتَني قُطوفَ اللَّذَات * الى اَن شرع سَفْرٌ في الإِعْراقِ * وقد استفقتُ من الإِغراقِ * فعادَني عِيدٌ من تَذكارِ الوَطَنِ * والحَنينِ الى العَطَنِ * فقوّضتُ خِيامَ الغَيبةِ * وَاَسرجتُ جَوادَ الأَوبةِ * ولمّا تَاَهَّبتِ الرِّفاقُ * واستتبَّ الاتّفاقُ * اَحْنا من المَسيرِ * دونَ استصحابِ الخَفيرِ * فرُدناهُ من كلِّ قَبيلةٍ * وَاَعمَلنا في تحصيلهِ اَلفَ حِيلةٍ * فاَعوزَ وِجدانُهُ في الأَحياءِ * حتّى خِلنا اَنَّهُ ليس من الأَحياءِ * فحارَتْ لِعَوَزِهِ عُزومُ السَّيّارةِ * وانتدَوا بِبابِ جَيرُونَ للاستشارةِ * فما زالوا بين عَقْدٍ وحَلٍّ * وشَزْرٍ وسَحْلٍ * الى اَن نَفِدَ التَّناجي * وقَنِطَ الرّاجي * وكان حِذَتَهم شخصٌ مِيسَمُهُ مِيسَمُ الشُّبّانِ * ولَبوسهُ لَبوسُ الرُّهبانِ * وبيدهِ سُبْحَةُ النِّسوانِ * وفي عَينيهِ تَرجَمَةُ النَّشوانِ * وقد قيّدَ لحظَهُ بالجمعِ * وَاَرهَفَ اُذنَهُ لاستراقِ السَّمعِ * فلمّا آنَ انكفاؤُهم * وقد بَرِحَ لهُ خَفاؤُهم * قال لهم يا قومِ لِيُفرِخْ كَرْبُكُم * ولِيَاْمَنْ

هربكم * فسأخفركم بما يسر وروعكم * ويبدو وطوعكم * قال الراوى فاستطلعنا منه طلع الخفارة * واسنينا له الجعالة عن السفارة * فزعم انها كلمات لقنها فى المنام * ليحترس بها من كيد الانام * فجعل بعضنا يومض الى بعض * ويقلب طرفيه بين لحظ وغض * وتبين له انا استضعفنا الخبر * واستشعرنا الخور * فقال ما لكم اتخذتم جدى عبثا * وجعلتم تبرى خبثا * ولطالما والله جبت مخاوف الاقطار * ولجت مقاحم الاخطار * فغنيت بها عن مصاحبة خفير * واستصحاب جفير * ثم انى ما نفى ما رابكم * واستسل الحذر الذى نابكم * بان اوافقكم فى البداوة * واوافقكم فى السماوة * فان صدقكم وعدى * فاجدوا واسعدى * واسعد واجدى * وان كذبكم فمى * فمزقوا ادمى * واريقوا دمى * قال الحارث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه * وتحقيق ما رواه * فنزعنا عن مجادلته * واستهمنا على معادلته * وفصمنا بقوله عرى الربائث * والغينا اتقاء العابث والعائث * ولما عكمت الرحال * وازف الترحال * استنزلنا كلماته الراقية * لنجعلها الواقية الباقية * فقال ليقرأ كل منكم ام القرآن * كلما اظل الملوان * ثم ليقل بلسان خاضع * وصوت خاشع * اللهم يا محيى الرفات * ويا دافع الآفات * ويا واقى المخافات * ويا كريم المكافاة * ويا موئل العفاة * ويا ولى العفو والمعافاة * صل على محمد خاتم انبيائك * ومبلغ انبائك * وعلى مصابيح اسرته * ومفاتيح نصرته * واعذنى اللهم من نزغات الشياطين * ونزوات السلاطين * واعنات الباغين * ومعاناة الطاغين * ومعاداة العادين * وعدوان

المُعادِين * وَغَلَبِ الغالِبِين * وَسَلَبِ السّالِبِين * وحِيَلِ المُحتالِين * وغِيَلِ المُغتالِين * واَجِرْني اللهمّ من جَوْرِ المُجاوِرِين * ومُجاوَرةِ الجائِرين * وكُفّ عَنّي اَكُفّ الضّائِمِين * واَخْرِجْني من ظُلُماتِ الظّالِمِين * واَدْخِلْني برَحْمتِك في عِبادِك الصّالِحِين * اللهمّ احفَظْني في تُرْبَتي * وغُرْبَتي * وغَيْبَتي * واَوْبَتي * ونُجْعَتي * ورَجْعَتي * وتَصَرُّفي ومُنصَرَفي * وتَقَلُّبي * ومُنقَلَبي * واحفَظْني في نَفْسي * ونَفائِسي * وعِرْضي * وعَرَضي * وعَدَدِي * وعُدَدِي * وسَكَني * ومَسْكَنِي * وحَوْلِي * وحالِي * ومَالِي ومآلي * ولا تُلْحِقْ بي تغييرًا * ولا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مُغَيِّرًا * واجعَلْ لي من لَدُنك سُلطانًا نصيـــرًا * اللهم احرُسْني بِعَيْنِك وَعَوْنِك * واخصُصْني بَامنِك ومَنِّك * وتوَلَّني باختيارك وخَيْرِك * ولا تَكِلْني الى كِلاءةِ غيرِك * وهَبْ لِي عافيةً غيرَ عافِيةٍ * وارزُقْني رفاهيةً غيرَ واهِيةٍ * واكْفِني مَخاشِيَ اللأْواء * واكْنُفْني بغواشِي الآلاء * ولا تُظْفِرْ بِي اَظفارَ الاَعْداء * اِنّك سميعُ الدُّعاء * ثمّ اَطرقَ لا يُدِيرُ لَحْظًا * ولا يُحِيرُ لفظًا * حتّى قُلنا قد اَبلَسَتْه خَشْيةٌ * اوَاَخرَسَتْه غَشْيةٌ * ثُمّ اَقنَعَ راسَه * وصَعّدَ اَنْفاسَه * وقال اُقسِمُ بالسَّماءِ ذاتِ الاَبْراج * والاَرْضِ ذاتِ الفِجاج * والماءِ الثَّجّاج * والسِّراجِ الوَهّاج * والبَحرِ العَجّاج * والهواءِ والعَجاج * انّها لَمِنْ اَيمَنِ العُوَذ * واَغْنى عنكم مِن لابِسي الخُوَذ * مَنْ دَرَسَها عِندَ ابتسامِ الفَلَق * لم يُشفِق من خَطْبٍ الى الشَّفَق * ومن ناجى بها طَليعةَ الغَسَق * اَمِن لَيلَتَه من السَّرَق * قال الراوي فتَلَقَّنّاها * حتّى اَتقَنّاها * وتَدارَسْناها * لِكَيْ لا نَنْساها * ثم سِرْنا نُزجي الحَمُولات

بالدّعوات لا بالحُداة * ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكُماة * وصاحبنا يتعهّدنا بالعشيّ والغداة * ولا يستنجز منّا العِدات * حتّى اذا آيَنّا أطلالَ عانة * قال لنا الإعانة الإعانة * فاحضرناه المعلوم * والمكتوم * وأريناه المعكوم * والمختوم * وقلنا له اقضِ ما انت قاض * فما تجد فينا غير راض * فما استخفّه سوى الخِفّ والزّين * ولا حلي بعينه غير العين * فاحتمل منهما وِقره * وناء بما يسدّ به فقره * ثمّ خالسنا مخالسة الطرّار * وانصلت منّا انصلات الفرّار * فأوحشنا فراقه * وأدهشنا انمراقه * ولم نزل ننشده بكل نادٍ * ونستخبر عنه كلّ مُغوٍ وهادٍ * الى أن قيل انّه مذ دخل عانة * ما زايل الحانة * فأغراني خبث هذا القول بسبكه * والانسلاك فيما لست من سلكه * فادّلجت الى الدّسكرة * في هيئة منكّرة * فاذا الشيخ في حلّة ممصّرة * بين دنان ومعصرة * وحوله سقاةٌ تبهر * وشموع تزهر * وآس وعبهر * ومزمار ومزهر * وهو تارةً يستبزل الدّنان * وطوراً يستنطق العيدان * ودفعةً يستنشق الرّيحان * وأخرى يغازل الغزلان * فلمّا عثرت على لبسه * وتفاوت يومه من أمسه * قلت له أولى لك يا ملعون * آأنسيت يوم جيرون * فضحك مستغرباً * ثمّ أنشد مطرباً *

نظم

لزمتُ السِّفارَ * وجبتُ القفارَ * وعفتُ النِّفارَ * لأجني الفرح

وخضتُ السّيولَ * ورضتُ الخيولَ * لجرّ ذيولِ * الصِّبا والمرح

ومِطتُ الوقارَ * وبعتُ العقارَ * لحسوِ العُقارِ * ورشفِ القدح

ولولا الطماح * الى شرب راح * لما كان باح * فمي بالملح

ولا كان ساق * دهاني الرفاق * لارض العراق * بحملي السبح

فلا تغضبن * ولا تصخبن * ولا تعتبن * فعذري وضح

ولا تعجبن * بشيخ ابن * بمغنى اغن * ودن طفح

فان المدام * تقوي العظام * وتشفي السقام * وتنفي الترح

واصفى السرور * اذا ما الوقور * اماط ستور * الحيا واطرح

واحلى الغرام * اذا المستهام * ازال اكتتام * الهوى وافتضح

فبح بهواك * وبرد حشاك * فزندا اساك * به قد قدح

وداو الكلوم * وسل الهموم * ببنت الكروم * التي تفترح

وخص الغبوق * بساق يسوق * بلاء المشوق * اذا ما طمح

وشاد يشيد * بصوت يميد * جبال الحديد * له ان صدح

وعاص النصيح * الذي لا يبيح * وصال المليح * اذا ما سمح

وجل في المجال * ولو بالمحال * ودع ما يقال * وخذ ما صلح

وفارق اباك * اذا ما اباك * ومد الشباك * وصد من سنح

وصاف الخليل * ونافِ البخيل * واول الجميل * ووال المنح

ولذ بالمتاب * امام الذهاب * فمن دق باب * كريم فتح

فقلتُ له بَخٍ بَخٍ لِرِوايتِك * وأُفٍّ وتُفٍّ لِغوايتِك * فباللهِ من أيّ الأعياصِ عِيصُك * فقد أعضلني عُوَيصُك * فقال ما أُحِبُّ أن أُفصِحَ عنّي * ولكنّي سأَكْنِي *

نظم

أنا أُظرُوفةُ الزَّمانِ وأُعجُوبةُ الأُمَم * وأنا الحُوَّلُ الّذي احتالَ في العُرْبِ والعَجَم
غيرَ أنّي ابنُ حاجةٍ هاضَهُ الدَّهْرُ واهتَضَم * وأبُو صِبْيةٍ بدَدٍ وامثَلَ لَحْمٍ على وَضَم
وأخُو العَيْلةِ المُعِيلُ * إذا احتالَ لم يُلَمْ

قال الرّاوي فعرفتُ حينئذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الرَّيْبِ والعَيْب * ومُسَوِّدُ وَجْهِ الشَّيْب * وساءَني عُظْمُ تمرُّدِه * وقُبْحُ تورُّدِه * فقلتُ له بلسانِ الأنَفَة * وإدلالِ المَعرِفة * ألَمْ يأْنِ لكَ يا شيخَنا * أنْ تُقلِعَ عن الخَنا * فتنَضَّجَر * وزمْجَرَ * وتنكَّرَ * وفكَّرَ * ثمّ قال إنّها ليلةُ مِراحٍ * لا تَلاحٍ * ونُهزةُ شُرْبِ راحٍ * لا كِفاحٍ * فدَعْ عمّا بدا * إلى أن نلتقيَ غدا * ففارقتُه فَرَقًا من عَرْبَدَتِه * لا تعلُّقًا بعِدَتِه * وبتُّ ليلتي لابِسًا حِدادَ النَّدَم * على نَقْلي خُطا القَدَم * إلى ابنةِ الكَرْم * لا الكَرَم * وعاهدتُ اللهَ سبحانَه أنْ لا أحضُرَ بعدها حانةَ نبّاذ * ولو أُعطيتُ مُلكَ بغداذ * ولا أشهدَ مَعصَرةَ الشَّراب * ولو رُدَّ عليَّ عصرُ الشَّباب * ثمّ إنّنا رَحَلْنا العِيسَ * وقتَ التَّغليس * وخلَّيْنا بين الشَّيخين أبي زيدٍ وإبليس *

المقامة الثالثة عشر البغدادية

روى الحارثُ بنُ همّامٍ قال نَدَوْتُ بضَواحي الزَّوراءِ * مع مَشْيَخةٍ من الشُّعَراءِ * لا يَعْلَقُ لهم مُبارٍ بغُبارٍ * ولا يَجري معهم مُمارٍ في مِضمارٍ * فأَفَضْنا في حديثٍ يَفضَحُ الأزهارَ *

الى اَن نَصَّفنا النَّهارَ * فلمّا غاضَ دَرُّ الأفكار * وَصَبَتِ النّفوسُ الى الأوكار * لمحنا عَجوزاً تُقبِل من البُعد * وتُحضِر اِحضارَ الجُرد * وقدِ اسْتَتلَتْ صِبيةً اَنحَفَ من المَغازِل * واَضعفَ من الجَوازِل * فما كَذَبَتْ اذ رَأَتْنا * اَن عرَتنا * حتى اذا ما حَضرَتْنا * قالت حَيّا اللهُ المَعارِفَ * واِنْ لم يكونوا مَعارِفَ * اِعلموا يا مآلَ الآمِل * وثمالَ الاَرامِل * اَنّي من سَرَواتِ القَبائِل * وَسرِيّاتِ العَقائِل * لم يَزلْ اَهلي وبَعلي يَحُلّون الصَّدْرَ * ويَسيرُون القَلبَ و يُمطُون الظَّهْرَ * ويُولُونَ اليَدَ * فلمّا اَردى الدّهْرُ الاَعضادَ * وفَجَع بالجَوارِح الأكبادَ * وانقلب ظَهْراً لِبَطْن * نَبا النّاظِرُ * وجَفا الحاجِبُ * وذَهبتِ العَيْنُ وفُقِدَتِ الرّاحةُ * وصَلَد الزَّنْد * وَوَهَتِ اليمينُ * وبانَتِ المَرافِقُ * ولم يَبْقَ لنا ثَنِيّةٌ ولا نابٌ * فمُذِ اغبَرَّ العَيْشُ الاخضرُ * وازوَرَّ المحبوبُ الاصفرُ * اسوَدَّ يومِيَ الابيَضُ * وابيَضَّ فَوْدِيَ الاَسودُ * حتّى رثى لِيَ العَدُوُّ الاَزرَقُ * فَحبّذا الموتُ الاحمرُ * وتِلوِيَ مَن تَرَوْن عَيْنُه فُرارُه * وتَرجمانُه اصفرارُه * قُصوى بُغيةِ اَحَدِهم ثُرْدةٌ * وقُصارى مُنْيَتِه بُرْدةٌ * وكُنتُ آليتُ اَنْ لا اَبْذُلَ الحُرَّ الّا للحُرّ * ولَوْ اَنّي مُتُّ من الضُّرّ * وقد ناجَتْني القَرُونةُ * باَنْ تُوجَدَ عندكم المَعونةُ * وآذنَتْني فِراسةُ الحَوْباء * باَنّكم يَنابيعُ الحِباء * فنضَّرَ اللهُ امْرَءً اَبرّ قَسَمِي * وصَدَّقَ توسُّمِي * ونَظَرَ اِلَيَّ بعَيْنٍ يُقذِيها الجُمودُ * ويُقَذّيها الجُودُ * قال الحارثُ بن همّام فهِمْنا لبَراعةِ عِبارتِها * ومُلَحِ استعارتِها * وقُلنا لها قد فَتَنَ كلامُكِ * فكيفَ اِلحامُكِ * فقالت يُفجِّرُ الصَّخْرَ * ولا فَخْرَ * فقُلنا اِنْ جَعلتِنا من رُواتِكِ * لم نَبخَلْ

بمواساتِک * فقالت لا رِينّكم اوّلاً شِعارِي * ثمّ لأرويِنّكم اشعارِي * فابرزت رُدْنَ دِرعٍ دَرِيسٍ * وبرزت برزة عجوز دَرْدَبيسٍ * وانشأت تقولُ *

نظم

اَشكُوا الى اللهِ اشتكاءَ المريض * جَوْرَ الزمانِ المُتَعدّی البغيض
يا قومِ اِنّی من اُناسٍ غَنُوا * دَهْراً وجَفْنُ الدّهرِ عنهم غَضِيض
فخارُهم ليس لهُ دافِعٌ * وصِيتُهم بين الوریٰ مُستفِيض
كانوا اذا ما نُجعةٌ اَعوَزتْ * فی السَّنةِ الشّهباءِ رَوْضاً اَرِيض
تُشَبُّ للسّارين نيرانُهم * ويُطعِمون الضّيفَ لَحْماً غرِيض
ما بات جارٌ لهم ساغِباً * ولا لرَوْعٍ قال حالَ الجريض
فغيّضتْ منهم صروفُ الردیٰ * بحارَ جُودٍ لم اَخَلْها تَغِيض
وَاَوْدعت منهم بُطونَ الثّریٰ * اُسْدَ التّحامِی واُساةَ المريض
فمَحمِلی بعدَ المَطايا المَطا * ومَوطنی بعدَ اليفاعِ الحضيض
واَفرُخی ما تأتَلِی تشتکی * بُؤْسالَهُ فی كلِّ يومٍ وَمِيض
اذا دَعا القانتُ فی ليلةٍ * مولاهُ نادَوْهُ بدَمعٍ يَفِيض
يا رازقَ النّعابِ فی عُشّهِ * ويا جابرَ العَظمِ الكسيرِ المَهِيض
اَتِح لنا اللّهمّ مَنْ عِرضُهُ * مِن دَنَسِ الذّمِّ نَقِیٌّ رَحِيض
يُطفِیءُ نارَ الجُوعِ عنّا ولَوْ * بمَذْقةٍ من حازِرٍ اومَخِيض

فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذي تعنو النواصي له * يوم وجوه الجمع سود وبيض

لولا هم لم تبد لي صفحة * ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بابياتها اعشار القلوب * واستخرجت خبايا الجيوب * حتى ماحها من دينه الامتياح * وارتاح لرفدها من لم تخله يرتاح * فلما افعوعم جيبها تبرا * واولاها كل منا برا * تولت يتلوها الاصاغر * وفوها بالشكر فاغر * فاشرأبت الجماعة بعد ممرها * الى سبرها * لتبلو مواقع برها * فكفلت لهم باستنباط السر المرموز * ونهضت اقفو اثر العجوز * حتى انتهت الى سوق مغتصة بالانام * مختصة بالزحام * فانغمست في الغمار * واملست من الصبية الاغمار * ثم عاجت بخلو بال * الى مسجد خال * فاماطت الجلباب * ونضت النقاب * وانا المحها من خصاص الباب * وارقب ما ستبدي من العجاب * فلما انسرت اهبة الخفر * رأيت محيا ابي زيد قد سفر * فهممت بان اهجم عليه لاعنفه على ما اجرى اليه * فاستلقى استلقاء المتمردين * ثم رفع عقيرة المغردين * واندفع ينشد *

نظم

يا ليت شعري اد هري * احاط علماً بقدري

وهل درى كنه غوري * في الخدع ام ليس يدري

وكم قمرت بنيه * بحيلتي وبمكري

وكم بَرَزتُ بعُرفٍ * عليهم و بنُكْرِ
اَصْطادُ قومًا بوعْظٍ * وآخَرِينَ بشِعْرِ
واَستفِزُّ بخَلٍّ عقلًا * وعَقْلًا بخَمْرِ
وتارةً انا صَخْرٌ * وتارةً اُخْتُ صَخْرِ
ولو سلكتُ سبيلًا * مالوفةً طُولَ عمرِي
لخابَ قَدْحِي وقِدْحِي * ودامَ عُسْرِي وخُسْرِي
فقل لِمَنْ لامَ هذا * عُذْرِي فدونَكَ عُذْرِي

قال الحارث بن همّام فلمّاظهرَتْ لي جَلِيَّةُ اَمْرِه * وبديعةُ اِمْرِه * وما زَخْرَفَ في شِعْرِه من عُذْرِه * عَلِمتُ انّ شَيْطانَهُ المَرِيدَ * لايَسْمَعُ التَّفْنِيدَ * ولا يَفعَلُ الّا مايُرِيْدُ * فَثَنَيْتُ الى اَصحابي عِنانِي * واَبْثَثْتُهم ما اَثبَتَهُ عِيانِي * فَوَجَمُوا لِضَيْعةِ الجوايزِ * وتعاهَدوا على مَحْرَمَةِ العَجائِزِ *

المقامة الرابعة عشر المكية

حكى الحارثُ بن همّام قال نَهَضتُ من مدينةِ السَّلام * لِحَجَّةِ الاِسْلام * فلمّا قَضَيْتُ بِعَوْنِ اللهِ التَّفَثَ * واستَبَحْتُ الطِّيبَ والرَّفَثَ * صادَفَ مَوْسِمَ الخَيْفِ * مَعْمَعانُ الصَّيفِ * فاستَظْهَرتُ للضَّرورة * بما يَقِي حَرَّ الظَّهِيرة * فبَيْنَما انا تحتَ طِرافٍ * مع رُفْقةٍ ظِرافٍ * وقد حَمِيَ وَطِيسُ الحَصْباء * واَعْشَى الهَجِيرُ عَيْنَ الحِرْباء * اذ هَجَم علينا شيخٌ مُتَسَعْسِعٌ *

يَتْلُوهُ فَتًى مُتَرَعْرِعٌ * فَسَلَّمَ الشيخُ تسليمَ اديبٍ اريبٍ * وحاورَ مُحاوَرةَ قريبٍ لا غريبٍ * فاعجَبَنا بما نَثَرَ من سِمْطِه * وعَجِبْنا من انبساطه قبلَ بَسْطِه * وقلنا له مَنْ أَنْتَ * وكيف وَلَجْتَ وما استأذَنْتَ * فقال أمّا انا فعافٍ * وطالبُ إسعافٍ * وسِرُّ ضُرِّى غيرُ خافٍ * والنَّظَرُ اليَّ شفيعٌ كافٍ * واما الانسيابُ الَّذى عَلِقَ به الارتيابُ * فما هو بعُجابٍ * اذ ما على الكُرماء من حِجابٍ * فسألناه أنَّى اهْتَدَى الينا * وبِمَ استَدلَّ علينا * فقال اِنَّ للكَرِمِ نَشْرًا تَنِمُّ نَفَحاتُه * وتُرْشِدُ الى رَوْضِه فَوحاتُه * فاستدلَلْتُ بِأَرَجِ عَرْفِكم * على تَبلُّجِ عُرْفِكم * وبَشَّرنى تَضَوُّعُ رَنْدِكم * بحُسْنِ المُنْقَلَبِ من عِنْدِكُمْ * فاستخبرناه حينئذٍ عن لَبانَتِه * لِنَكْفُلَ باعانتِه * فقال اِنَّ لى مَآرِبًا * ولفَتاىَ مَطْلَبًا * فقُلْنا كلا المرامَيْن سيُقْضَى * وكِلاهُما سوفَ يُرضَى * ولكِنَّ الكُبْرَا الكُبْرَ * فقال اَجَلْ ومَنْ دَحا السَّبْعَ الغُبْرَ * ثم وثَبَ للمَقال * كالمُنْشَطِ من العِقال * وأَنْشَدَ *

نظم

اِنّى امْرُؤٌ اُبْدِعَ بى * بعد الوَجى والتَّعَبِ

وشُقَّتى شاسِعَةٌ * يَقْصُرُ عنها خَبَبى

وما مَعى خَرْدَلَةٌ * مطبوعةٌ من ذَهَبِ

فحِيلَتى مُنْسَدَّةٌ * وحَيْرَتى تَلْعَبُ بى

اِنِ ارْتَحَلْتُ راجِلًا * خِفْتُ دَواعِى العَطَبِ

وِانْ تَخَلَّفتُ عن الرُّفْقَةِ ضاقَ مَذْهَبى

فرّ فرَتي في صُعُدٍ * وعبرَتي في صَبَبِ
وانتم مُنتجعُ الرّاجي ومَرمى الطّلبِ
لها كُم مُنهَلّةٌ * ولا انهلالَ السُّحُبِ
وجارُكُمْ في حَرَمٍ * وفرُكُمْ في حَرَبِ
ما لا نَمُرتاعٌ بكُمْ * فخافَ نابَ النُّوبِ
ولا استدَرَّ آملٌ * حِباءَكُمْ فما حُبِي
فاعطِفوا في قِصّتي * واَحسِنوا مُنقلَبِي
فلو بَلَوتم عِيشتي * في مَطعَمِي ومَشرَبِي
لَساءَكُمْ ضُرِّي الّذي * اَسلمَني للكُرَبِ
ولو خَبَرتم حَسَبي * ونَسَبِي ومَذهَبِي
وما حَوَتْ مَعرِفتي * من العُلومِ النُّخَبِ
لَمَا اعتَرَتكُمْ شُبهةٌ * في اَنّ دائِي اَدَبِي
فليتَ اَنّي لم اَكُنْ * اُرْضِعتُ ثَدْيَ الاَدَبِ
فقد دَهاني شُؤمُهُ * وعَقّني فيه ابِي

فقلنا له اَمّا اَنتَ فقد صرّحتْ اَبياتُك بفاقتِك * وعَطّبِ ناقتِك * وسنُعطيك ما يُوصلُك الى بَلَدِك * فما مآرِبُهُ وَلَدِك * فقال له قُمْ يا بُنَيَّ كما قام اَبوك * وفُهْ

بما فى نفسك لاُفضّ فُوك فنهض نُهوض البَطلِ للبراز * وَاصْلت لِسانًا كالعضب الجُراز * وَانشد يقول * نظم

يا سادةً فى المَعالي * لهم مَبانٍ مَشيدَه
ومَن اذا نابَ خَطْبٌ * قاموا بدفع المَكِيْدَه
ومَن يَهُون عليهم * بَذْلُ الكُنوزِ العتيْدَه
اُرِيدُ منكم شِواءً * وجَرْدَقًا وعَصِيْدَه
فاِنْ عَلا فَرُقاقٌ * بهِ تُوارَى الشَّهِيْدَه
اَوْلم يكن ذا ولا ذا * فشبعةٌ من ثَرِيْدَه
فاِنْ تَعذَّرْنَ طُرًّا * فعَجْوةٌ ونَهِيْدَه
فَاحضرُوا ما تَسنَّى * ولو شَظًا من قَدِيْدَه
وَرَوِّجوهُ فنفسى * لِما يَرُوجُ مُرِيْدَه
والزّادُ لا بُدَّ منه * لرِحْلةٍ لى بَعِيْدَه
واَنتم خيرُ رَهطٍ * يُدْعَوْن عندَ الشَّدِيْدَه
اَيدِيْكُم كلَّ يومٍ * لهـا اَيادٍ جَدِيْدَه
وراحُكم واصلاتٌ * شَمْلَ الصِّلاتِ المُفِيْدَه
وبِغْيتى فى مَطاوِى * ما تَرْفِدُوْن زَهِيْدَه

وفيَّ أجرُ وعُقْبى * تنفيس كَرْبي حَميدَهْ

ولي ثَنائج فكرٍ * يَفْضَحْنَ كلَّ قَصيدَهْ

قال الحارث بن همّام فلمّا رأينا الشِّبْلَ يشبِهُ الاسَدَ * ارْحلنا الوالدَ وزوّدنا الولدَ * فقابلا الصُّنع بشكرٍ نشرا أرديتَه * وأدّيا به ديتَه * ولمّا عزما على الانطلاق * وعقدا للرِّحلة حُبُكَ النِّطاق * قلتُ للشيخ هل ضاهَتْ عِدَتُنا عِدَةَ عرقوب * او بقيَتْ حاجةٌ في نفْسِ يعقوب * فقال حاشَ لِلّه وكلّا * بل جلّ معروفكم وجلّى * فقلتُ له فدنّا كما دنّاك * وافدنا كما افدناك * اين الدُّويرة * فقد ملكَتْنا فيك الحَيْرة * فتنفّس تنفّسَ من ادّكرَ اوطانَه * وانشد والشّهيقُ يُلَعْثِم لسانَه *

نظم

سَروجُ داري ولكنْ * كيفَ السَّبيلُ اليها

وقد اناخَ الأعادي * بها واَثْخَنوا عليها

فوَ الَّتي سِرْتُ اَبْغي * حَطَّ الذُّنوبِ لَدَيْها

ما راقَ طرْفي شيءٌ * مُذْ غِبْتُ عن طَرَفَيْها

ثم اغرورقَتْ عيناه بالدُّموع * وآذنَتْ مَدامعُه بالهُموع * فكرِهَ ان يستوكِفَها * ولم يملِكْ ان يُكفكِفَها * فقطع انشادَه المُتحلّي * واوجزَ في الوداع وولّى *

المقامة الخامسة عشر الفرضية

اخبر الحارث بن همّام قال ارِقْتُ ذاتَ ليلةٍ حالكةِ الجِلباب * هامِيةِ الرَّباب *

ولا أرق صبّ طُرد من الباب * ومُني بصدّ الأحباب * فلم تزل الأفكار يُهجن همّي *
ويجلن في الوساوس فهمي * حتى تمنّيت * لمضض ما عانيت * أن أُرزق سميرًا من
الفضلاء * ليقصر طول ليلتي الليلاء * فما انقضت مُنيتي * ولا أغمضت مُقلتي * حتى
قرع الباب قارع * له صوت خاشع * فقلت في نفسي لعلّ غرس التمنّي قد أثمر * وليل
الحظّ قد أقمر * فنهضت إليه عجلان * وقلت من الطارق الآن * فقال غريب أجنّه
الليل * وغشيه السيل * ويبتغي الإيواء لا غير * وإذا أسحر قدّم السير * قال فلما دلّ
شعاعه على شمسه * ونمّ عنوانه بسرّ طرسه * علمت أنّ مسامرته غُنم * ومساهرته نُعم *
ففتحت الباب بابتسام * وقلت ادخلوها بسلام * فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته *
وبلّل القطر بردته * فحيّى بلسان عضب * وبيان عذب * ثم شكر على تلبية صوته * واعتذر
من الطروق في غير وقته * فدانيته بالمصباح المتّقد * وتأمّلته تأمّل المنتقد * فألفيته شيخنا
أبا زيد بلا ريب * ولا رجم غيب * فأحللته محلّ من أظفرني بقصوى الطلب * ونقلني
من وقذ الكرب * إلى روح الطرب * ثم أخذ يشكو الأين * وأخذت في كيف وأين *
فقال أبلعني ريقي * فقد أتعبني طريقي * فظننته مستبطئًا للسغب * متكاسلًا لهذا السبب *
فأحضرته ما يُحضر للضيف المفاجئ * في الليل الداجي * فانقبض انقباض المحتشم *
وأعرض إعراض البشم * فسؤت ظنًّا بامتناعه * وأحفظني حؤول طباعه * حتى كدت
أُغلظ له في الكلام * وأسعه بحمة الملام * فتبيّن من لمحات ناظري * ما خامر خاطري *

فقال يا ضعيف الثقة * بأهل المقة * عدِّ عمّا أخطرته بالك * واستمع إلى لا أبا لك *
فقلت هات * يا أخا التُّرهات * فقال اعلم أني بتُّ البارحة حليف إفلاس * ونجيّ
وسواس * فلما قضى الليل نحبه * وغوّر الصبح شهبه * غدوت وقت الإشراق * إلى بعض
الأسواق * متصدّيا للصيد يسنح * أو حرٍّ يسمح * فلحظت بها تمرا قد حسّن تصفيفه * وأحسن إليه
مصيفه * فجمع على التحقيق * صفاء الرحيق * وقنوء العقيق * وقبالته لبأً قد برز كالإبريز الأصفر *
وانجلى في اللون المزعفر * فهو يثني على طاهيه * بلسان تناهيه * ويصوّب رأي
مشتريه * ولو نقد حبة القلب فيه * فأسرتني الشهوة بأشطانها * وأسامتني العيمة
إلى سلطانها * فبقيت أحير من ضبّ * وأنّ هل من صبّ * لا وُجدٌ يوصلني إلى نيل
المراد * ولذة الازدراد * ولا قدمٌ تطاوعني على الذهاب * مع حرقة الالتهاب * لكن
حداني القرم وسورته * والسغب وفورته * على أن أنتجع كل أرض * وأقتنع من
الورد ببرض * فلم أزل سحابة ذلك النهار * أدلي دلوي إلى الأنهار * وهي لا ترجع
ببلّة * ولا تجلب نقع غلّة * إلى أن صغت الشمس للغروب * وضعفت النفس من اللغوب *
فرحت بكبدٍ حرّى * وانثنيت أقدّم رجلا وأؤخّر أخرى * وبينما أنا أسعى وأقعد * وأهبّ
وأركد * إذ قابلني شيخ يتأوّه آهة الثكلان * وعيناه تهملان * فما شغلني ما أنا فيه من
داء الذئب * والخوى المذيب * عن تعاطي مداخلته * والطمع في مخاتلته * فقلت
له يا هذا إنّ لبكائك لسرّا * ووراء تحرّقك لشرّا * فأطلعني على برحائك * واتخذني

من نُصحائِك * فإنّك ستجدُ مِنّي طَبّاً آسياً * اوعَوناً مُواسِياً * فقال واللهِ ما تأوّهي لعَيشٍ فاتَ * ولا من دَهرٍ افتاتَ * بل لانقراضِ العلم ودُروسِه * وأفولِ أقمارِه وشُموسِه * فقلتُ وأيُّ حادثةٍ نجمتْ * وقضيّةٍ استعجمَتْ * حتّى هاجتْ لكَ الأسَى * على فَقدِ من سَلَفَ * فأبرزَ رُقعةً من كُمِّه * وأقسمَ بأبيهِ وأُمِّه * لقد أنزلَها بأعلامِ المَدارِس * فما امتازُوا عن الأعلامِ الدَّوارِس * واستنطقَ لها أحبارَ المَحابِر * فخرِسُوا ولاخَرَسَ سُكَّانِ المَقابر * فقلتُ أرِنيها * فلعلّي أُغني فيها * فقال ما أبعَدتَّ في المَرام * فرُبَّ رَميه من غيرِ رام * ثم ناوَلَنيها * فإذا المكتوبُ فيها *

نظم

أيُّها العالِمُ الفقيـهُ الّذي فا * قَ ذكاءً فما لَهُ من شَبيهِ

أفتِنا في قَضيَّـةٍ حادَ عنهـا * كُلُّ قاضٍ وحارَ كُلُّ فقيـهِ

رَجُلٌ ماتَ عَن أخٍ مُسلمٍ حُرٍّ تَقِـيٍّ من أُمِّهِ وأبِيـهِ

وله زَوجـةٌ لها أيُّها الحِبْرُ أخٌ خـالِصٌ بلا تمـويهِ

فحوَتْ فَرْضَها وحازَ أخُوها * ما تبقّى بالإرثِ دُونَ أخِيهِ

فاشفِنا بالجَوابِ عمّا سألْنا * فهوَ نصٌّ لاخُلْفَ يُوجَدُ فيهِ

فلمّا قرأتُ شِعرَها * ولمَحتُ سِرَّها * قلتُ له على الخَبيرِ بها سقطتَ * وعندَ ابن بجدَتِها حَطَطتَ * إلّا أنّي مُضطرِمُ الأحشاءِ * مُضطرٌّ الى العَشاءِ * فأكرِمْ مَثوايَ * ثُمَّ استمِعْ فَتوايَ * فقال لقـد أنصفتَ في الاشتراط * وتجافيتَ عن الاشتطاط * فصِرْ معِي *

الى مَرْبعى * لتَظْفَر بما تبتغى * وتنقلبَ كما ينبغى * قال فصاحبتُه الى ذراه * كما حكم اللّهُ * فادخلنى بيتاً احرج من التابوت * واوهن من بيت العنكبوت * الّا انه جبر ضيق ربعه * بتوسعة ذرعه * فحكّمنى فى القِرى * واطائب ما يُشترى * فقلتُ اُريد ازهى راكب على اشهى مركوب * وانفع صاحب مع اضرّ مصحوب * فافكر ساعةً طويلةً * ثم قال لعلّك تعنى بنتَ نُخَيْلةٍ * مع لِبأ سُخَيلةٍ * فقلتُ ايّاهما عنيتُ * ولاجلهما تعنّيتُ * فنهض نشيطاً * ثمّ ربض مستشيطاً * وقال اعلمْ اصلحك اللّهُ انّ الصّدق نباهةٌ * والكذب عاهةٌ * فلا يحملنّك الجوعُ الّذى هو شعار الانبياء * وحليةُ الاولياء * على ان تلحق بمن مانَ * وتتخلّق بالخُلق الّذى يُجانبُ الايمانَ * فقد تجوعُ الحرّة * ولا تاكلُ بثديَيْها * وتابى الدّنيّة * ولو اضطُرّت اليها * ثم انّى لستُ لك بزبونٍ * ولا اُغضى على صفقة مغبونٍ * وها انا قد انذرتك قبل ان ينهتكَ السّترُ * وينعقدَ بيننا الوِترُ * فلا تلُغْ تدبُّرَ الانذارِ * وحذارِ من المكاذبة حذارِ * فقلتُ له والّذى حرّم اكلَ الرّبو * واحلّ اكلَ اللّبا * ما فُهتُ بزورٍ * ولا دلّيتك بغرورٍ * وستَخبر حقيقةَ الامر * وتحمدُ بذلَ اللّبا والتمر * فهشّ هشاشةَ المصدوق * وانطلقَ مُغذّاً الى السّوق * فما كانَ باسرعَ من ان اقبلَ بهما يذلح * ووجهُه يتكلّح * فوضعهما لدىّ * ووضع المتنّ عليّ * وقال اضرب الجيش بالجيش * تحظَ بلذّة العيش * قال فحسرتُ عن ساعد النّهم * وحملتُ حملةَ الفيل المُلتهم * وهو يلحظنى كما يلحظ الحَنِقُ * ويودّ من الغيظ

لو اَخْتَنِق * حتى اذا اَهْلَقْمتُ النَّوعَيْن * وغادَرْتُهما اَثَراً بَعْـد عَيْن * اَقْرَدتُّ حَيْرةً في اِظْلالِ الَبيات * وفِكْرَةً في جَوابِ الاَبْيات * فما لَبِثَ اَن قامَ * واَحْضَرَ الدَّواةَ والاَقْلامَ * وقال قد مَلأْتَ الجِرابَ * فاَمْلِ الجوابَ * والا فتهيَّأْ اِن نَكَلتَ * لاغتـرامِ ما اَكَلْتَ * فقلتُ له ما عندي الاَّ التَّحقيقُ * فاكْتُبْ وبالله التوفيق *

نظم

قُلْ لمن يُلغِزُ المَسائلَ اِنّى * كاشِفٌ سِرَّها الَّذى يُخْفِيْـه

اِنَّ ذا المَيِّتَ الَّذى قَدَّم الشَّرْعُ اَخا عِرْسِه على ابنِ اَبِيْـه

رَجُلٌ زَوَّجَ ابنَه عن رِضاهُ * بِحَمـاةٍ لـهُ ولا غَروَ فيـه

ثُمَّ ماتَ ابنُه وقـد عَلِقَتْ مِنْـهُ فجاءَتْ بِابنٍ له يُحْكِيْـه

فَهُوَ ابنُ ابْنِـه بغيرِ مِراءٍ * واَخُو عِرْسِـه بلا تمويـه

وابنُ الابنِ الصريحُ اَدْنى الى الجَدِّ واَوْلى بِاِرْثِه من اَخيـه

فلِذا حينَ ماتَ اُوجِبَ لِلزَّوْجةِ ثُمنُ التُّراثِ تَسْتَوفِيْه

وحَوَى ابنُ ابْنِه الذى هو فى الاَصْـلِ اخوها من اُمِّها باقِيْه

وتَخَلَّى الاَخُ الشَّقيقُ من الاِرْثِ وقلنا يَكْفيكَ اَنْ تَبْكِيْه

هاكَ مِنّى الفُتيا الَّتى يَحْتَذِيها * كُلُّ قاضٍ يَقْضى وكُلُّ فقيه

قال فلما اَثْبتَ الجوابَ * واسْتَثْبَتَ منه الصَّوابَ * قال لى اَهْلَكَ والليلَ * فشَمِّرِ الذَّيلَ * وبادِرِ السَّيلَ * فقلتُ اِنّى بِدارِ غُرْبةٍ * وفي اِيوائِى اَفضلُ قُربةٍ * لاسِيَّما وقد اَغدَفَ جِنْحُ

الظَّلام * وسَبَّحَ الرَّعدُ فى الغمام * فقال اغرُبْ عافاكَ اللّهُ الى حيثُ شِئْتَ * ولا تَطْمَعْ في اَنْ تَبيتَ * فقلتُ ولِمَ ذاك * مع خُلُوِّ ذراك * قال لاِنّي اَنعمتُ النَّظرَ فى التقامِك ما حَضَر * حَتَّى لم تُبْقِ ولم تَذَر * فرأيتُكَ لا تَنْظُرُ في مَصْلَحتِك * ولا تراعِي حِفظَ صِحَّتِك * ومن اَمْعَنَ فيما اَمعَنتَ * وتَبَطَّنَ كما تَبطَّنْتَ * لم يَخْلُصْ من كِظَّةٍ مُدْنِفةٍ * او هَيْضةٍ مُتْلِفةٍ * فدعْني باللّهِ كفافًا * واَخْرُجْ عَنّي مَا اُمْنِتَ مُعافًا * فوالَّذِي يُحْيِي ويُمِيتُ * مالكَ عندي مَبِيْت * فلمّا سَمِعتُ اَلِيَّته * وبَلَوتُ بَلِيَّتَه * خَرجتُ من بيتِه بالرَّغْم * وتَزَوَّدِ الغَمّ * تَجُودُني السَّماءُ * وتَخْبِطُ بِيَ الظَّلْماءُ * وتَنْبَحُنِي الكِلابُ * وتَتَقاذَفُ بِيَ الاَبوابُ * حَتَّى ساقَني اليك لُطْفُ القَضاء * فشُكْرًا لِيَدِهِ البيضاء * فقلتُ له اَحْبِبْ بلقائِكَ المُتاح * الى قلبِيَ المُرتاحِ * ثم اَخذ يَفْتَنُّ في حِكاياته * ويُشْمِطُ مُضْحِكاتِه بمُبْكياتِه * الى اَنْ عَطَسَ اَنفُ الصَّباح * وهَتَفَ داعِي الفَلاح * فتأَهَّبَ لاِجابةِ الدَّاعي * ثم عَطَفَ الى وداعِي * فعُقْتُه عن الانبعاث * وقلتُ الضِيافةُ ثلث * وما حفزَك احتِثاثٌ * وان تَرحَّلْتَ رِحْلةً خَرقاءَ * نَغَّصْتَ اللِّقاءَ * وسُؤْتَ الاَصْدِقاءَ * فناشَدَ وحَرَّجَ * ثم اَمَّ المَخْرَجَ * وانشد ان عَرَّجَ *

نظم

لا تَزُرْ من تُحِبُّ في كُلِّ شَهرٍ * غَيْرَ يومٍ ولا تَزِدْهُ عليهِ

فاجتلاءُ الهِلالِ فى الشَّهرِ يَوْمٌ * ثمّ لا تَنْظُرُ العيونُ اليه

قال الحارثُ بن همّام فودَّعْتُه بقلبٍ دامِي القُرْح * ووَددتُّ لوانَّ ليلتي بَطِيَّةُ الصُّبْح *

المقامة السادسة عشر المغربية

حكى الحارث بن همّام قال شهدتُ صلوة المَغرِب * في بَعْض مَساجدِ المَغرِب * فلمّا أدّيتُها بفضلها * وشفعتُها بنفلها * أخذ طرفي رُفقة قد انتبذوا ناحيةً * وامتازوا صفوةً صافيةً * وهم يتعاطون كأس المُنافثة * ويقتدحون زناد المباحثة * فرغبتُ في محادثتهم لكلمةٍ تُستفاد * وأدبٍ يُستزاد * فسعيتُ اليهم * سعيَ المتطفّل عليهم * وقلتُ لهم اتقبلون نزيلاً يطلب جَنى الأسمار * لا جَنيَّ الثمار * ويبغي مُلَحَ الحِوار * لا مَلحاءَ الحُوار * فحلّوا الى الحُبا * وقالوا مرحبا مرحبا * فلم أجلس الّا لمحةَ بارقٍ خاطف * أو نغبةَ طائرٍ خائف * حتى غشينا جوّابٌ على عاتقه جرابٌ * فحيّانا بالكلمتين * وحيّى المسجدَ بالتسليمتين * ثمّ قال يا أولي الألباب * والفضل اللُّباب * أما تعلمون أنّ أنفس القُربات * تنفيسُ الكُربات * وأمتن أسباب النجاة * مواساة ذوي الحاجات * وإنّي ومن أحلّني ساحتكم * وأتاح لي استماحتكم * لَشريدُ مَحلٍ قاصٍ * وبريدُ صبيةٍ خِماص * فهل في الجماعة * من يفثأ عنّا حُميّا المَجاعة * فقالوا له يا هذا إنّك حضرت بعد العِشاء * ولم يبقَ الّا فُضلاتُ العَشاء * فإن كنتَ بها قنوعاً * فما تجد فينا ممنوعاً * فقال إنّ أخا الشدائد * ليقنع بلُغاظات الموائد * ونُفاضاتِ المزاود * فأمرَ كلٌّ منهم عبدَه * أن يزوّده ما عنده * فأعجبه الصُّنعُ وشكر عليه * وجلس يرقب ما يُحمل اليه * وثبنا نحن الى استثارة مُلَح الأدب وعيونه * واستنباط مَعينه من عيونه * الى أن جُلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس * كقولك

ما كُبَ كاس * فتداعينا الى ان نستنتج له الأنكار * ونفترع منه الأفكار * على ان ينظم البادي ثلث جمانات في عقده * ثم تتدرج الزيادات من بعده * فيربع ذو ميمنته في نظمه * ويسبع صاحب ميسرته على زعمه * قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف * وتألفنا ألفة اصحاب الكهف * فابتدر لعظم محنتي * صاحب ميمنتي * وقال لم اخامل * وقال ميامنه * كبر رجاء اجر ربك * وقال الذي يليه * من يرب اذا بر ينم * وقال الآخر * سكت كل من نم لك تكس * وافضت النوبة الي * وقد تعين نظم السمط السباعي علي * فلم يزل فكري يصوغ ويكسر * ويثري ويعسر * وفي ضمن ذلك استطعم * فلا اجد من يطعم * الى ان ركد النسيم * وحصحص التسليم * فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام * لشفى الداء العقام * فقالوا لو نزلت هذه باياس * لامسك على ياس * وجعلنا نفيض في استصعابها * واستغلاق بابها * وذلك الزور المعتري * يلحظنا لحظ المزدري * ويؤلف الدرر ونحن لا ندري * فلما عثر على افتضاحنا * ونضوب ضحضاحنا * قال ياقوم ان من العناء العظيم * استيلاد العقيم * والاستشفاء بالسقيم * وفوق كل ذي علم عليم * ثم اقبل علي وقال سانوب مناب * واكفيك ما نابك * فان شئت ان تنثر * ولا تعثر * فقل مخاطبا لمن ذم البخل * واكثر العذل * لذ بكل مؤمل اذا الم وملك بذل * وان احببت ان تنظم * فقل للذي تعظم * نظم

أُس ارملا اذا عرا * وارع اذا المرء اسا

أَسْنِدْ أَخا نَباهَةٍ * أَبِنْ إِخاءً دَنَسا

أُسْلُ جَنابَ غاشِمٍ * مُشاغِبٍ إِنْ جَلَسا

أَسِرْ اذا هَبَّ مِرًا * وارْمِ بهِ اذا رَسا

أُسْكُنْ تَقَوَّ فَعَسى * يُسْعِفُ وَقْتٌ نَكَسا

قال فلمّا سَحَرنا بآياتِه * وحَسَرنا ببُعْدِ غاياتِه * مَدَحْناهُ حتّى استعفى * ومَنَحْناهُ الى أن استكفى * ثم شَمَّر ثيابَه * وازدَفَرَ جِرابَه * ونَهَض يُنْشِدُ * نظم

لِلّهِ دَرُّ عِصابَةٍ * صُدُقِ المَقالِ مَقاوِلا

فاقُوا الأَنامَ فَضائِلاً * ما ثُورَةً وفَواضِلا

حاوَرْتُهم فوَجَدتُّ سَحْبانًا لَدَيْهِم باقِلا

وحَلَلْتُ فيهم سائِلاً * فَلَقِيتُ جُوداً سائِلا

أَقسمتُ لو كانَ الكِرامُ حَيًا لَكانوا وابِلا

ثُمَّ خَطا قَيْدَ رُمْحَيْن * وعادَ مُسْتَعِيذاً من الحَيْن * وقال يا عِزَّ مَن عَدِمَ الآلَ * وكَنْزَ مَن سُلِبَ المالَ * إنَّ الغاسِقَ قد وَقَبَ * ووَجْهَ المَحَجَّةِ قد انْتَقَبَ * وبَيْني وبَيْنَ كِنّي لَيْلٌ دامِسٌ * وطريقٌ طامِسٌ * فهل من مِصباحٍ يُؤْمِنُني العِثارَ * ويُبَيِّنُ لِيَ الآثارَ * قال فلمّا جِيءَ بالمُلْتَمَس * وجَلّى الوُجوهَ ضوءُ القَبَس * رأيتُ صاحِبَ صَيْدِنا * هو أبو زيدنا * فقلتُ لأصحابي هذا الذي أشرتُ الى أنّه اذا نطَق أصاب * وإنِ استُمْطِر صاب *

فاتلعوا نحوه الاعناق * واحدقوا به الاحداق * وسألوه ان يسامرهم ليلته * على ان يجبروا عيلته * فقال حبا لما احببتم * ورحبا بكم ان رحبتم * غير انني قصدتكم واطفالي يتضورون من الجوع * ويدعون لي بوشك الرجوع * وان استراثوني خامرهم الطيش * ولم يصف لي العيش * فدعوني لاذهب فامد مخمصتهم * واسيغ غصتهم * ثم انقلب اليكم على الاثر * متاهبا للسمر * الى السحر * فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى فئته * ليكون اسرع لفيئته * فانطلق معه مضطبنا جرابه * ومحتثا ايابه * فابطأ بطأ جاوز حده * ثم عاد الغلام وحده * فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث * قال اخذ بي في طرق متعبة * وسبل متشعبة * حتى افضينا الى دويرة خربة * فقال ههنا مناخي * ووكرا فراخي * ثم استفتح بابه * واختلج مني جرابه * وقال لعمري لقد خففت عني * واستوجبت الحسنى مني * وهاك نصيحة هي من نفائس النصائح * ومغارس المصالح * وانشد *

نظم

اذا ما حويت جنى نخلة * فلا تقربنها الى قابل
واما سقطت على بيدر * فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن اذا ما لقطت * فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن اذا ما سبحت * فان السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف * وبع آجلا منك بالعاجل

ولا تُكْثِرَنّ على صاحِب * فما مُلّ قطُّ سِوى الواصِلِ

ثُم قال أَخِذْنها في تأمُورِك * واقتدْ بها في أُمورِك * وبادِر الى صحبك * في كلاءةِ ربّك * فاذا بلغتهم فأبلغهم تحيّتي * واتلُ عليهم وصيّتي * وقُل لهم عنّي إنّ السّهوَ في الخُرافات * لَمِنْ أعظمِ الآفات * ولَسْتُ الغِيَ احتراسي * ولا أجْلُبُ الهوَسَ الى راسي * قال الرّاوي فلمّا وقعنا فحوى شِعْرِه * على نُكْرِه ومَكْرِه * تلاوَمْنا على تركِه * والاغترارِ بإفكِه * ثُم تفرّقنا بوجوه باسرةٍ * وصَفْقةٍ خاسِرةٍ *

المقامة السابعة عشر القهقرية

حدث الحارث بن همّام قال لحظتُ في بعضِ مطارحِ البَيْن * ومطامحِ العيْن * فتيةً عليهم سيمى الحِجى * وطلاوةُ نجومِ الدُّجى * وهم في مماراةٍ مشتدّةِ الهُبوب * ومباراةٍ مشتطّةِ الأُلهوب * فهزّني لقصدِهم هوى المحاضرة * واستحلاءُ جنى المُناظَرة * فلمّا التحقتُ برهطهم * وانتظمتُ في سِمطهم * قالوا أأنتَ ممّن يُبلي في الهيجاء * ويُلقي دلوه في الدِّلاء * فقلتُ بل انا من نظّارةِ الحرب * لا مِن أبناءِ الطّعن والضّرب * فأضربوا عن حِجاجي * وافاضوا في التّحاجي * وكان في بحبوحةِ حلقتهم * وإكليلِ رُفقتهم * شيخٌ قد برتْه الهموم * ولوّحتْه السَّموم * حتى عاد أنحلَ من قلمٍ * وأقحلَ من جَلَمٍ * الّا انّه كان يُبدي العُجاب * اذا اجاب * ويُنسي سَحبانَ * كلّما أبانَ * فأعجبتُ بما أوتيَ من الإصابة * والتبريزِ على تلك العصابة * وما زال يفصح

من كلّ معمًّى * ويُصمي في كلِّ مَرْمىً * الى أن خلَت الجعابُ * ونفِدَ السُّؤالُ والجوابُ * فلمّا رأى إنفاضَ القَوم * واضطرارَهم الى الصَّوم * عرَّض بالمطارحة * واستأذن في المفاتحة * فقالوا حبَّذا * ومَن لنا بذا * فقال أتعرفون رسالةً أرضُها سماؤُها * وصُبحُها مساؤُها * نُسجَت على منوالَين * وتَجلَّت في لونَين * وصلَّت الى جهتَين * وبَدَت ذاتَ وجهَين * إن بزغَت من مَشرقِها * فناهيك برونقِها * وإن طلَعت من مَغربِها * فيا لعَجَبِها * قال فكأنّ القومَ رُمُوا بالصُّمات * او حقَّت عليهم كلمةُ الإنصات * فما نبس منهم إنسانٌ * ولا فاهَ لأحدِهم لسانٌ * فحين رآهم بُكْمًا كالأنعام * وصُموتًا كالأصنام * قال لهم قد أجَّلتُكم أجَلَ العِدَّة * وأرخيتُ لكم طِوَلَ المُدَّة * ثمّ ههنا مجمعُ الشَّمل * وموقفُ الفَصل * فان سمحَت خواطرُكم مَدَحنا * وان صلَدت زِنادُكم قَدَحنا * فقالوا واللهِ ما لنا في لُجَّة هذا البحرِ مَسبَحٌ * ولا في ساحلِه مَسرَحٌ * فأرِح أفكارَنا من الكدّ * وهنّئ العطيّةَ بالنقد * واتّخِذنا إخوانًا يثبُون إذا وثبتَ * ويثبُتون متى استثبتَّ * فأطرقَ ساعةً * ثمّ قال سمعًا لكم وطاعةً * فاستملُوا منّي * وانقلُوا عنّي * الإنسانُ صنيعةُ الإحسان * وربُّ الجميلِ فعلُ النَّدب * وشيمةُ الحُرِّ ذخيرةُ الحمد * وكسبُ الشُّكرِ استثمارُ السَّعادة * وعنوانُ الكرمِ تباشيرُ البِشر * واستعمالُ المداراة يُوجِبُ المصافاة * وعقدُ المحبّةِ يقتضي النُّصحَ * وصِدقُ الحديثِ حِليةُ اللِّسان * وفصاحةُ المنطقِ سِحرُ الألباب * وشَركُ الهوى آفةُ النُّفوس * ومَلَلُ الخلان *

شينُ الخلائق * وسوءُ الطمع * يُباينُ الورَع * والتزامُ الحزامة * زمامُ السلامة * وتطلّبُ المثالب * شرّ المعائب * وتتبّعُ العثرات * يُدحضُ المودّات * وخلوصُ النيّة * خلاصةُ العطيّة * وتهنيةُ النوال * ثمنُ السؤال * وتكلّفُ الكُلَف * يُسهّل الخلف * وتيقّنُ المعونة * يُسنّي المؤونة * وفضلُ الصدر * سعةُ الصدر * وزينةُ الرعاة * مقتُ السعاة * وجزاءُ المدائح * بثُّ المنائح * ومهرُ الوسائل * تشفيعُ المسائل * ومجلبةُ الغواية * استغراقُ الغاية * وتجاوزُ الحدّ * يكلّ الحدّ * وتعدّي الأدب * يُحبط القُرَب * وتناسي الحقوق * يُنشئ العقوق * وتحاشي الريَب * يرفع الرتب * وارتفاعُ الأخطار * باقتحام الأخطار * وتنوّهُ الأقدار * بمواتاة الأقدار * وشرفُ الأعمال * في تقصير الآمال * واطالةُ الفكرة * تنقيحُ الحكمة * وراسُ الرياسة * تهذُّبُ السياسة * ومع اللجاجة * تُلغى الحاجة * وعند الأوجال * تتفاضلُ الرجال * بتفاضلِ الهمم * تتفاوتُ القيم * وبتزيّدِ التغيير * يهونُ التدبير * وبخللِ الأحوال * تتبيّنُ الأهوال * وبموجبِ الصبر * ثمرةُ النصر * واستحقاقُ الاحماد * بحسبِ الاجتهاد * ووجوبُ الملاحظة * كفاءُ المحافظة * وصفاءُ الموالي * بتعهدِ الموالي * وتحلّي المروّات * بحفظِ الأمانات * واختبارُ الإخوان * بتخفيفِ الأحزان * ودفعُ الأعداء * بكفِّ الأوداء * وامتحانُ العقلاء * بمقارنةِ الجهلاء * وتبصّرُ العواقب * يؤمنُ المعاطب * واتقاءُ الشنعة * ينشرُ السمعة * وقبحُ الجفاء * ينافي الوفاء * وجوهرُ الأحرار * عند الأسرار * ثم قال هذه مائة لفظة * تحتوي على أدبٍ وعظة *

فَمَنْ ساقها هذا المَساق * فلا مِراءَ ولا شِقاق * ومن رامَ عَكْسَ قالَبِها * وان يَرُدَّها على عَقِبِها * فليقُل الاسرار * عند الاحرار * وجَوْهَرُ الوفاء * يُنافي الجفاء * وقُبحُ السُّمعة * يَنشُرُ الشُّنعة * ثم على هذا المَسْحَب فليَسْحَبْها * ولا يرهَبْها * حتى تكونَ خاتِمةُ فِقرِها * وآخِرةُ دُرَرِها * ورَبُّ الاحسان * صَنيعةُ الانسان * قال الراوي فلمّا صَدَعَ برسالته الفريدة * وأُمْلوحته المفيدة * عَلِمنا كيف يتفاضَلُ الانشاءُ * وانَّ الفضلَ بيدِ الله يُؤتيه من يشاءُ * ثم اعتلَقَ كلٌّ منّا بذَيْله * وفاذَ له فِلذةً من نَيْله * فأبى قبولَ فِلذتي * وقال لستُ أرزأُ تلامذتي * فقلتُ له كُن ابا زيد على شُحوبِ سَحْنَتِك * ونُضوبِ ماءِ وجنتِك * فقال انا هو على نُحولي وقُحولي * وقَشَفِ مُحولي * فأخذتُ في تَثرِيبه * على تشريقه وتغريبه * فحَوْقَلَ واسترجع * ثم أنشد من قلبٍ مُوجَع *

نظم

سَلَّ الزمانُ على عَضْبَهْ * لِيَرُوعَني وأحَدَّ غَرْبَهْ

واستلَّ من جَفْني كرا * هُ مُراغِماً وأسالَ غَرْبَهْ

وأجالَني في الأُفْقِ أطْـ * ـوِي شَرْقَهُ وأجوبُ غَرْبَهْ

فبكلِّ جَوٍّ طَلْعةٌ * في كلِّ يومٍ لي وغَرْبَهْ

وكذا المُغرَّبُ شَخْصُهُ * مُتغرِّبٌ ونَواهُ غَرْبَهْ

ثم ولّى يَجُرُّ عِطْفَيه * ويَخطِرُ بيدَيه * ونحن بين مُتَلفِّتٍ اليه * ومُتهافِتٍ عليه * ثم لم نَلبَثْ أن حَلَلْنا الحُبا * وتفرّقنا أيادِيَ سَبا *

المقامة الثامنة عشر السنجارية

حكى الحارث بن همّام قال قفلتُ ذات مرّةٍ من الشّام * أنحو مدينةَ السّلام * في رَكبٍ من بني نُمَيْرٍ * ورُفقةٍ أولي خَيْرٍ ومَيْرٍ * ومَعَنا ابوزيدٍ السَّروجيُّ عُقْلةُ العَجْلان * وسَلوةُ الثَّكلان * وأعجوبةُ الزّمان * والمُشارُ اليه بالبَنانِ في البيان * فصادَفَ نزولُنا سِنجارَ * أن أَوْلَمَ بها أحدُ التُّجّار * فدعا الى مأدُبَتِهِ الجَفَلى * من أهلِ الحضارةِ والفَلى * حتى سَرَتْ دَعوتُه الى القافِلة * وجَمَع فيها بين الفريضةِ والنافِلة * فلما أجَبنا مُناديَه * وحَلَلْنا نادِيَه * أحضَرَ من أطعِمَةِ اليدِ واليدَيْن * ما حَلِيَ في الفم وحَلِيَ بالعَيْن * ثم قدَّمَ جامًا كأنّما جُمِدَ مِنَ الهَواء * او جُمِعَ من الهَباء * او صِيغَ من نُورِ الفضاء * او قُشِرَ من الدُّرّةِ البَيْضاء * وقد أُودِعَ لَفائِفَ النَّعيم * وضُمِّخَ بالطِّيبِ العَميم * وسِيقَ اليه شِرْبٌ من تَسنيم * وسَفَرَ عن مرأًى وسيمٍ * وأرَجٍ نسيم * فلمّا اضطرَمتْ بمَحضَرِه الشَّهَواتُ * وقَرِمَتْ الى مَخبَرِه اللَّهَواتُ * وشارَفَ أن تُشَنَّ على سِربِه الغارات * ويُنادَى عند نَهْبِه يا لَلثّارات * نَشَزَ ابو زيدٍ كالمجنون * وتَباعَدَ عنه تباعُدَ الضَّبِّ من النُّون * فراوَدْناه على ان يعُودَ * ولا يكونَ كقُدارٍ في ثَمُودَ * فقال والذي يَنشُرُ الأمواتَ من الرِّجام * لا عُدتُ دونَ رَفعِ الجام * فلم نَجِدْ بُدًّا مِن تألُّفِه * وإبرارِ حَلْفِه * فأشلَلْناه والعقولُ معه شائلةٌ * والدموعُ عليه سائلةٌ * فلمّا فاءَ الى مَجثَمِه * وخَلَصَ من مأثَمِه * سألناه لِمَ قامَ * ولأيِّ معنًى استَرفَعَ الجامَ * فقال إنّ الزُّجاجَ نَمّامٌ *

واني آليت مذ أعوام * ان لا يضمني ونموماً مقام * فقلنا ما سبب يمينك الصرى * واليتك الحرى * فقال كان لي جار لسانه يتقرب * وقلبه عقرب * ولفظه شهد ينفع * وخبأه سم منقع * فملت لمجاورته * الى محاورته * واغتررت بمكاشرته * في معاشرته * واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته * واغرتني خدعة سمته بمناسمته * فمازجته وعندي انه جار مكاسر * فبان انه عقاب كاسر * وآنسته على انه حب موانس * فوضح انه حباب موالس * وصالحته ولا اعلم انه عند نقده * ممن يفرح بفقده * وعاقرته ولم ادر انه بعد فره * ممن يطرب لمفره * وكانت عندي جارية * لا يوجد لها في الكمال مجارية * ان سفرت خجل النيران * وصليت القلوب بالنيران * وان بسمت ازرت بالجمان * وبيع المرجان بالمجان * وان رنت هيجت البلابل * وحققت سحر بابل * وان نطقت عقلت لب العاقل * واستنزلت العصم من المعاقل * وان قرأت شفت المفؤود * واحيت الموءود * وخلتها اوتيت من مزامير آل داود * وان غنت ظل معبد لها عبداً * وقيل سحقاً لإسحاق وبعداً * وان زمرت اضحى زنام عندها زنيماً * بعد ان كان لجيله زعيماً * وبالاطراب زعيماً * وان رقصت امالت العمائم عن الرؤوس * وانستك رقص الحبب في الكؤوس * فكنت ازدري معها حمر النعم * واحلي بتمليها جيد النعم * واحجب مرآها عن الشمس والقمر * وازود ذكراها عن شرائع السمر * وانا مع ذلك اليح * من ان تسري برياها ريح * او يكهن بها سطيح * او ينم عليها برق مليح * فاتفق لوشك الحظ

المَنْحُوس * ونكدِ الطالع المنحرِس * أن انطقتني بوصفها حُمَيَّا المُدام * عند الجارِ النَّمام * ثم ثابَ الفَهْمُ * بعد أن صَرِدَ السَّهْمُ * فاحسستُ الخبالَ والوبالَ * وضيعةَ ما أُودِعَ ذلك الغِرْبالَ * بيدَ أنّي عاهدتُه * على كتم ما لفظتُه * وان يحفظ السِّرَّ ولوا حفظتُه * فزعم انه يَخْزُن الأسرارَ * كما يخزُن اللئيمُ الدِّينارَ * وانّه لا يهتِكُ الأستارَ * ولو عُرِّضَ لان يَلِجَ النَّارَ * فما غَبَرَ على ذلك الزَّمان * الا يومٌ او يومان * حتى بَدَ الاميرَ تلك المَدَرَة * ووالِيها ذي المَقدُرة * أن يقصِدَ بابَ قَبيلِه * مُجِدًّا عارِضَ خَيْلِه * ومُستمطرًا عارِضَ نيلِه * وارتادَ ان يَصْحَبه تُحفةً تُلائمُ هواه * ليُقدِّمَها بين يدَيْ نجواه * وجعَل يبذُل الجعائِل لرُوّادِه * ويُسَنّي المراغِبَ لمن يُظفِره بمرادِه * فاسَفَّ ذلك الجارُ الختّارُ الى بذُولِه * وعصى في ادّراعِ العارِ عذلَ عذولِه * فاتى الوالِيَ ناشِرًا أُذُنَيْه * وأبثّه ما كنتُ أسْرَرْتُه اليه * فما راعني الّا انسيابُ صاغيتِه اليَّ * وانثيالُ حفَدتِه عليَّ * يَسُومُني ايثارَه بالدُّرَّة اليتيمة * على ان اتحكَّمَ عليه في القِيمة * فغشيَني من الغمّ * ما غَشِيَ فرعونَ وجنودَه من اليمّ * ولم ازَلْ أدافِع عنها ولا يُغني الدِّفاعُ * واستشفِع اليه ولا يُجدي الاستشفاعُ * وكُلّما رأى مِنّي ازديادَ الاعتياصِ * وارتيادَ المَناصِ * تجرَّم وتضرَّم * وحرَّق عليَّ الأُرَّمَ * ونفسي مع ذلك لا تَسْمُحُ بمفارقة بَدْرِي * ولا بانْ انزِع قلبي من صدْرِي * حتى آلَ الوعيدُ إيقاعًا * والتقريعُ قِراعًا * فقادَني الإشفاقُ من الحَيْن * الى ان قَضْتُه سوادَ العين * بصُفْرةِ العَيْن * ولم يَحْظَ الواشي بغيرِ الإثمِ والشَّيْن * فعاهدتُ اللّهَ تعالى مُـذ ذلك العهـد *

أن لا أحاضرنمّا من بعد * والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة * وبه يضرب المثل في النميمة * فقد جرى عليه سبل يميني * ولذلكم الشبب لم تمتد اليه يميني * نظم

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته * على أن حرمتم بي اقتطاف القطائف

فقد بان عذري في صنيعي وانني * ما رتقي فتقي من تليدي وطارف

على أن ما زودتكم من فكاهة * ألذ من الحلوا لدى كل عارف

قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره * وتقبلنا اعذاره * وقلنا له قدما وقذت النميمة خير البشر * حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر * ثم سألناه عما أحدث جاره القتات * ودخلله المقتات * بعد أن راش له نبل السعاية * وجذم حبل الرعاية * فقال أخذ في الاستخذاء والاستكانة * والاستشفاع الى بذوي المكانة * وكنت حرجت على نفسي * أن لا يسترجعه انسي * او يرجع الى امسي * فلم يكن له مني سوى الرد * والاصرار على الصد * وهو لا يكتئب من النجه * ولا ينثب من وقاحة الوجه * بل يلظ بالوسائل * ويلح في المسائل * فما أنقذني من ابرامه * ولا أبعد عليه نيل مرامه * الا أبيات نفث بها الصدر الموتور * والخاطر المبتور * فانها كانت مدحرة لشيطانه * ومسجنة له في أوطانه * وعند انشارها بت طلاق الحبور * ودعا بالويل والثبور * وأيئس من نشر وصلي المقبور * كما يئس الكفار من أصحاب القبور * فناشدناه أن ينشدنا اياها * وينشقنا رياها * فقال أجل * خلق الانسان من عجل * ثم أنشد لا يزويه خجل * ولا يثنيه وجل * نظم

ونديم محضته صدق ودي * اذ توهمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال * حين الفيته صديدا حميما
خلته قبل ان يجرب الفا * ذا ذمام فبان خلفا ذميما
وتخبرته كليما فامسى * منه قلبي بما جناه كليما
وتظننته معينا رحيما * فتبينته لعينا رجيما
وترأيته مريدا فجلى * عنه سبكي له مريدا لئيما
وتوسمت ان يهب نسيما * فابى ان يهب الا سموما
بت من لسعه الذي اعجز الرا * قي سليما وبات مني سليما
وغدا امره غداة افترقنا * مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رائعا خصيبا ولكن * كان بالشر رائعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كا * ن عديما ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نم الى قلـ * ـبي لان الصباح يلفى نموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كا * ن سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه بالصد * ق اثاما فيما اتاه ولوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه * واستملح تقريضه وسبعه * بوأه مهاد كرامته * وصدره على تكرمته * ثم استحضر عشر صحاف من العرب * فيها حلواء القند والضرب *

وقال له لا يَسْتوي اَصْحابُ النار واصحابُ الجنّة * ولا يسَعُ ان يُجْعَلَ البريّ كذي الظِّنّة * وهذه الآنيه تتنزّل منزلةَ الابرار * في صَوْنِ الأسرار * فلا تولِها الا بعادَ * ولا تلحِق هُوَّ ابعاد * ثم اَمَرخادمَه بنقلِها الى مَثواه * ليَحكم فيها بما يَهواه * فاقبل علينا ابوزيد وقال اقرؤوا سورةَ الفتح * وابشِروا باندمالِ القرْح * فقد جبَرالله كَلْمَكم * وسنّى أُكلكم * وجَمع في ظِلّ الحلواءِ شَمْلكم * وعسى اَن تكرَهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم * ولمّا هَمّ بالانصراف * مال الى استهداء الصِّحاف * فقال لِلآدِب اِنّ من دلائلِ الظَّرْف * سماحةَ المُهْدِي بالظَّرْف * فقال كلاهما والغلامَ * فاحذِفِ الكلامَ * وانهَضْ بسلام * فوثَب في الجواب * وشكره شُكرَ الرّوضِ للسّحاب * ثم اقتادنا ابوزيدٍ الى حوائِه * وحكّمنا في حلوائه * وجَعل يُقلّبُ الآ وانِي بيَـدِه * ويُفِضّ عَدَدَها على عَدَدِه * ثم قال لستُ اَدري اَشكُرُ لك النّمّامَ اَمْ اَكفُر * واَتناسى فَعْلتَه ام اَذكُر * فانّه وان كانَ اَسافَ الجريمة * ونَمْنَم النّميمة * فمن غَيمِه انهلّتْ هذه الدِّيمةُ * وبسَيفِه انحازتْ لِي هذه الغنيمةُ * وقد خَطَر ببالِي * اَن اَرجعَ الى اَشبالِي * واَقْنَع بمـا تَسنّى لِي * ولا اُتعِبَ نفسي ولا اَجمالِي * وانا اُودّعكم وَداعَ مُحافِظ * واَستودِعكم خيرَحافِظ * ثم استوى على راحلَته * راجعًا في حافِـرتِه * ولاوِيًا الى زافرته * فغادرَنا بعدَاَنْ وخَدَتْ عَنْسُه * وزايَلَنا اُنسُه * كدَسْتٍ غابَ صدْرُه * او ليلٍ اَفلَ بدْرُه *

المقامة التاسعة عشر النصيبية

روى الحارث بن همام قال أَمْحَلَ العِراقُ ذاتَ العُوَيم * لاِخْلافِ أَنْواءِ الغَيْم * وتحدثَ الرُّكْبانُ بريفِ نَصِيبِين * وبُلَهْنِيَةِ أَهْلِها المُخْصِبِين * فاقْتَعَدتُّ مَهْرِيًّا * واعْتَقَلْتُ سَمْهَرِيًّا * وسِرْتُ تَلْفِظُني أَرضٌ الى أرضٍ * ويَجْذِبُني رَفْعٌ من خَفْضٍ * حتى بلغتُها نِقْضًا على نِقْضٍ * فلما انختُ بمغناها الخصيب * و ضربتُ في مَرْعاها بنصيب * نَوَيْتُ ان أُلْقِيَ بها جِرانِي * واَتَّخِذَ اَهْلَها جِيرانِي * الى اَنْ تَحْيَى السَّنَةُ الجَمادُ * ويتعهدَ اَرضَ قومِي العِهادُ * فوالله ما تَمَضْمَضَتْ مُقْلَتِي بنَوْمِها * ولا تَمَخَّضَتْ لَيْلَتِي عن يَوْمِها * اوالفيتُ ابا زيدٍ السَّروجيَّ يَجُولُ في اَرْجاءِ نَصِيبِين * ويَخْبِطُ بها خَبْطَ المُصابِين والمُصِيبِين * وهو ينثُرُ من فِيهِ الدُّرَر * ويَحْتَلِبُ بكَفَّيْهِ الدِّرَر * فوجدتُ بها جِهادِي قد حاز مَغْنَمًا * وقِدْحِيَ الفَذَّ قد صار تَوْأَمًا * ولم اَزَلْ اَتْبَعُ ظِلَّهُ اَيْنَما انبعثَ * واَلْتَقِطُ لَفْظَهُ كُلَّما نَفَثَ * الى اَنْ عَراهُ مَرَضٌ امتدَّ مَداه * وعَرَقَتْهُ مُداه * حتى كادَ يَسْلُبُهُ ثوبَ المَحْيا * ويُسَلِّمُهُ الى اَبي يَحْيى * فوجدتُّ لِفَوْتِ لُقْياه * وانقطاعِ سُقْياه * ما يَجِدُهُ المُبْعَدُ عن مَرامِهِ * والمُرْضَعُ عند فِطامِهِ * ثم أُرْجِفَ بأَنَّ رَهْنَهُ قد غَلِقَ * ومِخْلَبَ الحِمامِ به قد عَلِقَ * فقَلِقَ صَحْبُهُ لإِرْجافِ المُرْجِفِين * وانثالُوا الى عَقْوَتِهِ مُوجِفِين *

نظم

حَيارى يَمِيدُ بهم شَجْوُهم * كأَنَّهم ارْتَضَعُوا الخَنْدَرِيسا

اَسالُوا الغُرُوبَ وعَطُّوا الجُيُوبَ * وصَكُّوا الخُدُودَ وشَجُّوا الرُّؤُوسا

يَوَدُّونَ لوسالمته المنون * وقالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنت فيمن التف باصحابه * واغذ الى بابه * فلما انتهينا الى فنائه * وتصدينا لاستنشاء انبائه * برز الينا فتاه * مغترة شفتاه * فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته * وكنه قوى حركاته * فقال قد كان في قبضة المرضة * وعركة الوعكة * الى ان شفه الدنف * واستشفه التلف * ثم من الله بتقوية دمائه * فافاق من اغمائه * فارجعوا ادراجكم * وانضوا انزعاجكم * فكان قد غدا وراح * وساقاكم الراح * فاعظمنا بشراه * واقترحنا ان نراه * فدخل مؤذنا بنا * ثم خرج آذنا لنا * فلقينا منه لقى * ولسانا طلقا * وجلسنا محدقين بسريره * محدقين الى اساريره * فقلب طرفه في الجماعة * ثم قال اجتلوها بنت الساعة * وانشد *

نظم

عافاني الله وشكراله * من علة كادت تعفيني

ومن بالبرء على انه * لا بد من حتف سيبريني

ما يتناساني ولكنه * الى تقضي الأكل ينسيني

ان حم لم يغن حميم ولا * حمى كليب منه يحميني

وما ابالي آدنا يومه * ام اخر الحين الى حين

فاي فخر في حيوة ارى * فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل * وارتداد الوجل * ثم تداعينا الى القيام * لاتقاء الابرام *

فقال كلّا بل ابتدوا ببياض يومكم عندي * لتشغفوا بالمفاكهة وجدي * فإنّ مناجاتكم قوت نفسي * ومغناطيس أنسي * فتحرّينا مرضاته * وتحامينا معاصاته * ثمّ أقبلنا على الحديث نمخض زبده * ونلغي زبده * الى أن حان وقت المقيل * وكلّت الألسن من القال والقيل * وكان يوماً حامي الوديقة * يانع الحديقة * فقال إنّ النعاس قد أمال الأعناق * وراود الآماق * وهو خصم ألدّ * وخطب لا يردّ * فصلوا حبله بالقيلولة * واقتدوا فيه بالآثار المنقولة * قال الراوي فاتّبعنا ما قال * وقلنا وقال * فضرب الله على الآذان * وأفرغ السِنة في الأجفان * حتّى خرجنا من حكم الوجود * وصرفنا بالهجود عن السجود * فما استيقظنا إلّا والحرّ قد باخ * واليوم قد شاخ * فتكرّعنا لصلوة العجماوين * وأدّينا ما حلّ من الدين * ثمّ تحشحشنا للارتحال * الى ملقى الرحال * فالتفت ابو زيد الى شبله * وكان على شاكلته وشكله * وقال إنّي لأخال أبا عمرة * قد أضرم في أحشائهم الجمرة * فاستدع أبا جامع * فإنّه بشرى كلّ جائع * وأردفه بأبي نعيم * الصابر على كلّ ضيم * ثمّ عزّز بأبي حبيب * المحبّب الى كلّ لبيب * المقلّب بين احراق وتعذيب * وأهب بأبي ثقيف * فحبّذا هو من أليف * وهلمّ بأبي عون * فما مثله من عون * ولو استحضرت أبا جميل * فجمّل أيّ تجميل * وحيّ هل بأمّ القرى * المذكّرة بكسرى * ولا تتناس أمّ جابر * فكم لها من ذاكر * وناد أمّ الفرج * ثمّ افتك بها ولا حرج * واختم بأبي رزين * فهو مسلاة كلّ حزين * وإن تقرن به أبا العلاء * تمّ

أسمح من البخلاء * وإياك واستدناء المرجفين * قبل استقلال حمول البين * وإذا نزع القوم عن المراس * وصافحوا أبا إياس * فاطف عليهم أبا السرو * فإنه عنوان السرو * قال ففقه ابنه لطائف رموزه * بلطافة تمييزه * فطاف علينا بالطيبات والطيب * الى أن دنت الشمس بالمغيب * فلما أجمعنا على التوريع * قلنا له ألم ترالى هذا اليوم البديع * كيف بدا صبحه قمطريرا * وممسيه مستنيرا * فسجد حتى أطال * ثم رفع رأسه وقال *

نظم

لا تيأسن عند النوب * من فرجة تجلو الكرب

فلكم سموم هب ثم * جرى نسيما فانقلب

وسحاب مكروه تنشأ * فاضمحل وما سكب

ودخان خطب خيف منه * فما استبان له لهب

ولطالما طلع الأسى * وعلى تفيئته غرب

فاصبر اذا ما ناب روع * فالزمان أبو العجب

وترج من روح الإله * لطائفا لا تحتسب

قال فاستمليناه أبياته الغر * ووالينا لله تعالى الشكر * وودعناه مسرورين ببره * مغمورين ببره *

تفسير ما تضمنته هذه المقامة من ألفاظ لغوية

وكنى طفيلية وكنايات صوفية قوله

ذاتَ العُوَيم يعني به الزّمان المُتقادم * ومِثلُه ذاتُ الزُّمَيْن * والسَّمْهرِيّةُ الرِّماحُ * في تَسْمِيَتِها بذلك قولان * احدهما انّها سُمّيَتْ به لصَلابتها من قولهم اسمهَرَّ الشيء اذا اشتدّ * وقيل انّها منسوبةٌ الى سَمْهر زوج رُدَيْنَةَ وكانا جميعاً يُقوِّمان الرِّماحَ فنُسِبَتْ اليهما * وقوله نِقْضًا على نِقْضٍ اي مَهزُولاً على مهزولٍ * وقوله والجِرانُ باطنُ العُنق وقيل انّ السِّياطَ تُعْمَل منه * وقوله فضَرَبَ الله على الآذانِ اي انامنا ومنه قوله عزّوجلّ فضَرَبْنا على آذانهم في الكَهْف اي انَمْناهم وقيل في تفسيره منَعْناهم السَّمْعَ * وقوله تكَرَّعْنا لصَلوةِ العَجْماوَيْن اي غَسَلْنا اكارِعَنا وهو كِنايةٌ عن الوُضوء والعَجْماوانِ صلوةُ الظُّهْر والعَصْر سُمّيتا بذلك لإسْرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوةُ النَّهارِ عَجْماءُ * وقوله هَلُمّ اي قُلْ له هَلُمَّ وهي بمعنى هاتِ وبمعنى اقبل * والافصحُ ان يُوحَّد لفظُها مع المذكَّر والمونّث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ الينا * ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلُمَّ وللاثنين هلما وللجمع هَلُمّوا وللمونث الواحدة هلُمّي وللاثنتين هَلُمّا وللجمع هلْمُمْنَ * وقوله حَيَّ هَلَ اي عَجِّلْ يقال حَيَّ هَلْ بفلان بتسكين اللّام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قولُ ابن مسعودٍ في عُمَر رَضيَ اللّهُ عنهما اذا ذُكِرَ الصّالحون فحَيَّ هَلاً بعُمَر وفي حَيَّ هَلَ لُغاتٌ اُخَر اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضِعَ استيفاءِ شَرْحِها فهذا تفسيرُ الفاظِ اللغويّة واما تفسيرُ الكُنى الطُّفَيليّة والكناياتِ الصوفيّة فابو يحيى كنيةُ مَلك الموت * وابو عَمْرة كنيةُ الجُوْع ويُكْنى ايضاً ابا مالكٍ * وابو جامع

الخوانُ * وابو نعيمٍ الخبزُ الحُوّارَى * وابوحبيبٍ الجَدْى * وابو ثَقيفٍ الخَلّ * و ابوعَوْنٍ المِلْحُ * وابوجَميلٍ البَقْلُ * وأُمُّ القِرى السِكْباج * وأُمُّ جابِرٍ الهَريسةُ * وأُمُّ الفرَج الجُوْذابةُ * وابو زَينٍ الخَبيصُ * وابو العَلاءِ الفالوذَج * وابو ياسٍ الغَسول * والمُرجِفان الطَسْتُ والاَبْرِيقُ * وابو السَّرْو البَخورُ *

المقامة العشرون الميافارقينية

حكى الحارثُ بن همام قال يَمَّمْتُ مَيّافارِقِين * مع رُفْقَةٍ مُوافِقِين * لا يُمارُوْن في المُناجاة * ولا يَدرُون ماطَعْمُ المُداجاة * فكنتُ بهم كمَن لم يَرِمْ عن وِجارِه * ولا ظَعَن عن اليفه وجارِه * فلمّا أنَخْنا بها مَطايا التَّسيار * وانتَقَلْنا عن الاَكْوار الى الاَوْكار * تَواصَيْنا بتَذْكار الصُّحْبة وتَناهَيْنا عن التقاطُع في الغُرْبة * واتَّخَذْنا ناديًا نَعْتَمِره طَرَفَيِ النَّهار * ونَتَهادى فيه طُرَفَ الاَخْبار * فبَينا نحنُ فيه في بعض الاَيّام * وقد انتَظَمْنا في سِلْكِ التِيام * وَقَف علينا ذو مِقْوَلٍ جَرِيٍّ * وجَرْسٍ جُهْورِيٍّ * فحيّى تَحيّةَ نَفّاثٍ في العُقَد * قَنّاصٍ للاَسَد والنَقَد * ثم قال *

نظم

عندِي يا قومِ حديثٌ عجيبْ * فيه اعتبارٌ لِلَّبيب الاَرِيبْ

رَأيتُ في رَيْعانِ عُمْرِي اَخا * بأسٍ له حدُّ الحُسامِ القَضيبْ

يَقْدِم في المَعْرَكِ اقْدامَ مَنْ * يُوقِن بالفَتْكِ ولا يَسْتَرِيبْ

فَيَفْرِجُ الضِيقَ بكَرّاتِهِ * حتى يَرى ماكان ضَنْكًا رَحِيبْ

ما بارزَ الاقرانَ الّا انثنى * عن موقفِ الطعنِ برمحٍ خضيبْ
ولا سما يفتحُ مستصعباً * مستغلقَ البابِ منيعاً مهيبْ
الّا ونُودِيَ حين يسمو له * نصرٌ من اللّه وفتحٌ قريبْ
هذا وكم من ليلةٍ باتها * يميس في بُرْدِ الشبابِ القشيبْ
يرتشفُ الغِيدَ ويرشُفنه * وهو لدى الكُلّ المفدّى الحبيبْ
فلم يزل ينثُره دهرُه * ما فيه من بطشٍ وعودٍ صليبْ
حتى اصارته الليالي لَقًى * يعافه من كان منه قريبْ
قد اعجزَ الراقيَ تحليلُ ما * به من الداء واعيى الطبيبْ
وصارمَ البيضَ وصارمنه * من بعد ما كانَ المجابَ المجيبْ
وآضَ كالمنكوس في خلقهِ * ومن يعش يلقَ دواهي المشيبْ
وها هو اليوم مُسجّى فمنْ * يرغبُ في تكفينِ ميتٍ غريبْ

ثم اعلنَ بالنحيب * وبكى بكاءَ المحبّ على الحبيب * ولما رقأت دمعته * وانطفأت لوعته * قال يا نُجعةَ الروّاد * وقدوةَ الاجواد * واللهِ ما نعتُّ ببهتان * ولا اخبرتكم الا عن عِيان * ولو كانَ فى عصاى سَيْر * ولغيمى مُطَيْر * لاستأثرتُ بما دعوتكم اليه * ولما وقفتُ موقفَ الدالّ عليه * ولكن كيفَ الطيرانُ بلا جناح * وهل على من لا يجدُ من جُناح * قال الراوى فطفقَ القومُ يأتمرون فيما يأمرونَ * ويتحاققون فيما يأتونَ * فتقدّمهم

اَنَّهم علىٰ صَرْفه بحِرمانٍ * اوسُطا البَتة ببُرهان * فَفَرط منه اَنْ قال يا يلامِعَ القاعِ ويَرامِعَ البِقاع * ماهذا الارتياء * الّذى يا باه الحياء * حتّىٰ كأنّكم كُلِفتم مَشقّةً لا شُقّةً * اوا ستوهبتم بلدةً لا بُرْدةً * اوهززتم لكسوة البيْت * لا لتكفين الميْت * اُفٍّ لِمَن لا تندىٰ صفاتُه * ولا ترشح حصاتُه * فلمّا بَصرت الجماعةُ بذلاقته * ومرارةِ مذاقته * رفأه كلٌّ بنيْلِه * واحتمل طَلّه خوفَ سَيْله * قال الحارث بن همّام وكان هذا السائلُ واقفا خَلفي * ومحتجبا بظهرى عن طرْفي * فلما ارْضاه القومُ بسيبهم * وحقّ علىَّ التاسّى بهم * خلعتُ خاتمى من خنصَرى * ولفتُّ اليه بصَرى * فاذا هو شيخُنا السّروجيّ بلا فِريَة * ولامِرية * فأيقنتُ أنها اُكذوبةٌ تكنّى بها * واُحبولةٌ نصبها * الّا انّنى طويتُه على غرّه * وصُنت شغاهُ عن فرّه * فحصبتُه بالخاتم * وقلتُ اَرْصِدْه لنفقةِ المآتم * فقال واهاً لك * فما اَضرمَ شُغلتك * واَكرمَ فَعلتك * ثم انطلق يسعى قُدُما * ويُهروِل هروِلته قِدَما * فنزعتُ الى عِرفانِ مَيْتِه * وامتحانِ دعوىٰ حَميتِه * فقرعتُ ظُنبوبى * واَلهبتُ اُلهوبى * حتّىٰ ادركتُه علىٰ غلوة * واجتليتُه فى خلوة * فاخذتُ بجُمع اردانه * وعُقتُه عن سَنَنِ ميدانه * وقلتُ والله ما لك منّى مَلجأً ولا مَنجا * اوتُرِيَنى مَيْتك المسجّىٰ * فكشفَ عن سراويله * واشارالىٰ غُرمُوله * فقلتُ له قاتَلك الله فما اَلعبك بالنُّهىٰ * واَحْيلك على اللُّهىٰ * ثم عدتُّ الى اَصحابى عودَ الرّائد الذى لا يكذِبُ اهلَه * ولا يبرقِشُ قولَه * واَخبرتُهم بالذى رأيتُ * وما ورّيتُ ولا رأيتُ * فقهقهوا من كيتَ وكيتَ * ولعنوا ذالك الميْتَ *

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارث بن همام * قال عُنيتُ مُذ أحكمتُ تدبيري * وعرفتُ قبيلي من دبيري * بأن أُصغي الى العِظات * وأُلغي الكَلِم المُحفِظات * لِاتحلّى بمحاسِن الاخلاق * واتخلّى مِمّا يسِم بالإخلاق * وما زِلتُ آخذ بهذا الأدب * وأُخمِدُ به جمرةَ الغضب * حتى صار التطبّع فيه طباعا * والتكلّف له هوىً مُطاعا * فلما خلّلتُ بالرّيّ * وقد حللتُ حبا الغيّ * وعرفتُ الحيَّ من اللّيّ * رأيتُ بها ذاتَ بُكرة * زُمرةً إثرَ زُمرة * وهم مُنتشرون انتشار الجراد * ومُستنّون استنان الجياد * ومتواصِفون واعِظًا يقصدونه * ويُحِلّون ابن شمعون دونه * فلم يتكاءدني لاستماع المواعِظ * واختيار الواعِظ * أن أُقاسيَ اللاغط * وأحتمِلَ الضاغِط * فاصحبتُ أصحابَ المطواعة * وانخرطتُ في سِلكِ الجماعة * حتى أفضينا الى نادٍ جمَع الاميرَ والمأمورَ * وحشد النبيهَ والمغمورَ * وفي وسطها لِلهِ * وَوَسطِ أهلته * شيخٌ قد تقوّس واقعنسس * وتقلنس وتطلّس * وهو يصدع بوعظٍ يشفي الصدورَ * ويُلين الصخورَ * فسمِعتُه يقول * وقد افتتنت به العقول * ابن آدم ما أغراك بما يغُرّك * وأضراك بما يضُرّك * وألهجك بما يُطغيك * وأبهجك بمن يُطريك * تعنى بما يُعنّيك * وتُهمِل ما يَعنيك * وتنزِع في قوس تعدّيك * وترتدي الحِرصَ الذي يُرديك * لا بالكَفاف تقتنع * ولا من الحرام تمتنع * ولا للعِظات تستمع * ولا بالوعيد ترتدع * دأبُك أن تتقلّب مع الأهواء * وتخبِط خبط العشواء * وهمّك أن تدأب في الاحترات *

وتجمع التراث للوراث * يعجبك التكاثر بما لديك * ولا تذكر ما بين يديك * وتسعى ابداً الغاربك * ولا تبالي ألك ام عليك * أتظن ان ستترك سدى * وان لا تحاسب غداً * ام تحسب ان الموت يقبل الرشا * او يميز بين الاسد والرشا * كلا والله لن يدفع المنون * مال ولا بنون * ولا ينفع اهل القبور * سوى العمل المبرور * فطوبى لمن سمع و وعى * وحقق ما ادعى * ونهى النفس عن الهوى * وعلم ان الفائز من ارعوى * وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيه سوف يرى * ثم انشد انشاد وجل * بصوت زجل * نظم

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى * اذا سكن المثرى الثرى وثوى به

فجد في مراضي الله بالمال راضياً * بما تقتني من اجره وثوابه

وبادر به صرف الزمان فانه * بمخلبه الاشغى يغول ونابه

ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره * فكم خامل اخنى عليه ونابه

وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه * اخو ضلة الا هوى من عقابه

وحافظ على تقوى الاله وخوفه * لتنجو مما يتقى من عقابه

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يضاهي الوبل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وان قصارى منزل الحي حفرة * سينزلها مستنزلا عن قبابه

فواها لعبد ساءه سوء فعله * وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فظلّ القوم بين عبرةٍ يذرونها * وتوبةٍ يظهرونها * حتى كادت الشمس تزول * والفريضة تعول * فلما خشعت الاصوات * والتأم الانصات * واستكنّت العبرات * والعبارات * استصرخ مستصرخ بالامير الحاضر * وجعل يجأر اليه من عاملة الجائر * والامير صاغٍ الى خصمه * لاهٍ عن كشف ظلمه * فلما ايس من روحه * استنهض الواعظ لنصحه * فنهض نهضة الشمّير * وانشد معرّضا بالامير *

نظم

عجباً لراجٍ ان ينال ولايةً * حتى اذا ما نال بغيته بغى
يُسدي ويُلحم في المظالم والغا * في وردها طوراً وطوراً مولغا
ما ان يبالي حين يتّبع الهوى * فيها أأصلح دينه ام اوتغا
يا ويحه لو كان يوقن انّه * ما حالة الّا تحول لما طغا
اولو تبيّن ما ندامة من صغا * سمعاً الى افك الوشاة لما صغا
فانقذ لمن اضحى الزمام بكفه * وتغاض ان الغى الرعاية اولغا
وارع المرار اذا دعاك لرعيه * ورد الأجاج اذا حماك السيّغا
واحمل اذاه ولو امضّك مسّه * واسال غرب الدمع منك وافرغا
فليضحكنّك الدهر منه اذا نبا * عنه وشبّ لكيده نار الوغى
وليبرزنّ به الشمات اذا بدا * متحلّيا من شغله متفرّغا
ولتأوينّ له اذا ما خدّه * اضحى على ترب الهوان ممرّغا

هذا ولسوف يُوقَفُ مَوْقِفاً * فيه يُرى رَبُّ الفَصاحةِ أَلْثَغا

وليُحْشَرَنَّ أذَلَّ من فَقْعِ الفَلا * ويُحاسَبَنَّ على النَّقِيصةِ والشَّغا

ويُؤاخَذَنَّ بما اجْتَنى وبما اجْتَبى * ويُطالَبَنَّ بما احتَسى وبما ارتَغى

ويُناقَشَنَّ على الدَّقائقِ مثلَ ما * قد كانَ يَفْعَلُ بالوَرى بل أَبْلَغا

حتّى يَعَضَّ على الوِلايةِ كَفَّه * ويَوَدَّ لو لم يَبْغِ منها ما بَغى

ثُمَّ قال أيُّها المُتوشِّحُ بالوِلاية * المُترشِّحُ للرِّعاية * دَعِ الإدْلالَ بدَوْلَتِك * والاغترار بصَوْلَتِك * فإنّ الدَّولةَ ريحٌ قُلَّبٌ * والقُدرةَ برقٌ خُلَّبٌ * وإنَّ أسعدَ الرُّعاةِ مَن سَعِدَتْ به رَعِيَّتُه * وأشقاهُم في الدّارَين مَن ساءَتْ رِعايتُه * فلا تَكُ ممَّن يَذَرُ الآخِرةَ ويُلْغِيها * ويُحِبُّ العاجلةَ ويَبْتَغِيها * ويَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ ويُؤْذِيها * وإذا تَولّى سعى في الأرض ليُفسِدَ فيها * فوالله ما يَغْفُلُ الدَّيّانُ * ولا يُهْمَلُ الانسانُ * ولا يُلْغى الإساءةُ والإحسانُ * بل سيُوضَعُ لكَ الميزانُ * وكما تَدِينُ تُدانُ * قال فوَجَمَ الوالي لِما سَمِعَ * وامتُقِعَ لونُه وانتُقِعَ * وجَعَلَ يتأفَّفُ من الإمْرة * ويُرْدِفُ الزَّفْرةَ بالزَّفْرة * ثُمَّ عَمَدَ الى الشّاكي فأشْكاه * والى المَشْكُوِّ فأشْجاه * وألْطَفَ الواعظَ وحَباه * وعَزَمَ عليه أنْ يَغْشاه * فانْقَلَبَ عنه المظلومُ منصوراً * والظالِمُ محصوراً * وبَرَزَ الواعظُ يتهادى بين رُفْقَتِه * ويَتَباهى بفَوْزِ صَفْقَتِه * واعْتَقَبْتُه أخْطُو مُتَقاصِراً * وأُرِيه لَمْحاً باصِراً * فلمّا استَشَفَّ ما أُخْفِيه * وفَطِنَ لتَقَلُّبِ وَجْهي فيه * قال خيرُ دَليلَيْكَ مَن أرْشَدَ * ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنِّي وأنْشَدَ *

نظم

أَنا الّذي تَعرِفهُ يا حارِثُ * حِدثُ مُلوكٍ فَكِهٌ مُنافِثُ
أُطرِبُ ما لا تُطرِبُ المَثالِثُ * طَوراً أَخو جِدٍّ وطَوراً عابِثُ
ما غَيَّرَتني بَعدكَ الحَوادِثُ * ولا انتَحى عُودي خَطبٌ كارِثُ
ولا فَرى نابي حَدٌّ فارِثُ * بل مِخلَبي بكلّ صَيدٍ ضابِثُ
وكُلُّ سَرحٍ فيه ذِيبي عائِثُ * حتّى كأنّي للأنام وارِثُ
* سامُهم وحامُهم ويافِثُ *

قال الحارث بن همام * فقلتُ تاللهِ إنّك لابو زيدٍ * ولقد قُمتَ للهِ ولا عمرو بن عُبَيدٍ * فتَهَلَّلَ تهلُّلَ الكريمِ اذا أُمَّ * وقال اسمَعْ يا ابنَ أُمَّ *

نظم

عليك بالصِّدقِ ولو أنّه * أحرقك الصدقُ بنار الوعيد
وابغِ رِضا اللهِ فأغبَى الوَرى * مَن أسخطَ المولى وأرضى العَبيدْ

ثُمّ إنّه وَدَّع أَخدانَه * وانطَلَقَ يَسحَبُ أَردانَه * فطَلبناهُ مِن بَعدُ بالرِّيِّ * واستَنشَرنا خَبَرهُ من مَدارِجِ الطَّيِّ * فما فِينا من عَرَف قَرارَه * ولا دَرى أيَّ الجَرادِ عارَه *

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارثُ بن همّام قال أَوَيتُ في بَعضِ الفَتَرات * الى سَقْيِ الفُرات * فلَقِيتُ بها كُتّاباً أبرع من بَني الفُرات * وأَعذَبَ أَخلاقاً من الماءِ الفُرات * فأطَفتُ بهم لِتَهذُّبِهِم * لا لذَهَبِهِم * وكاثَرتُهم لأَدَبِهِم * لا لمآدِبِهِم * فجالَستُ منهم أضرابَ القَعقاعِ بنِ شَوْر *

وَوَصَلتُ بهم الى الكَور بعدَ الحَور * حتّى انّهم اَشرَكُونى فى المَرتع والمَربَع * وَاَحَلُّونى مَحَلَّ الاَنمُلة من الاِصْبَع * واتَّخَذونى ابنَ اُنْسِهم مَهْدَ الوِلاية والعَزل * وخازِنَ سِرِّهم فى الجِدّ والهَزل * فاتّفقَ ان نُدِبُوا فى بَعْضِ الاَوقات * لاِستِقراءِ مَزارِعِ الرَّزداقات * فاختارُوا من الجَوارِى المُنشِيات * جاريةً حالِكةَ الشِّيات * تَحْسَبُهــا جامدةً وهى تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب * وتَنْساب فى الحَبابِ كالحُبابِ * ثم دَعَونى الى المُوافقة * واستدعَونى للمُرافقة * فلمّا تورّكنا على المطِيّةِ الدَّهْماء * وتَبَطَّنّا الوالِيَةَ الماشِيةَ على الماء * اَلفَينا بها شيخًا عليه سَحَقُ سِربالٍ * وسِبُّ بالٍ * فعافَتِ الجماعةُ مَحضَره * وعَنّفَتْ من اَحْضَرَه * وَهَمَّتْ باِبرازِه من السَّفِينة * لولا ماثابَ اليها من السَّكِينة * فلمّا لمحَ مِنّا استثقالَ ظِلِّهِ * واستبرادَ طَلّه * تعرّض للمُنافثةِ فصُمِّتَ * وحَذلَ بعد اَنْ عَطَس فما شُمِّت * فاَخرَدَ يَنظُر فيما آلَتْ حالُه اليه * وينتظِرُ نُصرةَ المَبْغِيِّ عليه * وجُلنا نحنُ فى شُجونٍ * من جِدٍّ ومُجونٍ * الى اَنِ اعترضَ ذِكرُ الكِتابَتَين وفَضلِهما * وتبيانِ اَفضَلِهما * فقال قائلٌ اِنَّ كَتَبَةَ الاِنشاءِ اَنبَلُ الكُتّاب * ومالَ مائلٌ الى تفضيلِ الحُسّاب * واحتَدَّ الحِجاجُ * وامتَدَّ اللَّجاجُ * واشتَدَّ الضِّجاجُ * حتّى اذا لم يَبْقَ للجِدال مَطرَحٌ * ولا للمِراء مَسرَحٌ * قال الشيخُ لقد اَكثَرتُم يا قومِ اللَّغَطَ * واثرتُم الصَّوابَ والغَلَطَ * وانَّ جَلِيّةَ الحُكمِ عندى * فارتَضُوا بنَقدى * ولا تستفتُوا اَحدًا بعدى * اِعلَموا اَنَّ صناعةَ الانشاء اَرفَع * وصِناعةَ الحِساب اَنفَع * وقَلَمَ المُكاتبةِ خاطِبٌ * وقَلَمَ المُحاسَبةِ حاطِبٌ * واَساطِيرُ البَلاغاتِ تُنسَخُ

لتُدْرَس * ودَساتيرُ الحُسبانات تُنْسَخ وتُدْرَس * والمُنشِي جُهينةُ الأخبار * وحَقيبةُ الأسرار * ونَجِيُّ العُظماء * وكبيرُ النُدماء * وقَلَمه لِسانُ الدَّولة * وفارِسُ الجَولة * ولُقْمانُ الحِكمة * وتَرجُمانُ الهِمَّة * وهو البشيرُ والنذيرُ * والشفيع والسفيرُ * به تُسْتَخلَص الصَّياصِي * وتُمْلَك النَّواصِي * ويُقتادُ العاصِي * ويُستدنَى القاصِي * صاحبُه برِيْءٌ من التَّبِعات * آمِنٌ كَيْدَ السُّعاة * مُقَرَّظٌ بين الجَماعات * غيرُ مُعرَّضٍ لنظم الجُماعات * فلمّا انتهى في الفَصْل * الى هذا الفَصْل * لَحَظ من لَحَاتِ القوم انه ازدَرَع حُبًّا وبُغْضًا * وأرضى بَعْضًا وأحفَظَ بَعْضًا * فعقّب كلامَه بأنْ قال اِلّا أنَّ صِناعةَ الحِساب موضوعةٌ على التَّحقيق * وصِناعَةَ الانشاء مَبْنيَّةٌ على التَّلفيق * وقَلَمُ الحاسِبِ ضابِطٌ * وقَلَمُ المُنشِي خابِطٌ * وبين اِتاوَة توظيفِ المُعامَلات * وتِلاوَة طَوامِيرِ السِّجِلّات * بَوْنٌ لا يُدْرِكه قياسٌ * ولا يَعْتَوِرُه التباسٌ * اذا لِاتاوةُ تَمْلَأُ الأكياسَ * والتِلاوةُ تُفرِّغ الرّاسَ * وخَراجُ الأوارِج يُغْنِي الناظِرَ * واستِخراجُ المَدارِج يُعَنِّي الناظِرَ * ثم اِنّ الحَسَبَةَ حَفَظَةُ الأموال * وحَمَلَةُ الأثقال * والنَّقَلَةُ الأثباتُ * والسَّفَرَةُ الثِّقاتُ * وأعلامُ الاِنصاف والانتصاف * والشُّهودُ المَقانِعُ في الأخلاف * عند اشتجارِ الرِّجال * واشتغارِ الجِدال * ومنهم المُستوفِي الذي هو يَدُ السُّلطان * وقُطْبُ الدِّيوان * وقُسطاسُ الأعمال * والمُهَيمِنُ على العُمّال * واليه المآبُ في السِّلْم والهَرْج * وعليه المَدارُ في الدَّخْل والخَرْج * وبه مَناطُ الضَّرِّ والنَّفْع * وفي يَده رِباطُ الاِعطاءِ والمَنْع * ولولا قَلَمُ الحُسّاب * لَأَوْدَتْ ثَمَرةُ الاكتساب * ولَاتَّصل التَّغابُن

الى يومِ الحِساب * ولكانَ نِظامُ المُعامَلات محلولًا * وجُرْحُ الظُّلاماتِ مطلولًا * وجِيدُ التَّناصُفِ مغلولًا * وسَيْفُ التظالُمِ مسلولًا * على أنَّ يَراعَ الانشاءِ مُتَقَوِّلٌ * ويَراعَ الحِسابِ مُتَأَوِّلٌ * والمُحاسِبُ مُناقِش * والمُنشِئُ ابو براقِش * ولكليهما حُمَةٌ حين يَرْقَى * الى أنْ يُلقَى ويُرْقَى * واعناتٌ فيما يُنْشِي * حتى يُغْشَى ويُرْشِي * الّا الذين آمنوا وعَمِلُوا الصالِحاتِ وقليلٌ ما هم * قال الحارثُ بن همّام فلمّا أمتَعَ الأسماعَ * بما راقَ وراعَ * استنسبناه فاستراب * وأبى الانتساب * ولو وجَدَ مُنْسابًا لانساب * فحصلتُ من لَبْسِهِ على غُمّةٍ * حتى ادّكرتُ بعدَ أُمّةٍ * فقلتُ والذي سَخَّرَ الفَلَكَ الدوّارَ * والفُلْكَ السيّارَ * إنّي لأَجِدُ رِيحَ ابى زيدٍ * وان كنتُ أعهَدُهُ ذا أرواءٍ وأَيْدٍ * فتبسَّمَ ضاحِكًا من قَوْلِي * وقال أنا هو على استحالةِ حالِي وحَوْلِي * فقلتُ لأَصْحابِي هذا الذى لا يُفْرِى فَرِيَّه * ولا يُبارَى عَبْقَرِيَّه * فخطبوا منه الوُدّ * وبذلوا له الوُجْدَ * فرغِبَ عن الأُلْفةِ * ولم يَرْغَبْ في التُّحفةِ * وقال أمّا بعدَ أنْ سَحَقتم حَقِّي * لأَجلِ سَحْقِي * وكسَفْتم بالِي * لإخْلاقِ سِرْبالي * فما أراكم إلّا بالعَيْنِ السَّخِينةِ * ولا لكم مِنّي الّا صُحْبةُ السَّفِينةِ * ثم أنْشَدَ *

نظم

اِسْمَعْ أُخَيَّ وصِيَّةً من ناصِحٍ * ما شابَ مَحْضَ النُّصحِ منه بغِشِّهِ
لا تَعْجَلَنْ بقَضِيَّةٍ مبتوتةٍ * في مَدْحِ من لم تَبْلُهُ او خَدْشِهِ
وَقِفِ القَضِيَّةَ فيه حتّى تَجْتَلِي * وَصْفَيْهِ في حالَيْ رِضاهُ وبَطْشِهِ

وَيَبِينَ خُلَّبُ بَرْقِهِ مِن صِدْقِهِ * لِلشَّائِمِينَ وَوَبْلُهُ مِن طَشِّهِ

فَهُنَاكَ إِنْ تَرَ مَا يَشِينُ فَوَارِهِ * كَرَماً وَإِنْ تَرَ مَا يَزِينُ فَأَفْشِهِ

وَمَنِ اسْتَحَقَّ الارْتِقَاءَ فَرَقِّهِ * وَمَنِ اسْتَحَطَّ فَحُطَّهُ فِي حَشِّهِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ التِّبْرَ فِي عِرْقِ الثَّرَى * خَافٍ إِلَى أَنْ يُسْتَثَارَ بِبَحْثِهِ

وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا * مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَاحَةِ نَقْشِهِ

وَمِنَ الغَبَاوَةِ أَنْ تُعَظِّمَ جَاهِلاً * لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنَقِ رَقْشِهِ

أَوْ أَنْ تُهِينَ مُهَذَّباً فِي نَفْسِهِ * لِدُرُوسِ بِزَّتِهِ وَرَثَّةِ فَرْشِهِ

وَلَكَمْ أَخِي طِمْرَيْنِ هِيبَ لِفَضْلِهِ * وَمُفَوَّفِ البُرْدَيْنِ عِيبَ لِفُحْشِهِ

وَإِذَا الفَتَى لَمْ يَغْشَ عَاراً لَمْ تَكُنْ * أَسْمَالُهُ إِلَّا مَرَاقِيَ عَرْشِهِ

مَا إِنْ يَضُرُّ العَضْبَ كَوْنُ قِرَابِهِ * خَلَقاً وَلَا البَازِي حَقَارَةُ عُشِّهِ

ثُمَّ مَا عَتَّمَ أَنِ اسْتَوْقَفَ المَلَّاحَ * وَصَعِدَ مِنَ السَّفِينَةِ وَسَاحَ * فَنَدِمَ كُلٌّ مِنَّا عَلَى مَا فَرَّطَ فِي ذَاتِهِ * وَأَغْضَى جَفْنَهُ عَلَى قَذَاتِهِ * وَتَعَاهَدْنَا عَلَى أَنْ لَا نَحْتَقِرَ شَخْصاً لِرَثَاثَةِ بُرْدِهِ * وَأَنْ لَا نَزْدَرِيَ سَيْفاً مَخْبُوّاً فِي غِمْدِهِ *

المقامة الثالثة والعشرون البغدادية

حَكَى الحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ نَبَا بِي مَأْلَفُ الوَطَنِ * فِي شَرْخِ الزَّمَنِ * لِخَطْبٍ خُشِيَ * وَخَوْفٍ غَشِيَ * فَأَرَقْتُ كَأْسَ الكَرَى * وَنَصَصْتُ رِكَابَ السُّرَى * وَجُبْتُ فِي سَيْرِي

وعورًا لم تدمّنها الخطا * ولا اهتدت اليه القطا * حتى وردت حمى الخلافة * والحرم العاصم من المخافة * فسروت إنجاس الروع واستشعارة * وتسربلت لباس الامن وشعاره * وقصرت همّي على لذة اجتنيها * وملحة اجتليها * فبرزت يومًا الى الحريم * لأروض طرفي * وأجيل في طرفه طرفي * فاذا فرسان متتالون * ورجال منثالون * وشيخ طويل اللسان * قصير الطيلسان * قد لبّب فتى جديد الشباب * خلق الجلباب * فركضت اثر النظارة * حتى وافينا باب الامارة * وهناك صاحب المعونة متربعًا في دسته * ومروعًا بسمته * فقال له الشيخ اعز الله الوالي * وجعل كعبه العالي * اني كفلت هذا الغلام فطيمًا * وربيته يتيمًا * ثم لم آله تعليمًا * فلما مهر وبهر * جرّد سيف العدوان وشهر * ولم اخله يلتوي عليّ وينتفح * حين يرتوي مني ويلتقح * فقال له الغلام علامَ عثرت مني * حتى تنشر هذا الخزي عني * فوالله ما سترت وجه برك * ولا هتكت حجاب سرك * ولا شققت عصا امرك * ولا الغيت تلاوة شكرك * فقال له الشيخ ويلك * واي ريب اخزى من ريبك * وهل عيب افحش من عيبك * وقد ادّعيت سحري واستلحقته * وانتحلت شعري واسترقته * واسترق الشعر عند الشعراء * افظع من سرقة البيضاء والصفراء * وغيرتهم على بنات الافكار * كغيرتهم على البنات الابكار * فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ * ام مسخ ام نسخ * فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب * وترجمان الادب * ما احدث سوى ان بتر شمل شرحه * واغار على ثلثي

شرحه * فقال أنشد أبياتك برمّتها * ليضح ما اختاره من جملتها * فأنشد *

نظم

يا خاطب الدنيا الدنيّة إنها * شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها * أبكت غدا بعدا لها من دار
وإذا أظلّ سحابها لم ينتقع * منه صدًا لجهامه الغرّار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها * لا يفتدى بجلائل الأخطار
كم مزدهى بغرورها حتّى بدا * متمرّدا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجنّ وأولغت * فيه المدى ونزت لأخذ الثار
فاربأ بعمرك أن يمرّ مضيّعا * فيها سدًى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبّها وطلابها * تلق الهدى ورفاهة الأسرار
وارقب إذا ما سالمت من كيدها * حرب العدى وتوثّب الغدّار
واعلم بأنّ خطوبها تفجا ولو * طال المدى ونت سرى الأقدار

فقال له الوالي ثم ماذا * صنع هذا * قال أقدم للؤمه في الجزاء * على أبيات السداسيّة الأجزاء * فحذف منها جزئين * ونقص من أوزانها وزنين * حتّى صار الرزء فيها رزئين * فقال بيّن ما أخذ * ومن أين فلذ * فقال أرعني سمعك * واخل للتفهّم ذرعك * حتّى تتبيّن كيف أضامت عليّ * وتقدر قدر اجترامه إليّ * ثمّ أنشد * وأنفاسه تتصعّد *

نظم

يا خاطِبَ الدُّنيا الدَّنيّةِ * إنّها شَرَكُ الرَّدا
دارٌ متى ما أضحكتْ * في يومها أبكتْ غدا
وإذا أظلَّ سحابُها * لم ينتقعْ منهُ صدا
غاراتُها ما تنقضي * وأسيرُها لا يُفتدَى
كم مُزدهًى بغرورِها * حتّى بدا متمرِّدا
قلبتْ لهُ ظهرَ المِجَنِّ * وأولغتْ فيهِ المُدى
فاربأْ بعمرِكَ أن يمرَّ * مُضيَّعًا فيها سُدا
واقطعْ علائقَ حبِّها * وطِلابِها تلقَ الهُدى
وارقُبْ إذا ما سالمتْ * من كيدِها حربَ العِدا
واعلمْ بأنَّ خطوبَها * تفجا ولو طالَ المدا

فالتفتَ الوالي إلى الغلامِ * وقال تبًّا لك من خرِّيجٍ مارقٍ * وتلميذٍ سارقٍ * فقال الفتى برئتُ من الأدبِ وبنيهِ * ولحقتُ بمن يناويهِ * ويقوِّضُ مبانيهِ * إن كانت أبياتُهُ نمتْ إلى علمي * قبلَ أن ألّفتُ نظمي * وإنّما اتّفقَ توارُدُ الخواطرِ * كما قد يقعُ الحافرُ على الحافرِ * قال فكأنَّ الوالي جوَّزَ صدقَ زعمِهِ * فندمَ على بادرةِ ذمِّهِ * وظلَّ يفكِّرُ فيما يكشفُ لهُ عن الحقائقِ * ويميِّزُ بهِ الفائقَ من المائقِ * فلم يرَ إلّا أخذَهما بالمناضلةِ * ولزَّهما في قرنِ المساجلةِ * فقال لهما إن أردتُما افتضاحَ العاطلِ * واتّضاحَ الحقِّ من الباطلِ *

فترا سلا في النظم وتباريا * وتجاولا في حلبة الاجازة وتجاريا * ليهلك من هلك عن بينة * ويحيى من حيّ عن بينة * فقال له بلسان واحد * وجواب متوارد * قد رضينا بسبرك * فمرنا بأمرك * فقال انّي مولع من انواع البلاغة بالتجنيس * واراه لها كالرئيس * فانظما الآن عشرة ابيات تلحمانها بوشيه * وترصعانها بحليه * وضمّنا ها شرح حالي * مع الف لي بديع الصفة * المي الشفة * مليح التثني * كثير التيه والتجني * مغرى بتناسي العهد * واطالة الصدّ * واخلاف الوعد * وانا له كالعبد * قال فبرز الشيخ مجليّاً * وتلاه الفتى مصلّياً * وتجاريا بيتاً فبيتاً على هذا النسق * الى ان كمل نظم الابيات واتّسق * وهي *

نظم

وأحوى حوى رقّي برقّة لفظه * وغادرني الف السّهاد بغدره

تصدّى لقتلي بالصدود وانّني * لفي اسره مذ حاز قلبي باسره

أصدّق منه الزور خوف ازوراره * وارضى استماع الهجر خشية هجره

واستعذب التعذيب منه وكلّما * اجدّ عذابي جدّ بي حبّ برّه

تناسى ذمامي والتناسي مذمّة * واحفظ قلبي وهو حافظ سرّه

واعجب ما فيه التباهي بعجبه * واكبره عن ان افوه بكبره

له منّي المدح الذي طاب نشره * ولي منه طيّ الودّ من بعد نشره

ولو كان عدلاً ما تجنّى وقد جنى * عليّ وغيري يجتني رشف ثغره

ولولا تثليثه ثنيت اعنتي * بدارا الى من اجتلي نور بدره
واني على تصريف امري وامره * ارى المرحلوا في انقياد ي لامره

فلما انشدها الوالى مترا سلين * بهت لذكائهما المتعاد لين * وقال اشهد بالله انكما فرقد اسماء * وكزندين في وعاء * وان هذا الحدث لينفق مما آتاه الله * ويستغنى بوجده عمن سواه * فتب ايها الشيخ من اتهامه * وتب الى اكرامه * فقال الشيخ هيهات ان تراجعه مقتى * اوتعلق به ثقتى * وقد بلوت كفرانه للصنيع * ومنيت منه بالعقوق الشنيع * فاعترضه الفتى وقال يا هذا ان اللجاج شؤم * والحنق لؤم * وتحقيق الظنة اثم * واعنات البريء ظلم * وهبني اقترفت جريرة * اواجترحت كبيرة * اما تذكر اذ انشدتني لنفسك * في ابان انسك *

نظم

سامح اخاك اذا خلط * منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه * ان زاغ يوما اوقسط
واحفظ صنيعك عنده * شكر الصنيعة ام غمط
واطعه ان عاصى وهن * ان عز وادن ان اذا شحط
واقن الوفاء ولو اخل * بما اشترطت وما اشترط
واعلم بانك ان طلبت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

أوما ترى المحبوب والمكروه لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصون مع الجني الملتقط
ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان وجدت اكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصلّ * ويحملق حملقة البازي المطلّ * ثم قال والذي زيّن السماء بالشهب * وانزل الماء من السحب * ما روغي عن الاصطلاح * الا لتوقّي الافتضاح * فانّ هذا الفتى اعتاد ان امونه * واراعي شؤونه * وقد كان الدهر يسحّ فلم اكن اشحّ * فامّا الآن فالوقت عبوس * وحشو العيش بؤس * حتى انّ بزّتي هذه عارة * وبيتي لا تطوره فارة * قال فرقّ لمقاليهما قلب الوالي * واوى لهما من غير الليالي * وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف * وامر النظّارة بالانصراف * قال الراوي وكنت متشوّفا الى مرأى الشيخ لعلّي اعلم علمه * اذا عاينت وسمه * ولم يكن الزحام يسفر عنه * ولا يفرج لي فادنو منه * فلما تقوّضت الصفوف * واجفل الوقوف * توسّمته * فاذا هو ابو زيد والفتى فتاه * فعرفت حينئذ مغزاه فيما اتاه * وكدت انقضّ عليه * لاستعرف اليه * فزجرني بايماض طرفه * واستوقفني بايماء كفّه * فلزمت موقفي * واخّرت منصرفي * فقال الوالي ما امركما * ولايّما سبب صقامكما * فابتدره الشيخ وقال انّه انيسي * وصاحب مابوسي * فتسمّح عند هذا القول بتانيسي *

وَرَخَّصَ فِي جُلُوسِي * ثُمَّ اَفَاضَ عليهما خِلْعَتَيْنِ * وَوَصَلَهما بِنِصابٍ مِنَ العَيْنِ * واستَعْهَدَهما اَن يَتعاشَرا بالمعروف * الى اِظْلالِ اليَوْمِ المَخُوف * فَنَهَضا مِن نادِيهِ * مُشِيدَيْنِ بِشُكْرِ اَيادِيهِ * وَتَبِعْتُهما لا اَعرِفُ مَثْواهُما * ولا اَتَزَوَّدُ مِن نَجْواهُما * فلمّا اَجَزْنا حِمَى الوالِي * وَاَفْضَيْنا الى الفَضاءِ الخالِي * اَدْرَكَنِي اَحَدُ جَلاوِزَتِهِ * مُهِيبًا الى حَوْزَتِهِ * فقلتُ لابِي زَيدٍ ما اَظُنُّهُ استَحْضَرَنِي * الّا لِيَسْتَخْبِرَنِي * فماذا اَقُولُ * وفي اَيِّ وادٍ معهُ اَجُولُ * فقال بَيِّنْ لهُ غَباوةَ قَلْبِهِ * وَتَلَعابِي بِلُبِّهِ * لِيَعْلَمَ اَنَّ رِيحَهُ لاقَتْ اِعْصارًا * وجَدْوَلَهُ صادَفَ تَيّارًا * فقلتُ اَخافُ ان يَتَّقِدَ غَضَبُهُ * فَيَلْفَحَكَ لَهَبُهُ * او يَسْتَشْرِيَ طَيْشُهُ * فَيَسْرِيَ اليكَ بَطْشُهُ * فقال اِنِّي اَرْحَلُ الآنَ الى الرُّها * وَاَنَّى يَلْتَقِي سُهَيْلٌ والسُّها * فلمّا حَضَرْتُ الوالِيَ وقد خلا مَجْلِسُهُ * وانجلى تَعَبُّسُهُ * اَخَذَ يَصِفُ ابا زيدٍ وفَضْلَهُ * وَيَذُمُّ الدَّهْرَ لَهُ * ثُمَّ قال نَشَدْتُكَ اللّٰهَ اَلَسْتَ * الّذِي اَعارَهُ الدَّسْتَ * فقلتُ لا والّذِي اَجْلَسَكَ في هٰذا الدَّسْتِ * ما اَنا بِصاحِبِ ذلكَ الدَّسْتِ * بل انتَ الّذِي تَمَّ عليهِ الدَّسْتُ * فازْوَرَّتْ مُقْلَتاهُ * واحْمَرَّتْ وَجْنَتاهُ * وقال واللّٰهِ ما اَعْجَزَنِي قَطُّ فَضْحُ مُرِيبٍ * ولا تَكْشِيفُ مَعِيبٍ * ولٰكِنْ ما سَمِعْتُ بِاَنَّ شَخْصًا دَلَّسَ * بعدَما تَطَلَّسَ * فَبِهٰذا تَمَّ لهُ ان لَبَّسَ * فما كُنْيَةُ ذٰلكَ القُرَيْدِ * فقلتُ ابو زيدٍ * فقال انهُ بِابِي كَيْدٍ * اَلْيَقُ منهُ بِابِي زيدٍ * اَفَتَدْرِي اَيْنَ سَكَعَ * ذٰلكَ اللُّكَعُ * قلتُ اَشْفَقَ منكَ لِتَعَدِّي طَوْرِهِ * فَظَعَنَ عن بغدادَ مِن فَوْرِهِ * فقال لا قَرَّبَ اللّٰهُ لهُ نَوًى * ولا كَلَأَهُ اَيْنَ ثَوَى * فما زاوَلْتُ اَشَدَّ مِن نُكْرِهِ * ولا ذُقْتُ اَمَرَّ مِن مَكْرِهِ * ولولا حُرْمَةُ اَدَبِهِ * لَاَوْغَلْتُ في طَلَبِهِ * الى

أن يقع فأُوقع به * وإنّي لأكره أن تشيع فعلته * بمدينة السّلام * فأفتضح بين الأنام * وتحتطّ مكانتي عند الإمام * وأصير ضحكة الخاصّ والعامّ * فعاهدني على أن لا أتفوّه بما اعتمد * ما دمت حِلًّا بهذا البلد * قال الحارث بن همّام فعاهدته معاهدة من لا يتأوّل * ووفيت له كما وفى السموأل *

المقامة الرابعة والعشرون القطيعيه

حكى الحارث بن همّام قال عاشرت بقطيعة الرّبيع * في إبّان الرّبيع * فتيةً وجوههم أبلج من أنواره * وأخلاقهم أبهج من أزهاره * وألفاظهم أرقّ من نسيم أسحاره * فاجتليت منهم ما يُزري على الرّبيع الزاهر * ويُغني عن رنّات المزاهر * وكنّا تقاسمنا على حفظ الوداد * وحظر الاستبداد * وأن لا ينفرد أحدنا بالتذاذ * ولا يستأثر ولو برذاذ * فأجمعنا في يوم سماء جنّه * ونماء حسنه * وحكم بالاصطباح مزنه * على أن نلتهي بالخروج * إلى بعض المروج * لنُسرّح النواظر * في الرّياض النّواضر * ونُصقل الخواطر * بشيم المواطر * فبرزنا ونحن كالشهور عدّة * وكندماني جذيمة مودّة * إلى حديقة أخذت زخرفها وازّيّنت * وتنوّعت أزاهيرها وتلوّنت * ومعنا الكميت الشّموس * والسّقاة الشّموس * والشّادي الذي يُطرب السامع ويُلهيه * ويَقري كلّ سمع ما يشتهيه * فلمّا اطمأنّ بنا الجلوس * ودارت علينا الكؤوس * وغل علينا ذو طمرين * عليه طِمر * فتجهّمناه تجهّم الغيد الشّيب * ووجدنا صفو يومنا قد شيب * إلّا أنّه سلّم تسليم

أُولِي الفَهْمِ * وَجَلَس يفُضّ لَطائِمَ النَّثْرِ والنَّظْمِ * ونحنُ نَنْزوِي من انبساطه * ونَنْبَرِي لطَيِّ بساطِه * الى اَن غنّى شادِينا المُغرِبُ * ومُغَرِّدُنا المُطْرِبُ *

نظم

إلامَ سُعادُ لا تَصِلِينَ حَبْلِي * ولا تأوِينَ لي ممّا اُلاقِي

صَبَرْتُ عليكِ حتّى عِيلَ صَبْرِي * وكادَتْ تبلُغُ الرُّوحُ التَّراقِي

وها انا قد عَزَمْتُ على انتصافٍ * أُساقِي فيه خِلِّي ما يُساقِي

فإنْ وَصْلاً أَلَذُّ به فَوَصْلٌ * وإنْ صرمًا فصَرْمٌ كالطَّلاقِ

قال فاستفهَمْنا العابِثَ بالمَثانِي * لِمَ نَصَبَ الوَصْلَ الاوَّلَ ورَفَعَ الثّانِي * فاَقسَم بتُرْبةِ أَبَوَيْه * لقد نَطَق بما اختارَه سِيبَوَيه * فتشعّبتْ حينئذٍ آراءُ الجَمْعِ * في تجويزِ النَّصْبِ والرَّفْعِ * فقالتْ فِرْقةٌ رَفْعُهما هو الصَّواب * وقالَتْ طائفةٌ لا يَجوزُ فيهما الّا الانتصابُ * واستبَهَم على آخَرِينَ الجوابُ * واسْتَعَرَ بينهم الاصطخابُ * وذلك الواغِلُ يُبْدِي ابتسامَ ذي مَعْرِفةٍ * وإنْ لم يَفُهْ بِبِنْتِ شَفَةٍ * حتّى اذا سَكَنَتِ الزَّماجِرُ * وصَمَتَ المزجورُ والزّاجِرُ * قال يا قومِ أنا أُنبِّئُكم بتأويلِه * وأُميِّزُ صحيحَ القولِ من عليلِه * إنّه ليَجُوزُ رفعُ الوَصْلَيْنِ ونَصْبُهما * والمُغايرةُ في الاعرابِ بينهما * وذلكم بحَسَبِ اختلافِ الإضمارِ * والتَّقديرِ المحذوفِ في هذا المِضْمارِ * قال فقَرَط من الجماعةِ إفراطٌ في مُماراتِه * وانخراطٌ الى مُباراتِه * فقال أمّا اذا دَعَوْتُم نَزالِ * وتلبّبتُم للنِّضالِ * فما كَلِمةٌ هي إنْ شِئتُم حَرْفٌ محبوبٌ * اوِ اسمٌ لِما فيه حَرْفٌ حَلُوبٌ * وأيُّ اسمٍ يتردّدُ بين فَرْدٍ حازِمٍ * وجَمْعٍ مُلازِمٍ * وايّةُ هاءٍ اذا

التحقت اماطت النقل * واطلقت المعتقل * واين تدخل السين فتعزل العامل * من غير ان تجامل * وما منصوب ابداً على الظرف * لا يخفضه سوى حرف * واى مضاف اخل من عرى الاضافة بعروة * واختلف حكمه بين مساء وغدوة * وما العامل الذى يتصل آخره باوله * ويعمل معكوسه مثل عمله * واى عامل نائبه ارحب منه وكرا * واعظم مكرا * واكثر لله تعالى ذكرا * وفي اى موطن يلبس الذكران * براقع النسوان * وتبرز ربات الحجال * بعمائم الرجال * واين يجب حفظ المراتب * على المضروب والضارب * واما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين * او الاقتصار منه على حرفين * وفى وضعه الاول التزام * وفى الثانى الزام * وما وصف اذا اردف بالنون * نقص صاحبه فى العيون * وقوم بالدون * وخرج من الزبون * وتعرض للهون * فهذه ثنتا عشرة مسئلة وفق عددكم * وزنة لددكم * ولو زدتم زدنا * وان عدتم عدنا * قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من احاجيه اللاتى هالت لما انهالت * ما حارت له الافكار وحالت * فلما اعجزنا العوم في بحره * واستسلمت تمائمنا لسحره * عدلنا من استثقال الرؤية له الى استنزال الرواية عنه * ومن بغى التبرم به الى ابتغاء التعلم منه * فقال والذى نزل النحو فى الكلام * منزلة الملح فى الطعام * وحجب مطالعه عن بصائر الطغام * لا انلتكم مراما * ولا شفيت لكم غراما * او تخولنى كل يد * ويختصنى كل منكم بيد * فلم يبق فى الجماعة الا من اذعن لحكمه * ونبذ اليه خبأة كمه * فلما حصله تحت وكائه * اضرم

شُعلة ذكائه * فكشف حينئذٍ من أسرار ألغازه * وبدائع إعجازه * ما جلا به صدأ الأذهان * وجلّى مطلعه بنور البرهان * قال الراوي فهمنا * حين فهمنا * وعجبنا * ان أجبنا * وندمنا * على ما ندّ منّا * واخذنا نعتذر اليه اعتذار الأكياس * ونعرض عليه ارتضاع الكأس * فقال ما ارب لا حفاوة * ومشربٌ لم يبق له عندي حلاوة * ثم شمخ بانفه صلفا * ونأى بجانبه انفا * وانشد *

نظم

نهاني الشيبُ عمّا فيه أفراحي * فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتّقةٍ * وقد أنار مشيبُ الرأس إصباحي
آليتُ لا خامرتني الخمر ما علقت * روحي بجسمي والفاظي بإفصاحي
ولا اكتست لي بكالسات السلاف يدٌ * ولا اجلتُ قداحي بين اقداح
ولا صرفتُ الى صرفٍ مشعشعةٍ * همّي ولا رحتُ مرتاحاً الى راح
ولا نظمتُ على مشمولةٍ ابداً * شملي ولا اخترتُ ندماناً سوى الصاح
محا المشيبُ مراحي حين خطّ على * راسي فابغض به من كاتبٍ ماح
ولاح يلحي على جري العنان الى * ملهىً فسحقاً له من لائحٍ لاح
ولو لهوتُ وفودي شائبٌ لخبا * بين المصابيح من غسّان مصباحي
قومٌ سجايا هم توقير ضيفهم * والشيب ضيفٌ له التوقير يا صاح

ثم انه انساب انسياب الأيم * واجفل اجفال الغيم * فعلمت انه سراج سروج * وبدر

الأدب الّذى يَجْتابُ البُروجَ * وكان قُصارانا التحرّقَ لبُعْدِه * والتفرّقَ مِن بَعْدِه *

تفسيرُ ما أُودِعَ هذه المقامةَ من النّكت العربيّة والأحاجيّ النحويّة

امّا صَدْرُ البيت الاخير من الأُغنيّة الّذى هو فان وَصْلا ألذّ به فوصلٌ فانّه نظيرُ قولِهم المرءُ مَجْزِيٌّ بعَمَله إنْ خَيْرًا فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ * وهذه المسئلةُ أوْدَعها سيبويه كِتابَه وجَوّز في اعرابها اربعةَ اوجهٍ * احدُها وهو اجْوَدُها أن تَنصِبَ خَيْرَن الاوّلَ وتَرْفَعَ الثانِيَ * وتَنصِبَ شَرًّا الاوّلَ وترفَعَ الثانِيَ * ويكونُ تقديرُه ان كان عمَلُه خيرًا فجزاؤُه خيرٌ * وان كان عملُه شرًّا فجزاؤُه شرٌّ * فينتصِبُ الاوّلُ على انّه خبرُ كان ويرتفعُ الثانِي على انه خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ وقد حَذَفْتَ في هذا الوجه كان واسمَها لدَلالةِ حرفِ الشرط الّذى هو إنْ على تقديرهما وحذفتَ ايضًا المبتدأَ لدلالة الفاءِ التى هيَ جوابُ الشرط عليه لانه كثيرًا ما يقَعُ بعدَها * والوجْهُ الثانِي ان تنصِبَهما جميعًا ويكونَ تقديرُ الكلام ان كان عملُه خيرًا فهو يُجْزىٰ خَيْرًا وان كان عملُه شرًّا فهو يُجْزىٰ شرًّا فينتصِبُ الاوّلُ على انه خَبَرُ كان وينتصب الثانِي انتصابَ المفعولِ به * والوجْهُ الثالثُ ان ترْفَعَهما جميعًا ويكونُ تقديرُ الكلام ان كان في عَمَلِه خيرٌ فجزاؤُه خيرٌ فيرتفعُ خَيْرُن الاوّلُ على انه اسم كان ويرتفع خيرُن الثانِي لانه خبرُ مبتدإٍ محذوفٍ على ما بُيّنَ في شرح الوجهِ الاوّلِ وقد يجوز ان يرتفعَ خَيْرُ الاوّلُ على انه فاعل كان وتُجْعَلُ كان المقدّرةُ هٰهنا هي التامّةَ الّتى تأتي بمعنى حَدَثَ ووَقَعَ فلا تحتاجُ الى خَبَرٍ كقولِه تعالى وإنْ كانَ ذُو عُسْرَةٍ *

ويكون التقديرُ في المسئلة ان كان خيرٌ فجزاءه خيرٌ * اي ان حدث خيرٌ فجزاءه خيرٌ *
والوجهُ الرابعُ وهو اَضعفُها اَنْ ترفَعَ الاوّلَ على ما تقدّم شرحه في الوجهِ الثالثِ وتَنصِبَ
الثاني على ما بُيّن ذِكرُه في الوجهِ الثاني ويكون التقديرُ اِنْ كان في عمله
خيرٌ فهو يجزى خيراً وعلى حَسَبِ هذا التفسيرِ والمقدَّراتِ المحذوفاتِ فيه يجرِى اعرابُ
البيتِ الذى عُنِّىَ به * ومما يَنتظم في هذا السِّلك قولُهم المَرْءُ مقتولٌ بما قتَلَ
به اِنْ سَيفاً فسيفٌ واِنْ خنجراً فخنجرٌ * واما الكلمةُ
التي هي حرفٌ محبوبٌ * او اسمٌ لما فيه حرفٌ حلوبٌ * فهي نَعَمْ اِنْ اَردتَ بها تصديقَ
الاخبارِ والعِدَةِ عند السؤالِ فهي حرفٌ * واِن عَنَيْتَ بها الاِبلَ فهي اسمٌ * والنَّعَم
تُذكَّرُ وتؤنَّث وتَنطلِق على الابلِ وعلى كلِّ ماشيةٍ فيها اِبلٌ * وفي الابلِ الحَرْفُ وهي
الناقةُ الضامِرةُ * سُمّيتْ حرفاً تشبيهاً لها بحَرْفِ السَّيفِ * وقيل اِنّها الضخمةُ تشبيهاً لها
بحَرْفِ الجَبَلِ * واما الاسمُ المتردِّد بين فَرْدٍ حازِمٍ وجَمْعٍ مُلازِمٍ فهو سراويلُ * قال
بعضُهم هو واحدٌ جمعُه سَراويلاتٌ فعلى هذا القولِ هو فَرْدٌ وكَنى عن ضَمّه الخصرَ بانّه
حازِمٌ * وقال آخَرون بل هو جمعٌ وواحدُه سِرْوالٌ مثل شِمْلالٍ وشَمائِلَ فهو على هذا
القولِ جمعٌ ومعنى قوله مُلازِمٍ اى لا ينصرف وانّما لم يَنْصرِفْ هذا النوعُ من الجَمْعِ
وهو كلُّ جمعٍ ثالثُه اَلِفٌ بعدها حرفٌ مُشدَّدٌ او حرفان او ثلثةٌ اَوسطُها ساكنٌ لِثقَلِه وتفرّدِه
دون غيرِه من الجُموعِ بانْ لا نظيرَ له في الاَسماءِ الآحادِ * وقد كَنى في هذه الاُحجيّة

عمّا لا ينصرفُ بالمُلازِم * واما الهاءُ الّتى اذا التحقتْ اماطَتِ الثِقل واَطْلقتِ المعتقل فهى الهاءُ اللاحِقــةُ بالجمع المُقدَّمِ ذكْرُه مثل صَيارِفةٍ وصَياقِلةٍ فينصرفُ هذا الجمعُ عند التحاقِ الهاءِ به لانَّها قد اَصارَتْه الى مِثالِ الآحاد نحو رَفاهِيَةٍ وكراهِيَةٍ فخَفَّ بهٰذا السَّبَب وصُرِفَ لهٰذه العلّة * وقد كنَيْ فى هٰذه الاُحْجِيّة عما لا ينصرف بالمُعتقَل كما كنى فى التى قبلها عمّا لا ينصرف بالمُلازِم * وامّا السينُ التى تَعــزِلُ العامِلَ من غير ان تُجامِلَ * فهى التَّى اذا دخلَتْ على الفعل المستقبل وفصلَتْ بينه وبين اَنِ التى كانت قبل دخُولِها من اَدَواتِ النَّصب فيرتفعُ حِينئذٍ الفعلُ ويَنْتقلُ اَنْ عن كونها الناصبةَ للفعل الى اَن تَصيرَ المُخفَّفَةَ من الثقيلة * وذٰلك كقوله سبحانه * عَلِمَ اَن سَيكُونَ مِنْكم مَرْضىٰ وتقديرُه علِمَ انّه سيَكونُ * واَمّا المنصوبُ على الظَّرْف الّذى لا يَخْفِضُه سوى حرف فهو عِندَ اذ لا يجُرُّه غيرُ مِنْ خاصّة * وقولُ العامّةِ ذهبْتُ الى عِنْدِه لحنٌ * واَمّا المضاف الذى اَخَلَّ من عُرَى الاضافة بعُرْوةٍ * واختلَفَ حكمُه بين مَساءٍ وغُدْوةٍ * فهو لَدُنْ * ولَدُنْ من الاسماءِ المُلازِمةِ للاضافة وكل ما ياتى بعدَها فمجرورٌ بها الّا غُدْوةً فان العربَ نَصبَتْها بلَدُن لكثْرةِ استعمالهم اِيّاها فى الكلام ثُم نَوَّنَتْها ايضًا لِتُبَيِّنَ بذلك اَنَّها منصوبة لا اَنَّها من نوع المجرورات الّتى لا تنصرِفُ * وعند بعض النحويين اَنَّ لدُن بمعنى عِنْد والصّحيح انّ بينهما فرقاً لطيفًــا وهو اَنّ عند يَشْتمِلُ معناها على ما هو فى مُلْكِك ومُكْنتِك مما دنا منك وبَعُدَ عنك ولَدُنْ يَختصُّ معناها بما حضَرك وقَرُبَ منك * واما

العامل الذى يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها
اى وكلتا هما من حروف النداء وعملهما فى الاسم المنادى سيان وان كانت يا اجول
فى الكلام واكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم ان ينادى باى القريب فقط كالهمزة *
واما العامل الذى نائبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا فهو باء القسم *
وهذه الباء هى اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك
أقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر فى قولك بك لأفعلن ثم قد أبدلت الواو منها
فى القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والباء
تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء ادور فى الكلام
واعلق بالاقسام ولهذا الغز بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو اكثر موطنا من الباء
لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل
والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل
وادوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر * واما الموطن الذى فيه يلبس
الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد
المضاف وذلك ما بين الثلثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المونث
بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما * والهاء فى غير هذا الموطن
من خصائص المونث مثل قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن

حكمُ المذكّر والمونث حتى انقلب كلٌّ منهما في ضدّ قالَبه * وبَرزَ في بِزّة صاحِبهِ * واما الموضعُ الذي يَجِبُ فيه حِفظُ المَراتِب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبِهُ الفاعلُ بالمفعول لِتعذُّرِ ظُهورِ علامة الاِعْراب فيهما او في اَحَدِهما * وذلك اذا كانا مَقْصُورَيْن مِثْلَ موسى وعيسى او من اَسماء الاشارة نحو ذاك وهذا فيجبُ حِيْنَئِذٍ لِازالةِ اللَّبس اقرارُ كلٍّ منهما في رُتْبَتِه ليُعْرَفَ الفاعلُ منها بتقدمه والمفعولُ بتاخُّرِه * واما الاسمُ الذي لايُفْهَمُ الا باستضافة كَلِمَتَين او الاقتصارِ منه على حرفَين فهو مَهْما وفيها قولان اَحَدُهما انَّها مُرَكَّبَةٌ من مَهْ التي بمعني اُكْفُفْ ومِنْ ما والقولُ الثاني وهو الصحيحُ اَنَّ الاصلَ فيها ما فزيدَتْ عليها ما اُخرى كما تُزادُ على اِن فصار لفظُها ما مافثَقُل عليهم توالي كَلِمَتَين بلفظٍ واحدٍ فاَبْدَلوا من الاَلِف الاُولى هاء فصار تامَهْما * ومهما من اَدَواتِ الشرط والجزاءِ ومتى لَفَظْتَ بها لم يَتِمَّ الكلامُ ولايُعقل المعنى الّا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعلْ اَفْعَلْ وتكون حينئذٍ مُلْتزِمًا للفعل وإن اقتصَرْتَ منها على حرفين وهما مَهْ التي بمعني اُكْفُفْ فُهِم المعنى وكُنْتَ مُلْزِمًا مَنْ خاطَبْتَه اَن يَكُفَّ * واما الوصفُ الذي اذا رُدِف بالنون نَقَص صاحِبُه في العُيون وقُوِّم بالدُّون وخَرَج من الزَّبُون وتعرَّضَ للهُوْن فهو ضَيْفٌ * اذ الحِقَتْه النُّونُ استحالَ الى ضَيفنٍ وهو الّذى يَتْبَعُ الضَّيْفَ * ويَتَنزَّل في النَّقْد مَنْزِلةَ الزَّيْف *

المقامة الخامسة والعشرون الكَرَجية

حكى الحارثُ بن همَّام قال شَتَوْتُ بالكَرَج لدَيْنٍ اَقتَضِيْه * واَرَبٍ اُقْضِيْه * فبَلَوْتُ من

شِنانِها الكالِح * وصِرِّها الناقح * ما عَرَّفَني جَهْدَ البَلاء * وعَكَفَ بِي عَلَى الاصطلاء *
فلم أكُنْ أُزايِلُ وِجارِي * ومُستَوقَدَ نارِي * إلّا لضرورةٍ أُدْفَعُ اليها * او اقامةِ جماعةٍ أُحافِظُ
عليها * فاضطُرِرْتُ في يومٍ جَوُّهُ مُزْمَهِرٌّ * ودَجْنُهُ مُكْفَهِرٌّ * الى أنْ بَرَزْتُ من كِنانِي * إلهمّ عنانِي *
فاذا شيخٌ عارِي الجِلْدَة * بادِي الجُرْدَة * وقد اعتَمَّ بِرُيْطَةٍ * واستَثْفَرَ بِفُوَيْطَةٍ * وحَوالَيْهِ
جَمْعٌ كثيفُ الحَواشِي * وهو يُنْشِدُ ولا يُحاشِي *

نظم

يا قَومِ لا يُنبِئكُم عن فَقْرِي * أَصْدَقُ من عُرْيِي أَوانَ القُرِّ
فاعتَبِروا بما بَدا من ضُرِّي * باطِنَ حالِي وخَفِيَّ أَمْرِي
وحاذِروا انقِلابَ سِلْمِ الدَّهْرِ * فإنَّنِي كُنتُ نَبِيهَ القَدْرِ
آوِي الى وَفْرٍ وحَدٍّ يَفْرِي * تُفِيدُ صُفْرِي وتُبِيدُ سُمْرِي
وتَشْتَكِي كُومِي غَداةَ أَقْرِي * فجرَّدَ الدَّهرُ سُيوفَ الغَدْرِ
وشَنَّ غاراتِ الرَّزايا الغُبْرِ * ولم يَزَلْ يَسْحَتُنِي ويَبْرِي
حَتّى عَفَتْ دارِي وغاضَ دَرِّي * وبارَ سِعْرِي في الوَرَى وشِعْرِي
وصِرْتُ نِضْوَ فاقةٍ وعُسْرِ * عارِي المَطا مُجَرَّدًا من قِشْرِي
كَأنَّنِي المِغْزَلُ في التَّعَرِّي * لا دِفءَ لِي في الصِّنِّ والصِّنَّبْرِ
غَيرُ التَّضَحِّي واصطلاءِ الجَمْرِ * فهل خِضَمٌّ ذُو رِداءٍ غَمْرِ
يَسْتُرُنِي بِمُطْرَفٍ او طِمْرِ * طِلابَ وَجْهِ اللّهِ لا لِشُكْرِي

ثم قال يا أرباب الثراء * الرافلين في الفراء * من أوتي خيراً فلينفق * ومن استطاع أن يرفق فليرفق * فإن الدنيا غدور * والدهر عثور * والمكنة زورة طيف * والفرصة مزنة صيف * وإني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته * وأعددت الأهب له قبل موافاته * وها أنا اليوم يا سادتي * ساعدي وسادتي * وجلدتي بردتي * وحفنتي * جفنتي * فليعتبر العاقل بحالي * وليبادر صرف الليالي * فإن السعيد من اتعظ بسواه * واستعد لمسراه * فقيل له قد جلوت علينا أدبك * فاجل لنا نسبك * فقال تباً لمفتخر * بعظم نخر * إنما الفخر بالتقى * والأدب المنتقى * ثم انشد *

نظم

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما * فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محقوقفاً * واجرنثم مقفقفاً * وقال اللهم يا من غمر بنواله * وأمر بسؤاله * صل على محمد وآله * وأعني على البرد وأهواله * وأتح لي حراً يؤثر من خصاصة * ويواسي ولو بقصاصة * قال الراوي فلما جلى عن النفس العصامية * والملح الأصمعية * جعلت ملامح عيني تعجمه * ومرامي لحظي ترجمه * حتى استبنت أنه ابو زيد * وأن تعريه أحبولة لصيد * ولمح هو أن عرفاني قد أدركه * ولم يأمن أن يهتكه * فقال أقسم بالسمر * والقمر * والزهر * والزهر * إنه لن يسترني إلا من طاب خيمه * وأشرب ماء المروة اديمه * فعقلت ما عناه * وإن لم يدر القوم معناه * وساءني ما يعانيه من

الرِّعْدة * واقشعرار الجلدة * فعمدتُ لفروةٍ هي بالنّهار رِياشي * وفي الليل فِراشي * فنضوتُها عنّي * وقلتُ له اقبلها منّي * فما كذّبَ أن افتراها * وعيني تراها * ثم أنشدَ *

نظم

لِلّـهِ مَنْ ألبسني فروةً * أضحت من الرِّعدة لي جُنّة

ألبسنيها واقيًا مهجتي * وُقِيَ شرَّ الإنس والجِنّة

سيلبسُ اليومَ ثنائي وفي * غدٍ سيكسى سُندسَ الجنّة

قال فلمّا فتنَ قلوبَ الجماعة * بافتنانه في البراعة * ألقوا عليه من الفِراء المُغشّاة * والجِبابِ المُوشّاة * ما آدهُ ثِقلُه * ولم يكدْ يُقِلُّه * فانطلقَ مُستبشرًا بالفرج * مستسقيًا للكرَج * وتبعتُه الى حيثُ ارتفعت التقيّة * وبدتِ السماءُ نقيّة * فقلتُ له لشدَّ ما قرسكَ البَرْدُ * فلا تتعرَّ من بعدُ * فقال ويكَ ليس من العدل * سُرعةُ العذل * فلا تعجلنَّ بلومٍ هو ظُلْمٌ * ولا تقفُ ما ليس لك به عِلْمٌ * فوالذي نوّر الشيبة * وطيّبَ تُربةَ طيبة * لو لم أتعرَّ لرُحتُ بالخيبة * وصفرِ العيبة * ثم نزعَ الى الفِرار * وتبرقعَ بالاكفهرار * وقال أما تعلمُ انّ شِنشِنتي الانتقالُ من صيدٍ الى صيدٍ * والانعطافُ من عمرٍو الى زيدٍ * وأراكَ قد عُقتَني * وعققتَني * وأفتَّني * أضعافَ ما أفدتَني * فاعفِني عافاك الله من لغوِك * واسدُدْ دوني بابَ جِدّك ولهوِك * فجبذتُه * جبذَ التلعابة * وجعجعتُ به للدعابة * وقلتُ له والله لو لم أُوارِك * وأُغطِّ على عوارِك * لما وصلتَ الى صِلةٍ * ولا انقلبتَ أكسى من بصلةٍ * فجازِني عن إحساني

اليك * وشتري لك وعليك * بان تسمح لي ببرد الفروة * او تعرفني كافات الشتوة * فنظر الي نظر المتعجب * وازمهر ازمهرار المتغضب * ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس الدابر * والميت الغابر * واما كافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك * واوهى وعاء خزنك * حتى انسيت ما انشدتك بالدسكرة * لابن سكرة * نظم

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ثم قال الجواب يشفي * خير من جلباب يدفي * فاكتف * بما وعيت وانكفي * ففارقته وقد ذهبت فروتي لشقوتي * وحصلت على الرعدة طول شتوتي *

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همام قال حللت سوق الاهواز * لابسا حلة الاعواز * فلبثت فيها مدة * اكابد شدة * وازجي اياما مسودة * الى ان رأيت تمادي المقام * من عوادي الانتقام * فرمقتها بعين القالي * وفارقتها مفارقة الطلل البالي * وظعنت عن وشلها كميش الازار * راكضا منها الى المياه الغزار * حتى اذا سرت منها مرحلتين * وبعدت سرى ليلتين * ترا أت لي خيمة مضروبة * ونار مشبوبة * فقلت آتيهما لعلي انقع صدى * او اجد على النار هدى * فلما انتهيت الى ظل الخيمة * رأيت غلمة روقة * وشارة مرموقة * وشيخا عليه بزة سنية * ولديه فاكهة جنية * فحييته * ثم تحاميته * فضحك الي *

وأحسن الردّ عليّ * وقال ألا تجلس إلى من تروق فكاهته * وتشوق مفاكهته * فجلست
لاغتنام محاضرته * لا لالتقام ما بحضرته * فحين سفر عن آدابه * وكشر عن أنيابه *
عرفت أنه أبو زيد بحسن مُلَحه * وقبح قَلَحه * فتعارفنا حينئذٍ * وحفّت بي فرحتان
ساعتئذٍ * ولم أدر بأيّهما أنا أضفى فرحًا * وأوفى مرحًا * أبإسفاره * من دجنّة أسفاره *
أم بخصب رحاله * بعد إمحاله * وتاقت نفسي إلى أن أفضّ ختم سرّه * وأبطن داعية
يُسره * فقلت له من أين إيابك * وإلى أين انسيابك * وبمَ امتلأت عيابك * فقال
أمّا المقدم فمن طوس * وأمّا المقصد فإلى السوس * وأمّا الجدة التي أصبتها * فمن
رسالة اقتضبتها * فسألته أن يفرشني دخلته * ويسرد عليّ رسالته * فقال دون مرامك
حرب البسوس * أو تصحبني إلى السوس * فصاحبته إليها قهرًا * وعكفت بها عليه شهرًا *
وهو يعلّلني كأسات التعليل * ويجرّني أعنّة التأميل * حتى إذا حرج صدري * وعيل
صبري * قلت له إنه لم يبق لك علّة * ولا لي تعلّة * وفي غدٍ أزجر غراب البين * وأرحل
عنك بخفّي حنين * فقال حاش لله أن أخلفك * أو أخالفك * وما أرجأت أن أحدثك *
إلّا لأبثك * وإذا كنت قد استربت بعدتي * وأغراك ظنّ السوء بمباعدتي * فأصخ لقصص
سيرتي الممتدّة * وأضفها إلى أخبار الفرج بعد الشدّة * فقلت هات فما أطول طيلك * وأهول
حيلك * فقال اعلم أن الدهر العبوس * ألقاني إلى طوس * وأنا يومئذٍ فقير وقير *
لا فتيل لي ولا نقير * فألجأني صغر اليدين * إلى التطوّق بالدين * فادّنت لسوء

الاتّفاق * ممّن هو عسِرُ الأخلاق * وتوهّمتُ تسنّي النّفاق * فتوسّعتُ في الانفاق * فما افقتُ حتّى بهظني دينٌ لزمني حقّه * ولازمني مستحقّه * فحرتُ في امري * واطلعتُ غريمي على عُسري * فلم يصدّق إملاقي * ولا نزع عن إرهاقي * بل جدّ في التقاضي * والحّ في اقتيادي الى القاضي * وكلّما خضعتُ له بالكلام * واستنزلتُ منه رفق الكرام * ورغّبته في ان ينظر لي بمياسرة * او ينظرني الى ميسرة * قال لا تطمع في الانظار * واحتجان النّضار * فوحقّك ما ترى مسالك الخلاص * او تريني سبائك الخلاص * فلمّا رأيتُ احتداد لدده * وان لا مناص لي من يده * شاغبته * ثمّ واثبته * ليرافعني الى والي الجرائم * لا الى الحاكم في المظالم * لما بلغني من افضال الوالي وفضله * وتشدّد القاضي وبُخله * فلمّا حضرنا باب اميرطوس * آنستُ ان لا باس ولا بؤس * فاستدعيتُ دواةً وقِطّا * وانشأتُ اليه رسالةً رقطا * وهي اخلاق سيّدنا تُحبّ * وبعقوته يُلبّ * وقربه تحف * ونأيه تلف * وخلّته نسب * وقطيعته نصب * وغربه ذلق * وشهبه تأتلق * وظلفه زان * وقويم نهجه بان * وذهنه قلّب وجرّب * ونعته شرّق وغرّب *

نظم

سيّدٌ قلّبٌ سبوقٌ مبرٌّ * فطنٌ مغربٌ عزوفٌ عيوفُ
مخلفٌ متلفٌ اغرّ فريدٌ * نابهٌ فاضلٌ ذكيٌّ انوفُ
مغلقٌ إن ابان طبٌّ اذا نا * ب هياجٌ وجلّ خطبٌ مخوفُ

مناظم شرفه تأتلف * وشؤبوب حبائه يكف * ونائل يديه فاض * وشح قلبه غاض * وخلف سخائه يحتلب * ونذهب عيابه يحترب * من لف لفه فلح وغلب * وتاجر بابه جلب وخلب * كف عن هضم بري * وبرئ من دنس غوي * وقرن ليانه بعز * ونكب عن مذهب كز * ليس بوثاب عند نهزة شر * بل يعف عفة بر *

نظم

فإذا يحب ويستحق عفافه * شغفا به قلبا به خلاب

أخلاقه غر ترف وفوقه * فوق إذ أنا ضالته خلاب

سجح يهش ونذو تلاف إن هفا * خل فليس بحقه يرتاب

لا باخل بل باذل خرق إذا * يعتر بر زلا يليه باب

إن عض أزل فل غرب عضاضه * بمنا به فانحت منه ناب

وجد يربمن لب وفطن * وقرب وشطن * أن أذعن لقريع زمن * وجابر زمن * مذ رضع ثدي لبانه * خص بإفاضة تهتانه * نعش وفرج * وضا فرقا بهج * ونا فرفا زع * وفاء بحق أبلج * أتعب من سيلي * رقرظا نهز وبلي * وتوج صفاته * بحسب عفاته *

نظم

فلا خلان ابهجة * يمتد ظل خصبه

فإنه بر بمن * آنس ضوء شهبه

زان مزايا ظرفه * يلبس خوف ربه

فَلْيَهْنِ سَيِّدَنا فَوْزُهُ * بِمَفاخِرَ تَأَثَّلَتْ * وَجَلَّتْ * وَفُتُوَّتُهُ بِصَنائِعَ تَمَّتْ * وَنَمَّتْ * وَيُلائِمُ قُرْبَ حَضْرَتِهِ * غَوْثُ رِقِّهِ بِحَظٍّ مِنْ حُظْوَتِهِ * فَإِنَّهُ تَلِيدُ نَدْبٍ * وَشَرِيدُ جَدْبٍ * وَجَرِيحُ نُوَبٍ أَثَّرَتْ * وَناظِمُ قَلائِدَ تَسَيَّرَتْ * إِذا جاشَ بِخُطْبَةٍ فَلا يُوجَدُ قائِلٌ * ثُمَّ قُسٌّ ثُمَّ باقِلٌ * فَإِنْ حَبَّرَ قُلْتَ حِبَرٌ نُمْنِمَتْ * وَخِلْتَ رِياضًا قَدْ نَمَتْ * هٰذا ثُمَّ شِرْبُهُ بَرْضٌ * وَقُوتُهُ قَرْضٌ * وَفَلَقُهُ غَسَقٌ * وَجِلْبابُهُ خَلَقٌ * وَقَدْ قَلِقَ لِتَوَفُّرِ غَرِيمٍ غاشِمٍ * يَسْتَحِثُّهُ بِحَقٍّ لازِمٍ * فَإِنْ مَنَّ سَيِّدُنا بِكَفِّهِ * بِهِباتِ كَفِّهِ * تَوَشَّحَ بِمَجْدٍ فاقَ * وَباءَ بِأَجْرٍ فَكَّ مِنْ وَثاقٍ * لا خَلَتْ سَجايا خُلُقِهِ * تُرْفِدُ شائِمَ بَرْقِهِ * بِمَنِّ رَبٍّ أَزَلِيٍّ * حَيٍّ أَبَدِيٍّ * قالَ فَلَمّا اسْتَشَفَّ الأَمِيرُ لَآلِيَها * وَلَمَحَ السِّرَّ المُودَعَ فِيها * أَوْعَزَ فِي الحالِ بِقَضاءِ دَيْنِي * وَفَصْلِ ما بَيْنَ خَصْمِي وَبَيْنِي * ثُمَّ اسْتَخْلَصَنِي لِمُكاثَرَتِهِ * وَاخْتَصَّنِي بِأَثَرَتِهِ * فَلَبِثْتُ بِضْعَ سِنِينَ أَنْعَمُ فِي ضِيافَتِهِ * وَأَرْتَعُ فِي رِيفِ رَأْفَتِهِ * حَتّى إِذا أَغْمَرَتْنِي مَواهِبُهُ * وَأَطالَ ذَيْلِي ذَهَبُهُ * تَلَطَّفْتُ فِي الارْتِحالِ * عَلى ما تَرى مِنْ حُسْنِ الحالِ * قالَ فَقُلْتُ لَهُ شُكْرًا لِمَنْ أَتاحَ لَكَ لُقْيانَ السَّمْحِ الكَرِيمِ * وَأَنْقَذَكَ بِهِ مِنْ ضُغْطَةِ الغَرِيمِ * فَقالَ الحَمْدُ لِلّٰهِ عَلى سَعادَةِ الجَدِّ * وَالخُلُوصِ مِنَ الخَصْمِ الأَلَدِّ * ثُمَّ قالَ أَيُّما أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أُحْذِيَكَ مِنَ العَطاءِ * أَمْ أُتْحِفَكَ بِالرِّسالَةِ الرَّقْطاءِ * فَقُلْتُ إِمْلاءُ الرِّسالَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ * فَقالَ وَهُوَ وَحَقِّكَ أَخَفُّ عَلَيَّ * فَإِنَّ نِحْلَتَهُ ما يَلِجُ فِي الآذانِ * أَهْوَنُ مِنْ نِحْلَةِ ما يَخْرُجُ مِنَ الأَرْدانِ * ثُمَّ كَأَنَّهُ أَنِفَ وَاسْتَحْيا * فَجَمَعَ لِي بَيْنَ الرِّسالَةِ وَالحُذْيا * فَفُزْتُ مِنْهُ بِسَهْمَيْنِ * وَفَصَلْتُ

عنه بغنمين * وأُبتُ الى وطني قريرَ العين * بما حُزتُ من الرسالة والعين *

المقامة السابعة والعشرون البدوية

حكى الحارث بن همام قال مِلتُ في رَيِّقِ زماني الذي غَبَرَ الى مُجاورةِ أهلِ الوَبَر * لآخذ أخذَ نفوسِهم الأبيَّة * وألسنتِهم العربيَّة * فشمَّرتُ تشميرَ مَن لا يألو جُهدًا * وجعلتُ أضرِبُ في الارضِ غورًا ونجدًا * الى أن اقتنيتُ هَجمةً من الراغية * وثَلَّةً من الثاغية * ثم أويتُ الى عَرَبٍ أرداف أقيالٍ * وأبناءِ أقوالٍ * فأوطنوني أمنعَ جنابٍ * وفلُّوا عني حدَّ كلِّ نابٍ * فما تأوَّبني عندهم همٌّ * ولا قرعَ صفاتي سهمٌ * الى أن أضللتُ في ليلةٍ منيرةِ البدر * لِقحةً غزيرةَ الدَّرّ * فلم أطِبْ نفسًا بإلغاءِ طلبِها * وإلقاءِ حبلِها على غاربِها * فقد تُّ فرسًا مِحضارًا * واعتقلتُ لَدنًا خطّارًا * وسريتُ ليلتي جمعاءَ * أجوبُ البيداءَ * وأقتري كلَّ شجراءَ ومرداءَ * الى أن نشرَ الصبحُ راياتِه * وحيعلَ الداعي الى صلواتِه * فنزلتُ عن متنِ الركوبة * لأداءِ المكتوبة * ثم جُلتُ في صهواتِها * وفررتُ عن شهواتِها * وسرتُ لا أرى أثرًا إلّا قفوتُه * ولا نشزًا إلّا علوتُه * ولا واديًا إلّا جزعتُه * ولا راكبًا إلّا استطلعتُه * وجِدّي مع ذلك يذهبُ هدرًا * ولا يجدُ وِردُه صدرًا * الى أن حانت صكّةُ عُميّ * ولفحَ هجيرٌ يُذيبُ هِلَّ غيلانَ عن ميّ * وكان يومًا أطولَ من ظِلِّ القناة * وأحرَّ من دمعِ المِقلات * فأيقنتُ أنّي إن لم استكنَّ من الوقدة * وأستجمَّ بالرقدة * أدَّتني اللغوبُ * وعلقت بي شَعوبُ * فعُجتُ الى سَرحةٍ كثيفةِ الاغصان * وريقةِ الأفنان * لأغوِّرَ

تحتها الى المُغَيْربان * فوالله ما استَرْوَحَ نَفْسِي * ولا استراحَ فَرَسِي * حتّى نظَرْتُ الى سانِحٍ * فى هَيْئَةِ سائِحٍ * وهو يَنْتَجِعُ نُجْعَتى * ويَشْتَدُّ الى بُقْعَتِي * فكَرِهتُ انعياجَه الى مَعاجِي * واستعذْتُ بالله من شَرّ كُلّ مُفاجِي * ثم ترَجَّيتُ اَن يتصدّى مُنشِدًا * او يتبدّى مُرْشِدًا * فلمّا اقترب من سَرْحَتِي * وكاد يحُلّ بساحتى * اَلْفيتُهُ شيخنا السَّرُوجِيَّ مُتَّشِحًا بجِرابِه * ومُضطغِنًا اُهْبَةَ تَجوابِه * فآنَسَني اذ وَرَدَ * وانسانى ما شَرَدَ * ثم استوضحته من اَيْنَ اَثَرُه * وكيفَ عُجَرُه وبُجَرُه * فانشد بديهًا * ولم يَقُلْ اِيهًا *

نظم

قُلْ لمُستطلِعٍ دَخِيلَةَ اَمْرِي * لكَ عِندِي كرامةٌ وعَزازَه
اَنا ما بيْنَ جَوْبِ ارضٍ فارضٍ * وسُرًى فى مَفازةٍ فمَفازَه
زادِيَ الصَّيْدُ والمَطِيَّةُ نَعْلِى * وجِهازِي الجِرابُ والعُكّازَه
فاذا ما هَبَطْتُ مِصْرًا فبَيْتِى * غُرْفَةُ الخانِ والنَّدِيمُ جُزازَة
لَيْسَ لى ما اُساءُ اِنْ فاتَ اواُحْزَنُ اِنْ حاوَلَ الزَّمانُ ابتزازَه
غيرَ اَنِّى اَبيتُ خِلْوًا مِنَ الهَمِّ ونَفْسِى عن الاَسى مُنْحازَه
اَرْقُدُ الليلَ مِلْأَ جَفْنِى وقَلْبى * بارِدٌ من حرارةٍ وحَزازَه
لا اُبالِى من اَيِّ كاْسٍ تعوّقْتُ ولا حَلاوةٌ من مَزازَة
لا ولا اَسْتَجِيزُ اَنْ اَجْعَلَ الذُّلَّ مَجازًا الى تَسَنِّي اِجازَه
واِذا مَطْلَبٌ كَساحُلَّةَ العا * رِ فبُعْدًا لِمَن يَرومُ نَجازَه

ومتى اهتز للدناءة نكس * عاف طبعي طباعه واهتزازه

فالمنايا ولا الدنايا وخير * من ركوب الخنا ركوب الجنازه

ثم رفع الى طرفه * وقال لامر ما جدع قصير انفه * فاخبرته خبر ناقتي السارحة * وما عاينته في يومي والبارحة * فقال دع الالتفات * الى ما فات * والطماح * الى ما طاح * ولا تأس على ما ذهب * ولو انه واد من ذهب * ولا تستمل من مال عن ريحك * واضرم نار تباريحك * ولو كان ابن بوحك * او شقيق روحك * ثم قال هل لك في ان تقيل * وتتحامى القال والقيل * فان الابدان انضاء تعب * والهاجرة ذات لهب * ولن يصقل الخاطر * وينشط الفاتر * كقائلة الهواجر * وخصوصا في شهري ناجر * فقلت ذاك اليك * وما اريد ان اشق عليك * فافترش الترب واضطجع * واظهر ان قد هجع * وارتفقت على ان احرس * ولا انعس * فاخذتني السنة * لما ازمت الالسنة * فلم افق الا والليل قد تولج * والنجم قد تبلج * ولا السروجي ولا المسرج * فبت بليلة نابغية * واحزان يعقوبية * اساور الوجوم * واساهر النجوم * افكر تارة في رحلتي * واخرى في رجعتي * الى ان وضح لى عند افترار ثغر الضوء في وجه الجو * راكب يخد في الدو * فالمعت اليه بثوبي * ورجوت ان يعرج الى صوبي * فلم يعبأ بالماعي * ولا اوى لالتياعي * بل سار على هينته * واصمانى بسهم اهانته * فاوفضت اليه لاستردفه * واحتمل تغطرفه * فلما ادركته بعد الأين * واجلت فيه مسرح العين * وجدت ناقتي مطيته * وضالتي لقطته * فما كذبت

أَنْ أَذْ رِبَتُهُ مِن سَنامِها * وجاذَبتهُ طَرَف زِمامِها * وقلتُ أنا صاحِبُها ومُضِلُّها * ولِيَ رِسْلُها ونَسْلُها * فلا تكُنْ كَأشْعَبَ * فتتعَبَ وتُتْعِبَ * فَأَخَذَ يُدَاغُ ويُصَيْئِي * ويتقحُ ولا يَسْتَحْيِي * وبينا هو ينزو ويَلِينُ * ويُستاسِدُ ويستكينُ * اذ غَشِيَنا ابو زيدٍ لابِساً جِلْدَ النَّمِر * وهاجِماً هُجُومَ السَّيْلِ المُنْهَمِر * فخفتُ والله أَن يكونَ يومُهُ كأَمسِهِ * وبدرُهُ مِثْلَ شَمْسِهِ * فالْحَقَ بالقارِظَيْنِ * وأَصِيرَ خَبَرًا بعدَ عَيْنٍ * فلم أرَ الآنَ أنْ أذكِّرَهُ العُهودَ المَنْسِيَّةَ * والفعلةَ الأَمْسِيَّةَ * وناشَدتُهُ اللهَ أَوافَى اليومَ لِلتَّلافِي * ام لِما فيه اِتْلافِي * فقال معاذَ اللهِ أَنْ أُجْهِزَ على مَكْلُومِي * او أَصِلَ حَرُورِي بِسَمُومِي * بل وافيتُك لأَخْبُرَكُنْهَ حالِك * وأكونَ يميناً لِشمالِك * فسكنَ عندَ ذٰلك جاشِي * وانجابَ اسْتِيحاشِي * وأَطْلَعْتُهُ طِلْعَ اللِّقْحَةِ * وتبرقُعَ صاحِبِي بالقِحَةِ * فنظرَ اليه نظرَ لَيْثِ العريسةِ * الى الفريسةِ * ثم أَشْرَعَ قِبَلَهُ الرُّمْحَ * وأقسمَ له بمَنْ أنارَ الصُّبْحَ * لَئِن لم يَنْجُ مَنْجا الذُّباب * ويَرْضَ من الغنيمةِ بالإياب * لَيُورِدَنَّ سِنانَهُ وَرِيدَهُ * ولَيَفْجَعَنَّ بهِ وَلِيدَهُ * وَوَدِيدَهُ * فنبَذَ زِمامَ الناقةِ وحاصَ * وأَفْلَتَ وله حُصاص * فقال لي ابو زيدٍ تَسَلَّمْها وتَسَنَّمْها * فإنَّها إحدى الحُسْنَيَيْن * ووَيْلٌ أَهْوَنُ من وَيْلَيْن * قال الحارث بن همّام فحِرْتُ بين لَوْمِ ابي زيدٍ وشُكْرِهِ * ووَزْنِ نَفْعِهِ بضُرِّهِ * فكأنّهُ نُوجِيَ بذاتِ صَدْرِي * او تَكَهَّنَ ما خامَرَ سِرِّي * فقابَلَنِي بوَجْهٍ طَلِقٍ * وأنشدَ بلسانٍ ذَلِقٍ *

نظم

يا أخي الحامِلَ ضَيْمِي * دُونَ إِخْوانِي وقَوْمِي

اِنْ يَكُنْ ساءَكَ اَمْسِى * فلقَدْ سَرَّكَ يَوْمِى

فاغتَفِرْ ذاكَ لِهٰذا * واطَّرِحْ شُكْرِى ولَوْمِى

ثُم قال انا تَيِّق * وَانْتَ مَيِّق * فكيف نَتَّفِق * ثُم وَلَّى يَفْرِى اَدِيمَ الاَرْض * ويَرْكُضُ طِرْفَه اَيَّما رَكْض * فما عَدَوْتُ اَنِ اقْتَعدتُّ مَطِيَّتِى * وعُدتُّ لِطِيَّتِى * حتَّى وَصَلْتُ الىٰ حِلَّتِى * بعدَ اللَّتَيَّا والَّتِى *

تفسيرُ ما اُودِعَ هٰذه المَقامَة من الاَلفاظِ اللُّغَوِيَّة والاَمْثالِ العَرَبِيَّة

قوله * رَيِّق زمانِى يعنى اَوَّله وَرائِقه وقد يُخَفَّفُ فيقال رَيْقٌ * قوله * لاٰخذ اَخْذ نفوسهم الاَبِيَّة يعنى اَقتدى بِهم يقال منه اَخَذَ اِخْذَه واَخْذه بكسرالهَمْزة وفَتْحِها * والهَجْمَةُ نَحْوُ المائة من الاِبِل * والثَّلَّةُ القَطِيعُ من الغَنَم * والراغِيَةُ الابِلُ والثاغِيَةُ الشاءُ ومنه قولُهم ما لَه راغِيَةٌ ولا ثاغِيَةٌ اى لا ناقةٌ ولا شاةٌ * وقولُه * اَرْدافُ اَقْيالٍ اى يَخْلُفون المُلوكَ اذا غابُوا * وقولُه اَبْناءُ اَقْوالٍ اى فُصَحاءُ يقال لِلمِنْطِيق اِنَّه ابنُ اَقْوالٍ * وقولُه فتَدَثَّرتُ فرسًا مِحْضارًا التَّدَثُّرُ الوُثوبُ علىٰ ظَهْرِ الفَرَس * والمِحْضارُ والمِحْضِيرُ الشَّديدُ العَدْوِ ماخوذٌ من الحُضْر * وقولُه اَقْترى كُلَّ شَجْراءَ ومَرْداءَ الاقتِراءُ تتبُّعُ الارضِ * والشَّجْراءُ ذاتُ الشَّجَر * والمَرْداءُ الخالِيَةُ من النَّبات ومنه اشتقاقُ الاَمْرَدِ لِخُلُوِّ وَجْهِه من الشَّعْر * وقولُه حَيْعَلَ الدّاعى الىٰ صَلَواتِه يَعْنِى به قولَ المُؤَذِّن حَىَّ على الصَّلوٰة وحَىَّ على الفَلاح والمصدرُ منه الحَيْعلَة * ومِثْلُه من المصادِرِ الهَيْلَلَةُ * والحَوْلَقَةُ * والبَسْمَلَةُ *

والحَسبلة * والسَبْحلة * والجَعلفة * والحَمدلة * فالهَيللة حكاية قولِ لا اله الا الله * والحَوْلقة حكاية قولِ لاحَول ولا قوة الا بالله * والبَسملة حكاية قولِ بسم الله * والحَسبلة حكاية قولِ حَسبُنا الله * والسَبحلة حكاية قولِ سُبحانَ الله * والجَعلفة حكاية قولهم جُعِلْتُ فِداك * والحَمدلة حكاية قَوْلِ الحمدُ لله * وقوله نزلتُ عن مَتْنِ الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة رَكوب ورَكوبة وحَلوب وحَلوبة وقد قُرِئ فمنها رَكوبتُهم * والصَهوة مَقعَدُ الفارِس * والشَحْوةُ الخَطْوةُ * والجَزْعُ قَطْعُ الوادِي عَرْضًا * وقوله صَكّةُ عُمَيٍّ يعني به قائمَ الظَّهيرة وقد اختُلِفَ في أصْله فقيل كان عُمَيٌّ رَجُلًا مِغوارًا فغزا قومًا عندَ قائِمِ الظَّهيرة وصَكَّهم صَكّةً شديدةً فصارَ مَثَلًا لكُلِّ مَنْ جاءَ ذلكَ الوقتَ * وقيل المُرادُ به الظَّبيُ لأنّه يسدَرُ في الهَواجِرِ فيَصْطكُّ بما يَستَقبِلُه كاصطكاكِ الأعمى ثم صُغِّرَ الأعمى تصغيرَ الترخيم فقيل عُمَيٌّ كما صَغّروا أَسْوَدَ وأَزْهَرَ فقالوا سُوَيْد وزُهَيْر * وقوله وكان يومًا أطولَ من ظِلِّ القَناة يُوصَفُ اليومُ الطَّويلُ بظِلِّ القَناة كما يُوصَفُ اليومُ القصيرُ بإبهامِ القَطاةِ * والعَربُ تزعُمُ أنّ ظِلَّ الرُّمح أطولُ ظِلٍّ ومنه قولُ الشاعر *

نظم

ويومٍ كظِلِّ الرُّمحِ قَصَّرَ طُولَه * دَمُ الزِقِّ عَنّا واصطفاقُ المَزاهِرِ

قوله * وآحَرَّ من دَمعِ المِقلات وهي التي لا يَعِيشُ لها وَلَدٌ فدَمعُها ابدًا حارٌّ لحُزنها لأنّه يقال إنّ دَمعةَ الحُزن حارّةٌ ودَمعةَ السُّرورِ بارِدةٌ ولهذا قيل للمدعُوِّ له أقرَّ اللهُ عينَه

ماخوذٌ من القُرِّ وهو البَرْدُ وقيل للمدعوِّ عليه اَسْخَنَ اللهُ عينَه ماخوذٌ من السُخْنة وهي الحرارة * وقيل اِنَّ اِقرارَ العين ماخوذٌ من القَرار فكانَّه دعا له ان يُرْزَقَ ما يُقِرُّ عينَه حتى لا تَطْمَحَ الى ما لغَيرِه وكانتِ الجاهليّةُ تَزْعُمُ اَنَّ المِقْلاتَ اذا وَطِئَتْ على قتيلٍ شريفٍ عاش ولَدُها والى هٰذا اَشارَ بِشْرُ بن اَبى حازِمٍ فى قوله * نظم

تَظَلُّ مقاليتُ النِساءِ يطَأْنَهُ * يقُلْنَ الا يُلْقَى على المَرْءِ مِيزَرٌ

وقوله عَلِقَتْ بى شَعُوب يَعْنى المَنِيَّةَ ولا تَدْخُل هٰذا الاسمَ اَداةُ التعريف مثل دَجْلَةَ وعَرَفَةَ * وقوله لاُغَوِّرَ تحتَها الى المُغَيْرِبان التغويرُ النُزولُ للقائلة كما اَنَّ التعريسَ النُزولُ آخِرَ الليل للتهويم والاستراحةِ والمغيربان تصغيرُ المَغْرِب وكان قياسُ تصغيره المُغَيْرِبَ اِلّا اَنَّ العرَبَ اَلحقَتْ آخِرَه اَلِفاً ونوناً على طريق الشُذوذ * وقوله مُضْطَغِناً اُهْبَةَ تَجْوابِه الاضطِغانُ اَنْ يَحْمِلَ الشَّيْءَ تحتَ حِضْنِه والاضطبانُ اَن يَجْعلَه تحتَ ضِبْنِه والضِبْنُ ما بين الاِبْط والكَشْح وكلاهما مُتَقارِبٌ واَوَّلُ مَراتِب الحَمْل الاِبْطُ ثم الضِّبْنُ وهو اَسْفَلُ الاِبِط ثم الحِضْنُ وهو عند الجَنْب والتَّجْوابُ مصدرُ جابَ وجميعُ المَصادِرِ التى جاءَتْ على تَفْعالٍ هى بفَتْح التاء الا قولَهم تِبيانٌ وتِلْقاءٌ لا غيرُ وقال بعضُهم وتِنْضالٌ ايضا * وقوله عُجَرى وبُجَرى يُريد به جميعَ اَمْرى الظّاهر والباطن واَصْلُ العُجَر العُقَدُ الناتِيةُ فى العَصَب والبُجَرِ العُقَدُ الناتيةُ فى البَطْن * وقوله لم يَقُل اِيْهًا اى لَمْ يامُرْنى بالكَفِّ يقال للمُسْتَزادِ اِيهِ ولِمَنْ يَسْتَكِفُّ اِيهًا * وقوله لامْرٍ مّا جَدَعَ

قصيرا انفه قصيرٌ هذا هو مولى جذيمة الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزبّاءُ مولاه ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن عدي بن اخت جذيمة هو الذى جدع انفه اتهامًا له بانه غش خاله جذيمة إذ اشار عليه بقصدها فحظى قصير بهذا القول عندها حتى جهزته مرارًا الى العراق فكان ياتيها بالطرف منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجال فى الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه منها وقصتها مشهورة * وقوله ولو كان ابن بوحك يعنى ولد الصلب اشارة الى انه ولد في باحة الدار وهى عرصتها وجمعها بوح * وقيل البوح من اسماء الذكر ايضًا * وقوله في شهرى ناجر هما شهرا الحرّ وقيل انهما حزيران وتموز وانكر ابو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين * وقوله فبت بليلة نابغية اومأ به الى قول النابغة *

نظم

فبت كأنّى ساورتنى ضئيلة * من الرقش في انيابها السم ناقع

وقوله المعت اليه بثوبى يعنى اشرت يقال منه لمع والمع بمعنى واحد * قوله يلدغ ويصئى هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صأت العقرب تصئى صئيا بفتح الصاد وكسرها اذا صوّتت * وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن الرومى في هذا المعنى *

نظم

تشكى المحب وتشكو وهى ظالمة * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان

وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان اصله الجدى ينزو

وهو صغير فانا كبر لان * وقوله لابسا جلد النمر هذا المثل يضرب للمتقح الجرى
لان النمر اجرأ سبع واقله احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر اى صار مثل
النمر * وقوله فالحق بالقارظين الاصل فى القارظ انه الذى يجنى القرظ وهو النبات
المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا
خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بها المثل لكل غائب لا يرجى
ايابه واليهما اشار ابوذؤيب فى قوله *

نظم

وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وينشر فى القتلى كليب لوائل

وقوله اصل حرورى بسمومى الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة
نهارا وقد تقام احدهما مقام الاخرى مجازا * وقوله ليث العريسة يعنى به ماوى
السبع يقال فيه عريس وعريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فاما
الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء * وقوله افلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن
نجا من هلكة اشفى عليها بعد ما كاد يهوى فيها والحصاص العدو * وقيل انه الضراط
فكأنه لفزعه يعدو ويضرط * وقوله ويل اهون من ويلين هذا المثل يضرب تسلية لمن
نا له بعض المكروه ومثله قول الشاعر

نظم

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض

وقوله انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين فى الخلق فان التئق

هو المُمتلِئ غَيْظًا ماخوذٌ من قولهم اَتْأَقْتُ الإناءَ اذا ملأْته والمَئِق هو الباكي فكانَّ التَّئِق ينزِع الى الشّر لغَيظه والمَئِق يَضيقُ ذَرْعًا باحتماله ومثلُه قولُ الآخرانا تَئِقٌ وانت مَئِقٌ فكيف نأتَلِفُ * وقولهُ لِطِيَّتي يَعْني لقَصدِي ووِجْهتي وقد يُقال فيه طِيَة بالتخفيف * وقولهُ بعدَ اللتيَّا والّتِي اللّتيّا تصغيرُ الّتي وهو على غَيـرِ قياسِ التصغيرِ المُطَّرِد لان القِياسَ ان يُضمّ اوّلُ الاِسْم اذا اُصغّر وقد اُقِرّ هذا الاسمُ على فَتحتِهِ الاَصْليّة عندَ تصغيره الا انَّ العَرَبَ عَوّضتْه عن ضَمِّ اَوّلِه بانْ زادتْ اَلِفًا في آخِره وقد اَجْرَتْ اَسْماءَ الاشارةِ عند تصغيرِها على حُكمِه فقالَتْ في تصغيرِ الّذي والّتِي اللّذيّا واللّتيّا وفي تصغيرِ ذا وذاك ذَيّا وذَيّاك وقد اختُلِفَ في معنى قولِهم بعد اللّتيّا والّتي فقيل هما من اسْمَاءِ الداهِية وقيل المرادُ بهما بعد صغيرِ المكروهِ وكبيرِه *

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

اخبر الحارثُ بن همّام قال استبضعتُ في بعض اَسْفارِي القَنْدَ * وقصدتُ به سَمَرْقَنْدَ * وكُنْتُ يَوْمئذ قَويمَ الشَّطاط * جمومَ النَّشاط * اَرْمِي عن قَوْسِ المِـراح * الى غَرَضِ الأَفراح * واَسْتعِينُ بماءِ الشَّباب * على مَلامِحِ السَّراب * فوافَيْتُها بُكْرةَ عَرُوبَةَ * بعدَ اَنْ كابَدتُّ الصُّعُوبةَ * فسعَيْتُ وماوَنَيْتُ * الى ان حصَّلَ البيتُ * فلمّا نقلتُ اليه قَنْدِي * وملَكتُ قَولَ عندِي * عُجْتُ الى الحَمّام على الاَثَـر * فاَمطتُ عَنّي وَعثاءَ السَّفَـر * واَخذتُ في غُسْلِ الجُمُعةِ بالاَثَر * ثم بادَرْتُ في هَيْئةِ الخاشِع * الى

مَسْجِدِها الجامِعِ * لألحَقَ بمَنْ يَقرُبُ من الإمام * ويُقرِّبُ أفضلَ الأنعام * فحَظِيتُ
بأن جَلَّيْتُ في الحَلْبة * وتخيَّرتُ المركزَ لاستماعِ الخُطْبة * ولم يَزَلِ النّاسُ
يدخُلون في دِينِ الله أفواجاً * ويَرِدون فُرادى وأزواجاً * حتى إذا اكتظَّ الجامعُ
بحَفْلِه * وأظلَّ تساوِي الشَّخْصِ وظِلِّه * بَرَزَ الخطيبُ في أُهْبته * مُتهادِياً خَلْفَ
عُصْبتِه * فارتقى في مِنْبَرِ الدَّعوة * إلى أنْ مَثَلَ بالذِّرْوة * فسلَّم مُشيراً
باليمين * ثم جلَسَ حتى خُتِمَ نَظْمُ التأذين * ثم قامَ وقال * الحمدُ لله الممدوحِ الأسماء *
المحمودِ الآلاء * الواسِعِ العَطاء * المَدْعُوِّ لحَسْمِ اللأواء * مالِكِ الأُمَم * ومُصوِّرِ الرِّمَم *
ومُكرِمِ أهلِ السَّماحِ والكَرَم * ومُهلِكِ عادٍ وإرَم * أدْرَكَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُه * ووَسِعَ كُلَّ مُصِرٍّ
حِلْمُه * وعَمَّ كُلَّ عالَمٍ طَوْلُه * وهَدَّ كُلَّ مارِدٍ حَوْلُه * أحمَدُه حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِم * وأدْعوه
دُعاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّم * وهو اللهُ لا إلهَ إلا هو الواحِدُ الأحَد * العادِلُ الصَّمَد * لا وَلَدَ له ولا
والِد * ولا رِدْءَ معَه ولا مُساعِد * أرسَلَ محمّداً للإسلامِ مُمَهِّداً * وللمِلّةِ مُوطِّداً * ولأدِلّةِ
الرُّسُلِ مُؤَكِّداً * وللأسْوَدِ والأحمرِ مُسَدِّداً * وَصَلَ الأرحام * وعَلَّمَ الأحكام * ووَسَمَ
الحَلالَ والحَرام * ورَسَمَ الإحْلالَ والإحْرام * كَرَّمَ اللهُ مَحَلَّه * وكَمَّلَ الصَّلوةَ والسَّلام
له * ورَحِمَ آلَه الكُرَماء * وأهلَه الرُّحَماء * ما هَمَرَ رُكامٌ * وهَدَرَ حَمامٌ * وسَرَحَ سَوامٌ *
وسَطا حُسامٌ * اعمَلوا رحِمَكم اللهُ عمَلَ الصُّلَحاء * واكدَحوا لمَعادِكم كَدْحَ الأصِحّاء * وارْدَعوا
أهواءَكم رَدْعَ الأعْداء * وأعِدّوا للرِّحْلةِ إعْدادَ السُّعَداء * وادَّرِعوا حُلَلَ الوَرَع *

وداووا عِلَلَ الطمع * وسوّوا أوَدَ العمل * وعاصوا وساوسَ الأمل * وصوّروا لأوهامكم
حؤولَ الأحوال * وحلولَ الأهوال * ومساورةَ الأعلال * ومصارمةَ المال والآل * وادّكروا
الحمامَ وسكرةَ مصرعه * والرمسَ وهولَ مطلعه * واللحدَ ووحدةَ مودَعه * والملكَ
وروعةَ سؤاله ومطّلعه * والمحوا الدهرَ ولؤمَ كرّه * وسوءَ محاله ومكره * كم طمس
معلما * وأمرّ مطعما * وطحطح عرمرما * ودمّر ملكا مكرّما * همّه سكّ المسامع * وسحّ
المدامع * وإكداء المطامع * وإرداء المسمع والسامع * عمّ حكمه الملوكَ والرعاع *
والمسودَ والمطاع * والمحسودَ والحسّاد * والأساودَ والآساد * ما موّل الآمال * وعكس
الآمال * ولا وصل إلّا وصال * وكلم الأوصال * ولا سرّ إلّا وساء * ولؤم وأساء * ولا أصحّ
إلّا ولّد الداء * وروّع الأوداء * الله الله * رعاكم الله * إلامَ مداومةُ اللهو * ومواصلةُ
السهو * وطولُ الإصرار * وحملُ الآصار * واطّراح كلام الحكماء * ومعاصاةُ إله السماء *
أما الهرمُ حصادكم * والمدرُ مهادكم * أما الحمامُ مدرككم * والصراطُ مسلككم * أما الساعةُ
موعدكم * والساهرةُ موردكم * أما أهوالُ الطامّة لكم مرصدة * أما دارُ العصاة الحطمةُ
الموصدة * حارسهم مالك * ورواؤهم حالك * وطعامهم السموم * وهواؤهم السموم *
لا مالَ أسعدهم ولا ولد * ولا عدد حماهم ولا عُدد * ألا رحم الله امرأً ملك هواه * وأمّ
مسالكَ هداه * وأحكم طاعةَ مولاه * وكدح لروح مأواه * وعمل ما دام العمرُ مطاوعا *
والدهرُ موادعا * والصحّةُ كاملة * والسلامةُ حاصلة * وإلّا دهمه عدمُ المرام * وحصرُ

الكلام * وآلام الآلام * وهموم الهمام * وهدو الحواس * ومراس الارماس * آها لها حسرة الهها مؤكد * وامدها سرمد * ومما رسها مكمد * ما لوله حاسم * ولا لسده راحم * ولا له مما عراه عاصم * ألهمكم الله احمد الالهام * ورد لكم رداء الاكرام * واحلكم دار السلام * واسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام * وهو اسمح الكرام * والمسلم والسلام *

قال الحارث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط * وعروسا بغير نقط * دعاني الاعجاب بنمطها العجيب * الى استجلاء وجه الخطيب * فاخذت اتوسمه جدا * واقلب الطرف فيه مجدا * الى ان وضح لي بصدق العلامات * انه شيخنا ذو المقامات * ولم يكن بد من الصمت * في ذلك الوقت * فامسكت حتى تحلل من النفل والفرض * وحل الانتشار في الارض * ثم واجهت تلقاءه * وابتدرت لقاءه * فلما لحظني خف في القيام * واحفى في الاكرام * ثم استصحبني الى داره * واودعني خصائص اسراره * وحين انتشر جناح الظلام * وحان ميقات المنام * احضر اباريق المدام * مختومة بالفدام * فقلت اتحسوها امام النوم * وانت امام القوم * فقال مه انا بالنهار خطيب * وفي الليل اطيب * فقلت والله ما ادري أاعجب من تسليك عن اناسك * ومسقط راسك * أم من خطابتك مع ادناسك * ومداركة كاسك * فاشاح بوجهه عني * ثم قال اسمع مني *

نظم

لا تبك الفا نأى ولا دارا * ودر مع الدهر كيفما دارا

واتَّخِذِ النَّاسَ كلَّهم سَكَنًا * ومَثِّلِ الأرضَ كُلَّها دارا
واصبِرْ على خُلقِ مَنْ تُعاشِرُهُ * ودارِهِ فاللبيبُ مَنْ دارا
ولا تُضِعْ فُرْصَةَ السُّرورِ فما * تَدري أيومًا تعيشُ أمْ دارا
واعلَمْ بأنَّ المَنُونَ جائِلَةٌ * وقد أدارَتْ على الورى دارا
وأقسَمَتْ لا تَزالُ قانِصَةً * ما كَرَّ عَصْرُ المَحْيا وما دارا
فكيف تُرجى النَّجاةُ من شَرَكٍ * لم يَنْجُ منه كِسْرى ولا دارا

قال فلمّا اعْتَوَرَتْنا الكُؤوسُ * وطَرِبَتِ النُّفوسُ * جَرَّعَني اليَمينَ الغَمُوسَ * على ان أحْفَظَ عليه النّاموسَ * فاتَّبعتُ مَرامَهُ * ورَعَيْتُ ذِمامَهُ * ونَزَّلْتُهُ بين المَلا مَنْزِلَةَ الفُضَيْلِ * وسَدَلْتُ الذَّيْلَ على مَخازِي اللَّيْلِ * ولم يَزَلْ ذلك دأبَهُ ودأبي * الى أنْ تَهيَّأَ إيابي * فودَّعْتُهُ وهو مُصِرٌّ على التدليسِ * ومُسِرٌّ حَسْوَ الخَنْدَرِيسِ *

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارثُ بن همّام * قال ألجأني حُكْمُ دَهرٍ قاسِطٍ * الى أنْ أنْتَجِعَ أرضَ واسِطٍ * فقصَدْتُها وانا لا أعرِفُ بها سَكَنًا * ولا أملِكُ فيها مَسْكَنًا * ولمّا حَلَلْتُها حُلولَ الحُوتِ بالبَيْداء * والشَّعْرةِ البَيْضاء * في اللِّمَّةِ السَّوْداء * قادَني الحَظُّ الناقِصُ * والجَدُّ الناكِصُ * الى خانٍ يَنْزِلُهُ شُذّاذُ الآفاقِ * وأخلاطُ الرِّفاقِ * وهو لنَظافَةِ مَكانِهِ * وظَرافَةِ سُكّانِهِ * يُرَغِّبُ الغريبَ في إيطانِهِ * ويُنْسيهِ هَوى أوْطانِهِ * فاستَفْرَدْتُ منه بحُجْرَةٍ * ولم أُناقِشْ في أُجْرَةٍ * فما كان إلّا كَلَمْحِ طَرْفٍ * أو خَطِّ

حَرْفٍ * حتّى سَمِعتُ جارِي بَيْتَ بَيْت * يقولُ لنَزيلِه في البَيْت * قُمْ يا بُنَيَّ لا قَعَدَ جَدُّك * ولا قامَ ضِدُّك * واستَصْحِبْ ذا الوَجْهِ البَدْرِيّ * واللَّونِ الدُّرِّيّ * والاصلِ النَّقِيّ * والجِسمِ الشَّقِيّ * الَّذي قُبِضَ ونُشِر * وسُجِنَ وشُهِر * وسُقِيَ وفُطِم * وأُدْخِلَ النّارَ بَعْدَ ما لُطِم * ثم اركُضْ الى السُّوق * رَكْضَ المَشُوق * فقَايِضْ به اللاَّقِحَ المُلْقَح * المُفسِدَ المُصلِح * المُكْمِدَ المُفرِح * المُعَنِّي المُرَوِّح * ذا الزَّفيرِ المُحْرِق * والجَنينِ المُشرِق * واللَّفظِ المُقْنِع * والنَّيْلِ المُمْتِع * الَّذي اذا طَرَق * رَعَدَ وبَرَق * وباحَ بالحُرَق * ونَفَثَ في الخِرَق * قال فلمّا قَرَّتْ شِقْشِقَةُ الهادِر * ولم يَبْقَ الاّ صَدَرُ الصّادِر * بَرَزَ فَتىً يَمِيسُ * وما مَعَهُ انِيسُ * فرأيتُها أُعْضلَةً تَلْعَبُ بالعُقول * وتُغْرِي بالدُّخول في الفُضول * فانطلقتُ في اِثْرِ الغُلام * لأخْبُرَ فَحْوى الكلام * فلم يَزَلْ يَسْعى سَعْيَ العَفارِيت * ويَتَفَقَّدُ نَضائِدَ الحَوانِيت * حتّى انتهى عندَ الرَّواح * الى حِجارةِ القَدّاح * فناوَلَ بائِعَها رغيفًا * وتَناوَلَ منه حَجَرًا الطيفًا * فعَجِبْتُ من فَطانَةِ المُرسِلِ والمُرْسَل * وعلمتُ أنها سَرُوجِيَّةٌ وإنْ لم أسْأَل * وما كذَبْتُ أنْ بادَرتُ الى الخان * مُنْطَلِقَ العِنان * لأنْظُرَ كُنْهَ فَهْمِي * وهل قَرْطَسَ في التَّكَهُّنِ سَهْمِي * فإذا أنا في الفِراسَةِ فارِسٌ * وأبو زيدٍ بوَصِيدِ الخانِ جالِسٌ * فتهادَيْنا بُشْرَى الالتقاء * وتقارَضْنا تَحِيَّةَ الأصدِقاء * ثم قال ما الَّذي نابَك * حتّى زايلْتَ جَنابَك * فقلتُ دَهْرٌ هاض * وجَوْرٌ فاض * فقال والَّذي أنْزَلَ المَطَرَ من الغَمام * وأخْرَجَ الثَّمَرَ من الأكْمام * لقَدْ فَسَدَ الزَّمان * وعَمَّ العُدْوان * وعُدِمَ المِعْوانُ * واللهُ المُسْتَعانُ *

فكيف أفلتَّ * وعلى أيّ وصفيك أجفلتَ * فقلتُ اتّخذتُ الليلَ قميصا * وادّلجتُ فيه خميصا * فاطرق ينكتُ في الارض * ويفكّر في ارتيادِ القرض والفرض * ثم اهتزّ هزّة من اكتنبه قنص * او بدت له فرص * وقال قد علق بقلبي ان تصاهر من يأسو جراحك * ويريش جناحك * فقلتُ وكيف اجمع بين غلٍّ وقلٍّ * ومن الذي يرغب في ضلّ ابن ضلٍّ * فقال انا المشير بك واليك * والوكيل لك وعليك * مع انّ دينَ القوم جبرُ الكسير * وفكّ الاسير * واحترامُ العشير * واستنصاح المشير * الّا انّهم لو خطب اليهم ابراهيم بن ادهم * او جبلةُ بن الايهم * لما زوّجوه الّا على خمس مائة درهم * اقتداءً بما مهر الرسول زوجاته * وعقد به انكحة بناته * على انّك لن تطالب بصداقٍ * ولن تلجأ الى طلاقٍ * ثم انّي ساخطب في موقف عقدك * ومجمع حشدك * خطبةً لم تفتق رتق سمعٍ * ولا خطب بمثلها في جمعٍ * قال الحارث بن همّام * فازدهاني بوصف الخطبة المتلوّة * دون الخطبة المجلوّة * حتى قلت له قد وكلتُ اليك هذا الخطب * فدبّره تدبير من طبّ لمن حبّ * فنهض مهرولا * ثم عاد متهللا * وقال ابشر باعتاب الدهر * واحتلاب الدرّ * فقد ولّيتُ العقد * واكفلتُ النقد * وكان قد * ثم اخذ في مواعدة اهل الخان * واعدادِ حلواء الخوان * فلمّا مدّ الليل اطنابه * واغلق كلّ ذي باب بابه * اذّن في الجماعة * الا احضروا في هذه الساعة * فلم يبق فيهم الّا من لبّى صوته * وحضر بيته * فلمّا اصطفّوا لديه * واجتمع الشاهد والمشهود عليه * جعل يرفع الاسطرلاب ويضعه * ويلحظ

عَلِمتُ اَنَّ نَزَبْثى بالخان * مَجْلَبَةٌ للهوان * فضَمَمْتُ رَحِيلى * وجَمَعْتُ للرِّحلة ذَيْلى *
وبِتُّ لَيْلَتِى اَسْرِى الى الطِّيب * واَحْتَسِبُ اللّهَ على الخطِيب *

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحارثُ بن همّام قال ارتحلتُ من مدينةِ المنصور * الى بَلْدَةِ صُورْ * فلمّا حَصَلْتُ بهـا ذا رِفعةٍ وخَفْضٍ * ومالِكَ رَفْعٍ وخَفْضٍ * تُقْتُ الى مِصْرَ تَوْقانَ السقيمِ الى الأُساة * والكريم الى المُواساة * فرفَضْتُ علائقَ الاستقامة * ونَفَضْتُ عوائِقَ الاقامَة * واعْرَوْرَيْتُ ظَهْرَ ابنِ النَّعامَة * واجفلتُ نَحْوَها اجْفالَ النَّعامَة * فلمّا دَخَلْتُها بعدَ مُعاناةِ الأَيْن * ومُداناةِ الحَيْن * كَلِفْتُ بها كَلَفَ النَّشْوان بالاصطباح * والحَيْران بِتَنَفُّسِ الصَّباح * فبينَما انا يَوْمًا بها اَطُوف * وتَحْتِى فَرَسٌ قَطُوف * اذ رأيتُ على جُرْدٍ من من الخَيْل * عُصْبَةً كمَصابِيحِ اللَّيْل * فسألتُ لانتجاعِ النُّزْهَة * عن العُصْبَةِ والوِجْهَة * فقيلَ امّا القومُ فشُهُودٌ * واَمّا المَقْصِدُ فامْلاكٌ مشهودٌ * فحَدَتْنِى صَبْغَةُ النَّشاط * على اَنْ سِرْتُ مع الفُرّاط * لأَفُوزَ بحَلاوةِ اللِّقـاط * واَحُوزَ حَلْواءَ السِّماط * فافْضَيْنا بعدَ مُكابَدةِ العَناء * الى دارٍ رفيعةِ البِناء * وسيعةِ الفِناء * تَشْهَدُ لبانِيها بالثَّراءِ والسَّناء * فلمّا نَزَلْنا عن صَهَواتِ الخُيُول * قدَّمْنا الاَقْدامَ للدُّخول * رأيتُ دِهْلِيزَها مُجَلَّلًا باطمارٍ مُخَرَّقةٍ * ومُكَلَّلًا بمَخارِفَ مُعَلَّقةٍ * وهُناك شَخْصٌ على قطيفةٍ * فوقَ دَكَّةٍ لطيفةٍ * فرابَنِى عُنْوانُ الصَّحيفة * ومَرْأى هذه الطَّريقة * ودَعـانى التطيُّرُ بتلك المَناحِس *

الى ان عمدت لذلك المجالس * فعزمت عليه بمصرف الاقدار * ليعرفني من رب هذه الدار * فقال ما لها مالك معين * ولا صاحب مبين * انما هو مصطبة المقيقين * والمدروزين * ووليجة المشقشقين * والمجلوزين * فقلت في نفسي انا لله على ضلة المسعى * وامحال المرعى * وهممت في الحال بالرجعى * لكني استهجنت العود من فورى * والقهقرة دون غيري * فولجت الدار متجرعا الغصص * كما يلج العصفور القفص * فاذا فيها ارائك منقوشة * وطنافس مفروشة * ونمارق مصفوفة * وسجوف مرصوفة * وقد اقبل الملك يميس في بردته * ويتبهنس بين حفدته * فحين جلس كانه ابن ماء السماء * نادى مناد من قبل الاحماء * وحرمة ساسان استاذ الاستاذين * وقدوة الشحازين * لاعقد هذا العقد المبجل * في هذا اليوم الاغر المحجل * الا الذي جال وجاب * وشب في الكدية وشاب * فاعجب رهط الصهر ما اشاروا اليه * واذنوا في احضار المنصوص عليه * فبرز حينئذ شيخ قد امال الملوان قامته * ونورا الفتيان ثغامته * فتباشرت الجماعة باقباله * وتبادرت الى استقباله * فلما جلس على زربيته * وسكنت الضوضاء لهيبته * ازدلف الى مسنده * ومسح سبلته بيده * ثم قال الحمد لله المبتدى بالافضال * المبتدع للنوال * المتقرب اليه بالسؤال * المؤمل لتحقيق الآمال * الذي شرع الزكوة في الاموال * وزجر عن نهر السؤال * وندب الى مواساة المضطر * وامر باطعام القانع والمعتر * ووصف عباده المقربين * في كتابه المبين * فقال وهو اصدق

القائلين * والذين في اموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم * احمده على ما رزق من طعمة هنية * واعوذ به من استماع دعوة بلانية * واشهد ان لا اله الا الله وحده * لا شريك له الا يجزي المتصدقين والمتصدقات * ويمحق الربو ويربي الصدقات * واشهد ان محمداً عبده الرحيم * ورسوله الكريم * ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء * وينتصف للفقراء من الاغنياء * فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين * وخفض جناحه للمستكين * وفرض الحقوق في اموال المثرين * وبين ما يجب للمقلين على المكثرين * صلى الله عليه صلوة تحظيه بالزلفة * وعلى اصفيائه اهل الصفة * اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح لتعففوا * وسن التناسل لكي تتضاعفوا * فقال سبحانه لتعرفوا * يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى * وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا * وهذا ابو الدراج * ولاج بن خراج * ذو الوجه الوقاح * والافك الصراح * والهرير والصياح * والابرام والالحاح * يخطب سليطة اهلها * وشريطة بعلها * قنبس * بنت ابي العنبس * لما بلغه من التحافها بالحافها * واسرافها في اسفافها * وانكماشها على معاشها * وانتعاشها عند هراشها * وقد بذل لها من الصداق شلاقا وعكازا * وصقاعا وكرازا * فانكحوه انكاح مثله * وصلوا حبلكم بحبله * وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله * اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم * واسأله ان يكثر في المصاطب نسلكم * ويحرس من المعاطب شملكم * فلما فرغ الشيخ من خطبته * وابرم للختن عقد خطبته * تساقط من النثار * ما استغرق حد الاكثار * واغرى الشحيح بالايثار *

ثُمَّ نَهَضَ الشيخُ يَسْحَبُ ذَلاذِلَهُ * ويَقْدُمُ أَراذِلَهُ * قال الحارثُ بن همام فتَبِعْتُهُ لأَنْظُرَ عُرْجَةَ القومِ * وأُكَمِّلَ بَهْجَةَ اليَوْمِ * فعاجَ بهم الى سِماطٍ زَيَّنَتْهُ طُهاتُهُ * وتَناصَفَتْ في الحُسْنِ جِهاتُهُ * فحينَ رَبَعَ كُلُّ شَخْصٍ في رِبْضَتِهِ * وطَفِقَ يَرْتَعُ في رَوْضَتِهِ * انسلَلْتُ من الصَّفِّ * وفَرَرْتُ من الزَّحْفِ * فحانَتْ من الشيخِ لَفْتَةٌ الَيَّ * ونَظْرَةٌ هَجَمَ بها طَرْفُهُ عليَّ * فقال الى اَيْنَ يا بَرَمُ * هَلّا عاشَرْتَ مُعاشَرَةَ مَنْ فيهِ كَرَمٌ * فقلتُ والَّذي خَلَقَها طِباقاً * وطَبَّقَها اشراقاً * لا ذُقْتُ لَماقاً * ولا لُسْتُ رُقاقاً * او تُخْبِرَني اَيْنَ مَدَبُّ صِباكَ * ومِنْ اَيْنَ مَهَبُّ صَباكَ * فتنفَّسَ الصُّعَداءَ مِراراً * وارسَلَ البُكاءَ مِدْراراً * حتّى اذا اسْتَنْزَفَ الدَّمْعَ * واسْتَنْصَتَ الجَمْعَ * قال لي اَرْعِني السَّمْعَ *

نظم

مَسْقَطُ الرّاسِ سَرُوجُ * وبها كُنْتُ اَمُوجُ
بَلْدَةٌ يُوجَدُ فيها * كُلُّ شَيْءٍ ويَرُوجُ
وِرْدُها من سَلْسَبيلٍ * وصَحارِيها مُرُوجُ
وبَنُوها ومَغانيهِم نُجُومٌ وبُرُوجُ
حَبَّذا نَفْحَةُ رَيّاها ومَرْآها البَهيجُ
وأَزاهيرُ رُباها * حينَ تَنْجابُ الثُّلوجُ
مَنْ رَآها قال مَرْسى * جَنَّةِ الدُّنيا سَرُوجُ
ولِمَنْ يَنْزاحُ عنها * زَفَراتٌ ونَشيجُ

مِثْلَ ما لاقَيْتُ مُذْ زَحْزَحَنِي * عَنْهُما العُلُوجُ
عَبْرَةٌ تَهْمِي وشَجْوٌ * كُلَّما قَرَّ يَهِيجُ
وهُمُومٌ كُلَّ يَوْمٍ * خَطْبُها خَطْبٌ مَرِيجُ
ومَساعٍ في التَّرَجِّي * قاصِراتُ الخَطْوِ عُوجُ
لَيْتَ يَوْمِي حُمَّ لَمّا * حُمَّ لِي مِنْها الخُرُوجُ

قال فلمّا بَيَّنَ بلَدَه * ووَعَيْتُ ما أَنْشَدَه * أَيْقَنْتُ أنّه عَلّامَتُنا أبُو زَيْدٍ * وإنْ كان الهَرَمُ قد أَوْثَقَه بقَيْدٍ * فبادَرْتُ الى مُصافَحَتِه * واغْتَنَمْتُ مُواكَلَتَه من صَحْفَتِه * وظَلْتُ مُدّةَ مُقامِي بمِصْرَ أَعْشُو الى شُواظِه * وأَحْشُو صَدَفَتِي من دُرَرِ أَلْفاظِه * الى أَنْ نَعَبَ بيننا غُرابُ البَيْنِ * ففارَقْتُه مُفارَقَةَ الجَفْنِ للعَيْنِ *

قد استتبّ طَبْعُ هذا الجلد الاوّل مِنَ المقاماتِ
الحريريّة مُحْتَوِيًا على ثلثين مقامات
* من جُمْلَةِ خمسين *
* حكايات *

---

*
**

المقامة الحادية والثلثون الرمليه

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب * وريعان العيش اللباب * اقلي الاكتنان بالغاب * واهوى الاندلاق من القراب * لعلمي ان السفر ينفج السفر * وينتج الظفر * ومعاقرة الوطن * تعقر الفطن * وتخفر من قطن * فاجلت قداح الاستشارة * واقتدحت زناد الاستخارة * ثم استجشت جأشا اثبت من الحجارة * واصعدت الى ساحل الشام للتجارة * فلما خيمت بالرملة * والقيت بها عصا الرحلة * صادفت بها ركابا تعد للسرى * ورحالا تشد الى ام القرى * فعصفت بي ريح الغرام * واهتاج لي شوق الى البيت الحرام * فزممت ناقتي * ونبذت علقي وعلاقتي * نظم

وقلت للائمي اقصر فانى * سأختار المقام على المقام

وانفق ما جمعت بارض جمع * واسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل * لهم في السير جرية السيل * والى الخير جرى الخيل * فلم نزل بين ادلاج وتأويب * وايجاف وتقريب * الى ان حبتنا ايدي المطايا بالتحفة * في ايصالنا الى الجحفة * فحللناها متأهبين للاحرام * متباشرين بادراك المرام * فلم يك الا ان انخنا الركائب * وحططنا الحقائب * حتى طلع علينا من بين الهضاب * شخص ضاحي الاهاب * وهو ينادي * يا اهل ذا النادي * هلم الى ما ينجي يوم التنادي * فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا * واحتفوا به وانصتوا * فلما رأى تألبهم حوله *

واستعظامهم قوله * تسنم احدى الآكام * ثم تنحنح مستفتحاً للكلام * وقال يا معشر الحجاج * الناسلين من الفجاج * أتعقلون ما تواجهون * والى من تتوجهون * أم تدرون على من تقدمون * وعلام تقدمون * أتخالون ان الحج هو اختيار الرواحل * وقطع المراحل * واتخاذ المحامل * وايقار الزوامل * ام تظنون ان النسك هو نضو الاردان * وانضاء الابدان * ومفارقة الولدان * والتنائي عن البلدان * كلا والله بل هو اجتناب الخطية * قبل اجتلاب المطية * واخلاص النية * في قصد تلك البنية * وامحاض الطاعة * عند وجدان الاستطاعة * واصلاح المعاملات * امام اعمال اليعملات * فوالذي شرع المناسك * للناسك * وارشد السالك * في الليل الحالك * ما ينقي الاغتسال بالذنوب * من الانغماس في الذنوب * ولا تعدل تعرية الاجسام * بتعبية الاجرام * ولا تغني لبسة الاحرام * عن المتلبس بالحرام * ولا ينفع الاضطباع بالازار * مع الاضطلاع بالاوزار * ولا يجدي التقرب بالحلق * مع التقلب في ظلم الخلق * ولا يرحض التنسك بالتقصير * دون التمسك بالتقصير * ولا يسعد بعرفة * غير اهل المعرفة * ولا يزكو بالخيف * من يرغب في الحيف * ولا يشهد المقام الآمن * استقام * ولا يحظى بقبول الحجة * من زاغ عن المحجة * فرحم الله امرأ صفا * قبل مسعاه الى الصفا * وورد شريعة الرضا * قبل شروعه على الاضا * ونزع عن تلبيسه * قبل نزع ملبوسه * وفاض بمعروفه * قبل الافاضة من تعريفه * ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم * وكاد يزعزع الجبال الشم * وانشد

نظم

مَا الحَجُّ سَيْرُكَ تَأوِيباً وإدْلاجاً * ولا اغتِنامُك أجْمالاً وأحداجا
الحَجُّ أنْ تَقصِدَ البيْتَ الحرامَ على * تجريدِك الحجَّ لا تقضى به حاجا
وتَمتَطِى كاهِلَ الانصافِ مُتَّخِذاً * رَدْعَ الهَوى هادِياً والحقَّ مِنهاجا
وأنْ تُواسِىَ ما أُوتِيتَ مَقدُرةً * مَنْ مَدَّ كفًّا الى جَدْواك مُحتاجا
فهذه إنْ حَوَتها حِجَّةٌ كَمُلَتْ * وإنْ خلا الحَجُّ منها كان إخداجا
حَسْبُ المُرائين غَبْناً أنّهم غَرَسُوا * وما جَنَوا ولَقُوا كَدًّا وإزْعاجا
وأنّهم حُرِمُوا أجْراً ومَحمِدةً * وألْحَمُوا عِرْضَهم مَن غابَ أوْ هاجا
أُخَىَّ فابغِ بما تُبْدِيه من قُرَبٍ * وَجْهَ المُهَيمِنِ وَلّاجاً وخَرّاجا
فليس تَخفَى على الرحمن خافِيةٌ * إنْ أخلَصَ العَبْدُ فى الطاعاتِ أوْداجا
وبادِرِ المَوْتَ بالحُسنى تُقدِّمُها * فما يُنَهْنِهُهُ داعِى المَوْتِ إنْ فاجأ
واقْنَ التواضُعَ خُلقاً لا تُزايِلُه * عنك الليالى ولو ألبَسْنَكَ التاجا
ولا تَشِمْ كُلَّ خالٍ لاحَ بارِقُه * ولو ترا أىّ هَتُونَ السَّكْبِ ثَجّاجا
ما كُلُّ داعٍ بأهْلٍ أنْ يُصاخَ له * كم قد أصَمَّ بنَعْيٍ بعضُ مَنْ ناجا
وما اللبيبُ سِوى مَنْ باتَ مُقتَنِعاً * ببُلْغةٍ يُدْرِجُ الأيّامَ إدْراجا
فكُلُّ كُثْرٍ الى قُلٍّ مَغَبَّتُه * وكُلُّ نازٍ الى لِينٍ وإنْ هاجا

قال الراوى فلمّا ألقحَ عُقُمَ الأفهام * بسِحرِ الكلام * استَرْوَحتُ رِيحَ أبى زَيْدٍ * وما دَبى

الارتياحُ اليه اَىَّ مَيْدٍ * فَمَكَثْتُ حَتّى اسْتَوعَبْتُ حِكْمَتِهِ * واتحدرَ من اكَمْنِهِ *
ثم دَلَفْتُ اليه لاَتَصَفَّحَ صَفَحاتِ مُحَيَّاه * وَاَسْتَشِفَّ جَوْهَرَ حلاه * فاذا هو الضّالَّةُ التّى
اَنْشُدُها * وناظِمُ القَلائِدِ التى اَنْشَدَها * فعانَقْتُهُ عِناقَ اللّامِ للاَلِفِ * ونَزَّلْتُهُ مَنْزِلَةَ البُرْءِ عند
الدَّنِفِ * وسَأَلْتُهُ اَن يُلازِمَنِى فَابى * او يُزامِلَنِى فنَبا * وقال آلَيْتُ في حِجّتى هٰذِه
اَنْ لا اَحْتَقِبَ * ولا اَعْتَقِبَ * ولا اَكْتَسِبَ * ولا اَنْتَسِبَ * ولا اَرْتَفِقَ * ولا اُرافِقَ * ولا اُوافِقَ *
مَن يُنافِقُ * ثم ذَهَبَ يُهَرْوِلُ * وغادَرَنِى اُوَلْوِلُ * فلم اَزَلْ اَتْبَعُهُ نَظَرِى * واَوَدُّلو يَمْشِى على
ناظِرِى * حتّى توَقَّلَ اَحَدَ الاَطْوادِ * ووَقَفَ للحَجِيجِ بالمِرْصادِ * فحِينَ شاهَدَا يضاعَ الرُّكْبانِ *
فى الكُثْبانِ * وقَعَ بالبَنانِ * على البَنانِ * واندفَعَ يُنْشِدُ *

نظم

لَيْسَ مَنْ زارَ راكِبًا * مِثْلَ ساعٍ على القَدَمْ
لا ولا خادِمٌ اَطا * عَ كعاصٍ من الخَدَمْ
كَيْفَ يا قَوْمِ يَسْتَوِى * سَعْىُ بانٍ ومَنْ هَدَمْ
سَيُقِيمُ المُفَرِّطُو * نَ غَدًا مَاتَمَ النَّدَمْ
ويقولُ الّذِى تَقَرَّ * بَ طُوبى لِمَنْ خَدَمْ
وَيْكِ يا نَفْسِ قَدِّمِى * صالِحًا عِنْدَ ذِى القِدَمْ
وازْدَرِى زُخْرُفَ الحَيوٰ * ةِ فوُجْدانُهُ عَدَمْ
واذْكُرِى مَصْرَعَ الحِما * مِ اذا خَطْبُهُ صَدَمْ

واندُبْ فِعْلَكَ القبيحَ * وسُحَّ له بِدَمْ

وآدِ بُغْيَهُ بتوبةٍ * قبلَ أن يَحْلَمَ الأدَمْ

فعسى اللهُ أن يَقِيكَ السعيرَ الذي احتدَمْ

يومَ لا عَثْرةٌ تُقا * لُ ولا يَنفعُ السَّدَمْ

ثم إنَّه أغمدَ عَضْبَ لسانِه * وانطلقَ لِشأنِه * فما زِلْتُ في كلِّ مَوْرِدٍ نَرِدُه * ومُعَرَّسٍ نَتوسَّدُه * أتفقَّدُه فأفتقِدُه * وأستنجِدُ بمن يَنشُدُه فلا يَجِدُه * حتّى خِلْتُ أنَّ الجِنَّ اختطفَتْه * والأرضَ اقتطفَتْه * فما كابدْتُّ في الغُرْبة * كهذه الكُرْبة * ولا مُنِيتُ في سَفْرةٍ * بمثلِها من زَفْرةٍ *

المقامة الثانية والثلثون الحربية

حكى الحارث بن همّام * قال أجمعْتُ حين قضيْتُ مناسكَ الحجّ * وأقمْتُ وظائفَ العجِّ والثجّ * أن أقصِدَ طيبةَ * مع رُفقةٍ من بني شَيبةَ * لأزورَ قبرَ المصطفى * وأخرُجَ من قَبيلِ مَن حَجَّ وجفا * فأُرجِفَ بأنَّ المسالكَ شاغِرةٌ * وعَرَبُ الحرَمَيْن مُتشاجِرةٌ * فحِرْتُ بينَ إشفاقٍ يُثبِّطُني * وأشواقٍ يُنشِّطُني * إلى أن أُلقيَ في رُوعي الاستسلامُ * وتغليبُ زيارةِ قبرِه عليه السلام * فاعتدْتُ القُعْدةَ * وأعددْتُّ العُدّةَ * وسِرْتُ والرُّفْقةَ * لا تَلْوي على عُرْجةٍ * ولا تَني في تأويبٍ ولا دُلجةٍ * حتّى وافَينا بني حَرْبٍ * وقد آبوا من حَرْبٍ * فأزمَعْنا أن نَقضيَ ظِلَّ اليومْ * في حِلّةِ القومْ * وبينما نحنُ نتخيّر

المُناخ * ونَرودُ الوِردَ النُّقاخ * اذ رأيناهم يَرْكُضُون * كأنّهم الى نَصْبٍ يُوفِضُون *
فرابَنا انثيالُهم * وسألناما بالُهم * فقيل قد حضرَ نادِيَهم فقيهُ العَرَب * فاهرَعَهم لهذا السَّبَب *
فقلتُ لرُفقتي ألا نَشهدُ مَجمَعَ الحيّ * لنتبيَّنَ الرُّشدَ من الغيّ * فقالوا لقد أسمعتَ
اذ دعوتَ * ونصحتَ وما ألوتَ * ثم نَهَضْنا نتّبعُ الهادي * ونؤُمُّ النادي * حتى اذا اطّلَلْنا
عليه * واستشرفنا الفقيهَ المنهودَ اليه * ألفيتُه أبا زيدٍ ذا الشّقَرِ والبُقَر * والفواقِرِ والفِقَر * وقد
اعتمّ القَفداء * واشتمَل الصّمّاء * وقعدَ القُرفُصاء * وأعيانُ الحيّ به مُحتَفّون * وأخلاطُهم
عليه مُلتفّون * وهو يقولُ سَلوني عن المُعضِلات * واستوضِحوا منّي المُشكِلات * فوالذي
فطرَ السماء * وعلّمَ آدمَ الاسماء * انّي لفقيهُ العربِ العَرْباء * وأعلمُ مَن تحتَ
الخَرباء * فصمَدَ له فتًى فتيقُ اللّسان * جريُّ الجَنان * وقال انّي حاضرتُ فقهاءَ
الدّنيا * حتّى انتخلتُ منهم مائةَ فُتيا * فان كُنتَ ممّن يرغَبُ عن بناتِ غيرٍ *
ويرغَبُ مِنّا في مَيرٍ * فاستمِع وأجِبْ * لتُقابَلَ بما يَجِب * فقال اللهُ أكبرُ * سيَبينُ المَخبَرُ *
وينكشفُ المُضمَرُ * فاصدَعْ بما تُؤمَرُ *

قال ما تقولُ فيمن توضّأ ثم لمسَ ظهرَ نعلِه * قال انتقضَ وضوءُه بفعلِه * النعلُ الزّوجةُ *
قال فإنْ توضّأ ثم اتّكأه البردُ * قال يجدّدُ الوضوءَ من بعدُ * البَردُ النّومُ * قال أيمسَحُ
المتوضّئُ انثييه * قال قد نُدِبَ اليه ولم يجِبْ عليه * الأنثيان الأذنان * قال أيجوزُ
الوضوءُ ممّا يقذِفُه الثّعبان * قال وهل أنظفُ منه للعُرْبان * الثُّعبانُ جمعُ ثَعْبٍ وهو

مَسِيلُ الوادِي * قال أيُستباحُ ماءُ الضرير * قال نَعَمْ ويُجْتَنَبُ ماءُ البصير * الضريرُ حَرْفُ الوادِي والبصيرُ الكَلْبُ * قال أيَحِلُّ الطَّوْفُ في الرَّبِيع * قال يُكْرَهُ ذلك للحَدَثِ الشَّنيع * الطَّوْفُ التَّغَوُّطُ والرَّبِيعُ النَّهرُ الصغيرُ * قال أيَجِبُ الغُسْلُ على مَنْ أمْنَى * قال لا ولَوْ ثَنَّى * أمْنَى نَزَلَ مِنًى * يُقالُ مِنْهُ مَنَى وأمْنَى وامتنى * قال فهَلْ يَجِبُ على الجُنُبِ غَسْلُ فَرْوَتِه * قال أجَلْ وغَسْلُ إبرَتِه * الفَرْوَةُ جِلْدُ الرأس والإبْرَةُ عَظْمُ المِرْفَق * قال فإنْ أخَلَّ بغَسْلِ فأسِه * قال هو كما لو أغْفَلَ غَسْلَ رأسِه * الفأسُ العَظْمُ المُشْرِفُ على نُقْرَةِ القَفا * قال ما تقولُ فيمَنْ تَيَمَّمَ ثم رأى رَوْضًا * قال بَطَلَ تيمُّمُه فلْيَتَوضَّأ * الرَّوْضُ هٰهُنا جَمْعُ رَوْضَةٍ وهي الصُّبابَةُ تَبْقَى في الحَوْض * قال أيَجوزُ أن يَسْجُدَ الرَّجُلُ في العَذِرَة * قال نَعَمْ ولْيُجانِبِ القَذِرَةَ * العَذِرَةُ فِناءُ الدار * قال فهَلْ له السُّجودُ على الخِلاف * قال لا ولا على أحَدِ الأطراف * الخِلافُ الكُمُّ * قال فإنْ سَجَدَ على شِمالِه * قال لا بأسَ بفِعالِه * الشِّمالُ جمعُ شَمْلَةٍ * قال فهل يَجوزُ السُّجودُ على الكُراع * قال نَعَمْ دُونَ الذِّراع * الكُراعُ ما استطالَ من الحَرَّة * قال أيُصَلِّي على راسِ الكَلْب * قال نَعَمْ كسائرِ الهَضْب * راسُ الكَلْبِ ثَنِيَّةٌ معروفةٌ * قال ما تقولُ فيمَنْ صَلَّى وعانَتُه بارِزَةٌ * قال صلوتُه جائزةٌ * العانَةُ الجَماعَةُ من حُمُرِ الوَحْش * قال فإنْ صَلَّى وعليه صَوْمٌ * قال يُعيدُ ولو صَلَّى مائةَ يومٍ * الصَّوْمُ ذَرْقُ النَّعام * قال فإن حَمَلَ جِرْوًا وصَلَّى * قال هو كما لو حَمَلَ باقِلَّى * الجِرْوُ الصِّغارُ من القِثّاءِ والرُّمّان * قال أتَصِحُّ صلوةُ حامِلِ القَرْوَة *

قال لا ولو صَلّى فوقَ المَروة * القَروةُ مِيلغةُ الكلب * قال فان قطرَ على ثوبِ المُصلّي نَجو * قال يَمضِي في صلوته ولا غرو * النَّجوُ السَّحابُ الذي قد هَراقَ ماءه * قال أيَجوزُ أن يؤُمَّ الرِّجالَ مُقنَّعٌ * قال نعَم ومُدرَّعٌ * المُقنَّعُ لابسُ المِغفَر والمُدرَّعُ لابسُ الدِّرع * قال فان أمَّهم مَن في يَدِه وَقْفٌ * قال يُعيدُون ولو أنَّهم ألْفٌ * الوَقْفُ السِّوارُ من العاج او الذَّبل * وأرادَ به أنّه لا يجوزُ للرِّجال الائتمامُ بالنساء * قال فإن أمَّهم مَنْ فَخْذُه بادية * قال صلوتُه وصلوتُهم ماضيةٌ * الفَخْذُ العَشيرةُ وبادية يَسكُنون البَدْو واختارَ بعضُهم تسكينَ الخاء من هذه الفخذ ليحصُلَ الفرقُ بينها وبين الفَخِذ من الأعضاء * قال فإن أمَّهم الثَّوْرُ الأجَمّ * قال صَلِّ وخَلاكَ ذمٌّ * الثَّورُ السَّيِّدُ والأجَمُّ الَّذي لا رُمْحَ معه * قال أيدخُلُ العَصْرُ في صلوةِ الشاهِد * قال لا والغائبِ الشاهِد * صلوة الشاهد صلوةُ المَغرب سُمّيَت بذلك لاقامتِها عندَ طُلوعِ النَّجم لان النَّجمَ يُسمَّى الشاهِدَ * قال أيجوزُ للمَعذورِ أن يُفطِرَ في شَهرِ رَمَضان * قال ما رُخِّصَ فيه الا للصِّبيان * المَعذورُ المَختونُ وهو ايضا المُعذَرُ * قال فهل للمُعرِّسِ ان ياكُلَ فيه * قال نعَم بملءِ فيه * المُعرِّسُ المسافِرُ الَّذي يَنزِلُ * في آخرِ لَيلةٍ ليَستريحَ ثم يَرتحِل * قال فإنْ أفطرَ فيه العُراةُ * قال لا تُنكِرُ عليهم الوُلاةُ * العُراةُ الَّذين تأخُذُهم العُرَواءُ * وهي الحُمَّى برِعْدةٍ * قال فان أكَلَ الصائمُ بعدَما أصبحَ * قال هو أحوطُ له وأصلحُ * أصبحَ أي استَصبحَ بالمِصباح * قال فان عمَدَ لأنْ أكَلَ لَيلاً * قال ليَشمِّرْ للقَضاء ذَيلاً * الليلُ الأُنثى من فِراخِ الحُبارى على

ضائن كَرِهَ ابنُ دُرَيْدٍ وقيل هو وَلَدُ الكروان والنهارُ وَلَدُ الحُبارى * قال فان اكل قبل ان
تتوارى البيضاءُ * قال يلزمه والله القضاءُ * البيضاءُ من اسماءِ الشمس * قال فان
استثارَ الصائمُ الكَيْدَ * قال افطرَ ومن احلَّ الصيدَ * الكَيْدُ القَيْءُ واستثارته استدعاؤه *
قال أَلَهُ ان يُفطِرَ بالحاجِ الطابخِ * قال نعم لا بطاً هي المطابخ * الطابخُ الحُمَّى
الصالبُ * قال فان ضحكت المرأةُ في صومها * قال بطلَ صومُ يومِها * ضحكت
هُهُنا اى حاضَتْ ومنه قوله تعالى فضحكت فبشَّرناها باسحاقَ * قال فان ظهرَ
الجُدَرِيُّ على ضَرَّتها * قال تفطِرانْ آذنَ بمَضَرَّتها * الضَرَّةُ اصلُ الابهام واصلُ
الثَدْي ايضًا * قال ما يَجِبُ في مائةِ مِصْباح * قال حِقَّتان ياصاحِ * المِصْباحُ الناقةُ
التي تُصْبِحُ في المبرك * قال فان ملكَ عَشْرَ خناجِر * قال يُخرِجُ شاتين ولا يُشاجِر *
الخناجِرُ النُوقُ الغِزارُ واحدتها خَنجَرٌ وخَنْجُورٌ * قال فان سمحَ للساعي بحَميمته *
قال يا بُشرى له يومَ قيامته * الساعى جابي الصَدَقةِ والحميمةُ خِيارُ المال * قال
أيستحقُّ حَمَلَةُ الأوزارِ من الزكوةِ جُزْءًا * قال نعم اذا كانوا غُزًّى * الاوزارُ السِلاحُ
وغُزًّى جمع غازٍ * قال أيجوز للحاجِّ ان يعتمِرَ * قال لا ولا ان يختمِرَ * الاعتمارُ لُبْس
العَمارةِ وهي العِمامةُ * والاختمارُ لُبْسُ الخِمار * قال فهل له ان يقتلَ الشُجاعَ * قال
نعم كما يقتلُ السِباعَ * الشُجاعُ الحيَّةُ * قال فان قتلَ زَمّارةً في الحَرَم * قال عليه بَدَنةٌ
من النَعَم * الزَمّارةُ النعامةُ واسمُ صَوْتِها الزِمارُ * قال فان رمى ساقَ حُرٍّ فجَدَلَه * قال

يُخرج شاةً بدلَه * ساقُ حُرٍّ ذكر القماري * قال فان قتلَ أُمَّ عَوْفٍ بعد الاحرام * قال يتصدّق بقبضةٍ من طعام * أُمُّ عوفٍ الجرادةُ * قال أيجبُ على الحاجّ استصحابُ القارب * قال نعم ليسوقهم الى المشارب * الحاجّ اسمٌ للجمع والواحدِ والقاربُ طالبُ الماءِ بالليل * قال ما تقولُ في الحرام بعد السبت * قال قد حلّ في ذلك الوقت * الحرامُ المُحرِمُ والسَبْتُ حلقُ الرأس وحلَّ من تحليل الحجّ * قال ما تقول في بيع الكُمَيت * قال حرامٌ كبيع المَيْت * الكُمَيتُ الخمرُ * قال أيجوزُ بيعُ الخلّ بلحمِ الجمل * قال لا ولا بلحمِ الحمل * الخلُّ ابنُ المخاض ولا يحلُّ بيعُ اللحمِ بالحيوان سواءٌ كانَ من جنسه او من غير جنسه * قال ايحلُّ بيعُ الهديّة * قال لا ولا بيعُ السبيّة * الهديّةُ بالتشديد ما يُهدى الى الكعبة ويقالُ فيها هَدْيَةٌ بتسكين الدال وتخفيفِ الياء والسبيّةُ الخمرُ * قال ما تقولُ في بيع العقيقة * قال محظورٌ على الحقيقة * العقيقةُ ما يُذبحُ عن المولود في اليوم السابع من ولادته * قال أيجوزُ بيعُ الداعي على الراعي * قال لا ولا على الساعي * الداعي بقيّةُ اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة * قال أيُباعُ الصقرُ بالتمرِ * قال لا ومالكِ الخلق والأمرِ * الصقرُ الدِبسُ * قال أيشتري المسلمُ سَلَبَ المسلمات * قال نعم ويُورثُ عنه اذا مات * السَلَبُ لحاءُ الشجر وهو ايضاً خُوصُ الثمام * قال فهل يجوزُ ان يُبتاعُ الشافع * قال ما الجوازهُ من دافع * الشافعُ الشاةُ التي معها سخلُها * قال أيُباعُ الابريقُ على بني الاصفر * قال يُكرهُ كبيع المغفر * الابريقُ السيفُ الصقيلُ الكثيرُ الماءِ وبنو الاصفرِ الرومُ *

قال أيجوز أن يبيع الرجل صفيه * قال لا ولكن ليبع صفيه * الصفي الولد على الكبر * والصفي الناقة الغزيرة الدر * قال فإن اشترى عبدا فبان بأمه جراح * قال ما في رده جناح * الأم مجتمع الدماغ * قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء * قال لا ولا للشريك في الصفراء * الصحراء الأتان التي تمازج بياضها غبرة * قال أيحل أن يحمى ماء البئر والخلا * قال إن كانا في الفلا فلا * يحمى يمنع والخلا الكلأ * قال ما تقول في ميتة الكافر * قال حل للمقيم والمسافر * الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه * قال أيجوز ان يضحى بالحول * قال هو أجدر بالقبول * الحول جمع حائل * قال فهل يضحى بالطالق * قال نعم ويقرى منها الطارق * الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت * قال فإن ضحى قبل ظهور الغزالة * قال شاة لحم بلا محالة * الغزالة الشمس * وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت * قال أيحل الكسب بالطرق * قال هو كالقمار بلا فرق * الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة * قال أيسلم القائم على القاعد * قال محظور فيما بين الأباعد * القاعد التي قعدت عن الحيض وعن الأزواج * قال أينام العاقل تحت الرقيع * قال أحبب به في البقيع * الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة * قال أيمنع الذمي من قتل العجوز * قال معارضته في العجوز لا تجوز * العجوز الخمر وقتلها مزجها * قال أيجوز أن ينتقل الرجل عن عمارة أبيه * قال ما جوز لخامل ولا نبيه * العمارة القبيلة * قال ما تقول في التهود * قال هو مفتاح التزهد * التهود التوبة ومنه قوله تعالى إنا هدنا

اليك * قال ماتقولُ في صَبْرِ البَلِيَّةِ * قال اَعْظِمْ بهِ من خَطِيَّة * الصَّبْــرُ الحَبْسُ والبَلِيَّةُ النَّاقةُ تُحْبَسُ عند قَبْرِ صاحِبِها فلا تُسْقى ولا تُعلَفُ الى اَن تَموتَ وكانتِ الجاهِليَّةُ تَزعَمُ أنّ صاحبَها يُحْشَرُ عليها * قال اَيَحِلُّ ضَرْبُ السفير * قال نَعَمْ والحملُ على المُسْتَشِير * السَّفيرُ ما تَساقَطَ من وَرَقِ الشَّجَرِ والمُسْتَشِيرُ الجَمَلُ السَّمين وهو ايضًا الجَمَلُ الذي يَعْرِفُ اللاقِحَ من الحائِل * قال اَيُعَزِّرُ الرجُلُ اَباه * قال يَفعلهُ البَرُّ ولا يا باه * التعزيرُ التعظيمُ والنُّصرة * قالِ ما تقــولُ فيمن اَفقرَ اَخاه * قال حَبَّذا ما تَوخَّاه * اَفقَرهُ اَعارَهُ ناقةً يركَبُ فَقارَها * قال فإن اَعرى وَلَدَهُ * قال ياحُسْنَ ما اعتَمَدَهُ * اَعراه اَعطاه ثَمرةَ نَخْلِه عامًا * قال فإنْ اَصْلى مملُوكَهُ النّارَ * قال لا اِثمَ عليه ولا عارَ * المملوكُ العجينُ الذي قد اُجِيدَ عَجْنُهُ حَتّى قَوِيَ * قال اَيَجوزُ للمَرْأةِ اَنْ تَصْرِمَ بَعْلَها * قال ما حظَرَ اَحَدٌ فِعلَها * البَعْلُ النَّخْلُ الّذي يَشرَبُ بعُروقِهِ من الاَرْض * قال فهَلْ تُؤَدَّبُ المَرْأةُ على الخَجَل * قال اَجَــلْ * الخَجَلُ سُوءُ احتمالِ الغنى ومنه قولــه عليه السلام للنِّساءِ اِنَّكُنَّ اذا جُعْتُنَّ دَقِعتُــنَّ واذا شَبِعتُــنَّ خَجِلتُنَّ * قال ما تقولُ فيمن نَحَتَ اَثْلَةَ اَخيهِ * قال اَثِمَ ولو اَذِنَ له فيه * نحتَ اَثْلَتَه اذا اغتابَه وقدَحَ في عِرْضِه * قال اَيَحْجُرُ الحاكِمُ على صاحبِ الثَّوْر * قال نَعَمْ ليأمَنَ غائلةَ الجَوْر * الثَّوْرُ الجُنونُ * قال فهَلْ له اَنْ يَضْرِبَ على يَدِ اليَتيم * قال نَعَمْ الى ان يَرْشُدَ ويَستَقيمُ * يقال ضَرَبَ على يدِه اذا حَجَرَ عليه * قال فهل يجوزُ اَن يَتَّخِذَ له رَبَضًا * قال لا ولو كان له رِضًا * الرَّبَضُ الزوجةُ * قال فمتى يَبيعُ بَدَنَ السَّفيه *

قال حين يرى له الحظّ فيه * البدن الدرع القصيرة * قال فهل يجوز ان يبتاع له حشا * قال نعم اذا لم يكن مغشّى * الحشّ النخل المجتمع * قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالما * قال نعم اذا كان عالما * الظالم الذى يشرب اللبن قبل ان يروب ويخرج زبده * قال أيستقضى من ليست له بصيرة * قال نعم اذا حسنت منه السيرة * البصيرة ههنا الترس * قال فان تعرّى من العقل * قال ذاك عنوان الفضل * العقـــل ضرب من الوشى * قال فان كان له زهو وجبّار * قال لا انكار ولا اكبار * الزهو البسر المتلوّن والجبّار النخل الذى فات اليد والقاعد من النخل ضدّها * قال ايجوز ان يكون الشاهد مريبا * قال نعم اذا كان اريبا * المريب الذى يكثر عنده اللبن الرائب * قال فان بان انّه لاط * قال هو كما لو خاط * لاط الحوض اذا طيّنه * قال فان عثر على انّه غربل * قال تردّ شهادته ولا تقبل * غربل اى قتل ومنه قول الراجز * ترى الملوك حوله مغربلة * قال فان وضح انّه مائن * قال هو وصف له زائن * المائن ههنا الذى يعول ويكفى المؤنة من مان يمون * قال ما يجب على عابد الحقّ * قال يحلّف بالله الخلق * العابد ههنا الجاحد والحقّ الدين * قال ما تقول فى من فقأ عين بلبل عامدا * قال تفقأ عينه قولا واحدا * البلبل الرجل الخفيف * قال فان جرح قطاة امرأة فماتت * قال النفس بالنفس اذا فاتت * القطاة ما بين الوركين * قال فان القت الحامل حشيشا من ضربه * قال ليكفّر بالاعتاق عن ذنبه * الحشيش الجنين الملقى ميتا * قال ما يجب على المختفى فى الشرع * قال القطع لاقامة

الرَّدْع * المُخْتَفِى نَبَّاشَ القُبورِ * قال فإنْ سرَقَ ثميناً من ذَهَب * قال لا قَطْعَ كما
لو غَصَبَ * الثمينُ الثُمْنُ كما يُقالُ فى النِّصْفِ نصيفٌ وفى السُّدْسِ سديسٌ * قال فإن
بانَ على المرأةِ السَّرَق * قال لا حرَجَ عليها ولا فَرْق * السَّرَقُ الحريرُ الأبيضُ * قال
أينْعَقِدُ نِكاحٌ لم تَشهَدْه القَوارِى * قال لا والخالِقِ البارِى * القُوارِى الشُّهودُ لأنَّهم
يَقْرُون الأشياءَ اى يتتبعونها * قال ما تقولُ في عَرُوسٍ باتت بليلةٍ حُرَّةٍ * ثم رُدَّتْ في
حافرتِها بسُحْرةٍ * قال يَجِبُ لها نِصْفُ الصَّداق * ولا تلزَمُها عِدَّةُ الطَّلاق * يُقال باتتِ
العَروسُ بليلةٍ حُرَّةٍ اذا امتنعتْ على زوجِها فان افتضَّها قيل باتت بليلةٍ شَيْباءَ والرَّدُّ
فى الحافرة بمعنى الرجوع فى الطريق الأوَّل وكُنِى به عن طلاقِها ورَدِّها الى أهلِها *
فقال له السائلُ للهِ دَرُّكَ من بَحرٍ لا يُغضْغِضُه الماتِحُ * وحَبْرٍ لا يَبلُغُ مَدْحَه المادِحُ * ثم أطرَقَ
إطْراقَ الحَيِيّ * وأرَمَّ إرمامَ العَيِيّ * فقال له ابو زيدٍ إيهٍ يا فتى * فقال الى متى والى متى *
فقال إنَّه لم يَبْقَ في كِنانتِى مِرْماةٌ * ولا بَعْدَ إشراقِ صُبْحِكَ مُماراةٌ * فباللهِ أيَّ ابنِ
أرضٍ أنتَ * فما أحسنَ ما أبنتَ * فأنشدَ بلسانٍ ذَلِقٍ * وصوتٍ صَهْصَلِقٍ * **نظم**

أنا فى العالِم مُثْلَه * ولأهلِ العِلْم قِبْلَه
غيرَ أنِّى كُلَّ يَوْمٍ * بينَ تعريسٍ ورِحْلَه
والغريبُ الدارِ لو حَلَّ بطُوبَى لم تَطِبْ له

ثُمَّ قال اللّٰهُمَّ كما جعلتَنا مِمَّن هُدِيَ ويَهْدِى * فاجْعَلْهم مِمَّن يَهتَدِي ويُهْدِى * فساقَ

اليه القَوْمُ ذَوْدًا مَعَ قَيْنَة * وسَأَلُوه اَن يَزُورَهم الغَيْنَةَ بَعْدَ الفَيْنَة * فنهض يمشيهم العَوْد * ويُزَجِّي الاَمة والذَّوْد * قال الحارثُ بن همَّام فاعترضتُه وقلتُ له مَهْدِي بك سفيهًا * فمتى صِرْتَ فقيهًا * فظلَّ هُنَيْهَةً يجُول * ثم انشأَ يقول *

نظم

لَبِسْتُ لكلِّ زمانٍ لَبُوسا * ولا بَسْتُ صَرْفَيْه نُعمى وبُؤْسا

وعاشَرْتُ كُلَّ جليسٍ بما * يُلا يِمُه لاَرُوقَ الجليسا

فعِنْدَ الرُّواة أُدِيرُ الكلامَ * وبين السُّقاةِ أُدِيرُ الكُؤُوسا

وطَوْرًا بوَعْظي أُسِيلُ الدُّموعَ * وطورًا بلَهْوي أَسُرُّ النُّفوسا

وأَقرِي المَسامِعَ إمَّا نطقتُ * بيانًا يَقُودُ الحَرُونَ الشَّمُوسا

وإنْ شِئْتُ أُرْعِفُ كَفِّي اليَراعَ * فساقَطَ دُرًّا يُحَلِّي الطُّرُوسا

وكَمْ مُشْكِلاتٍ حَكَيْنَ السُّها * خَفاءً فصِرْنَ بكَشْفي شُمُوسا

وكم مُلَحٍ لي خَلَبْنَ العقولَ * وَاَسَأَرْنَ في كُلِّ قَلْبٍ رَسِيسا

وعَذْراءَ فُهْتُ بها فانْثَنى * عليها الثَّناءُ طليقًا حبيسًا

على اَنَّني من زَماني خُصِصْتُ * بكيدٍ ولا كَيْدِ فِرْعونَ مُوسى

يُسَعِّرُ لي كُلَّ يومٍ وَغًى * اَطَأُ مِنْ لَظاها وَطِيسًا وَطِيسا

ويَطْرُقُني بالخُطوبِ التى * يُذِبْنَ القُوى ويُشِبْنَ الرُّؤُسا

ويُدْنِي اِلَيَّ البعيدَ البغيضَ * ويُبْعِدُ عَنّي القريبَ الاَنِيسا

وَلَوْلا خَساسَةُ اَخْلاقِهِ * لَما كانَ حَظِّي مِنهُ خَسِيسا

فقلتُ له خَفِّضِ الاَحْزانَ * ولاتَلُمِ الزَّمانَ * واشْكُرلِمَنْ نَقَلَكَ من مَذْهَبِ اِبْلِيسَ * الى مَذْهَبِ ابنِ اِدْرِيس * فقال دَعِ الهِتارَ * ولا تَهْتِكِ الاَسْتارَ * وانهَضْ بنا لنضرِبَ * الى مَسْجِدِ يَثْرِبَ * فعسى اَنْ نَرْحَضَ بالمَزارِ * دَرَنَ الاَوْزارِ * فقلتُ هَيْهاتَ اَنْ اَسِيرَ * اوافقه التفسيرَ * فقال تاللّٰهِ لقَدْ اَوجَبْتَ ذِمَما * وطَلَبْتَ اِذْ طَلَبْتَ اَمَماً * فهاكَ مايَشْفِي النَّفْسَ * ويَنْفِي اللَّبْسَ * قال فَلَمّا اَوْضَحَ لِيَ المُعَمَّى * وكَشَفَ عَنِّي الغُمَّى * شَدَدْنا الاَكْوارَ * وسِرْتُ وسارَ * ولم اَزَلْ من مُسامَرَتِهِ * مُدَّةَ مُسايَرَتِهِ * فيما اَنْسانِي طَعْمَ المَشَقَّةِ * ووَدِدْتُ مَعَهُ بُعْدَ الشُّقَّةِ * حتّى اذا دَخَلْنا مَدِينَةَ الرَّسُولِ * وفُزْنا من الزِّيارةِ بالسُّؤْلِ * اَشْاَمَ واَعْرَقْتُ * وغَرَّبَ وشَرَّقْتُ *

المقامة الثالثة والثلثون التفليسية

اخبر الحارثُ بن هَمّام * قال عاهَدتُّ اللّٰهَ تعالى مُذْ يَفَعْتُ * اَنْ لا اُؤَخِّرَ الصَّلٰوةَ ما استطَعْتُ * فكنتُ مَعَ جَوْبِ الفَلَوات * ولَهْوِ الخَلَوات * اُراعِي اَوْقاتَ الصَّلَوات * واُحاذِرُ مِن مَأْثَمِ الفَوات * واذا رافَقْتُ في رِحْلةٍ * اوحَلَلْتُ بِحِلَّةٍ * مَرْحَبْتُ بصَوتِ الدّاعي اليها * واقتدَيْتُ بمن يُحافِظُ عليها * فاتّفَقَ حِينَ دخلتُ تفليسَ * اَنْ صَلَّيْتُ مَعَ عُصبةٍ مَفالِيسَ * فلمّا قضَيْنا الصَّلٰوةَ * واَزْمَعْنا الانفلاتَ * بَرَزَ شيخٌ بادِي اللَّقوةِ * بالِي الكِسْوةِ والقُوَّة * فقال عزَمْتُ على مَن خُلِقَ من طِينةِ الحُرِّيَّةِ * وتفَوَّقَ دَرَّ العَصَبِيَّةِ * الاّ

ما تكلّف لي لبثه * واستمع مني نفثه * ثم له الخيار من بعد * وبيده البذل والرد * فعقد له القوم الحبا * وسموا أمثال الربا * فلما آنس حسن انصاتهم * ورزانة حصاتهم * قال يا أولي الأبصار الرامقة * والبصائر الرائقة * أما يغني عن الخبر العيان * وينبئ عن النار الدخان * شيب لائح * وضعف بائح * ووهن فادح * وداء واضح * والباطن ففاضح * ولقد كنت والله ممن ملك ومال * وولي وآل * ورفد ونال * ووصل وصال * فلم تزل الجوائح تسحت * والنوائب تنحت * حتى الوكر قفر * والكف صفر * والشعار ضر * والعيش مر * والصبية يتضاغون من الطوى * ويتمنون مصاصة النوى * ولم أقم هذا المقام الشائن * وأكشف لكم الدفائن * إلا بعد ما شقيت ولقيت * وشبت مما لقيت * فليتني لم أكن بقيت * ثم تأوه تأوه الأسيف * وأنشد بصوت ضعيف *

نظم

أشكو إلى الرحمن سبحانه * تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتي * وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي ويا ويل من * تهتصر الأحداث أغصانه
وأمحلت ربعي حتى جلت * من ربعي المحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائرا * أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة * يسحب في النعمة أردانه
يختبط العافون أوراقه * ويحمد الساررون نيرانه

فَأَصْبَحَ اليَوْمَ كَأَنْ لَمْ يَكُن * أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ
وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِراً * وَعَافَ عَافِي العُرْفِ عِرْفَانَهُ
فَهَلْ فَتًى يَحْزُنُهُ مَا يَرَى * مِنْ ضُرِّ شَيْخٍ دَهْرُهُ خَانَهُ
فَيَفْرِجَ الهَمَّ الَّذِي هَمَّهُ * وَيُصْلِحَ الشَّانَ الَّذِي شَانَهُ

قال الراوي فصبت الجماعة الى أن تستثبته * لتستنجش خبأته * وتستنفض حقيبته * فقالت له قد عرفنا تدرزنتك * ورأينا درمزنتك * فعرفنا دوحة شعبتك * واحسر اللئام عن نسبتك * فأعرض إعراض من منى بالإعنات * او بشر بالبنات * وجعل يلعن الضرورات * ويتأفف من تغيض المروات * ثم أنشد بلفظ صادع * وجرس خادع *

نظم

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ * جَنَاهُ اللَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ
فَكُلْ مَا حَلَا حِينَ تُؤْتَى بِهِ * وَلَا تَسْأَلِ الشَّهْدَ عَنْ نَحْلِهِ
وَمَيِّزْ إِذَا مَا اعْتَصَرْتَ الكُرُومَ * سُلَافَةَ عَصْرِكَ مِنْ خَلِّهِ
لِتُغْلِيَ وَتُرْخِصَ عَنْ خِبْرَةٍ * وَتَشْرِيَ كُلًّا شِرَى مِثْلِهِ
فَعَارٌ عَلَى الفَطِنِ اللَّوْذَعِيِّ * دُخُولُ الغَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ

قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه * واختلبهم بحسن أدائه مع دائه * حتى جمعوا له خبايا الخبن * وخفايا الثبن * وقالوا له ياهذا إنك حمت على ركية بكية * وتعرضت

لِخَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ * فَخُذْ هٰذِهِ الصُّبَابَةَ * وَهَبْهَا لَا خَطَأً وَلَا إِصَابَةً * فَنَزَّلَ قَلْبُهُمْ مَنْزِلَةَ الكُثْرِ * وَوَصَلَ قَبُولَهُ بِالشُّكْرِ * ثُمَّ تَوَلَّى يَجُرُّ شِقَّهُ * وَيَنْهَبُ بِالخَبْطِ طُرُقَهُ * قَالَ المُخْبِرُ بِهٰذِهِ الحِكَايَةِ * فَصُوِّرَ لِي أَنَّهُ مُحِيلٌ لِحِلْيَتِهِ * مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ * فَنَهَضْتُ أَنْهَجُ مِنْهَاجَهُ * وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ * وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا * وَيُوسِعُنِي هَجْرًا * حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ * وَأَمْكَنَ التَّحْقِيقُ * نَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ * وَمَا حَضَّ بَعْدَ مَا غَشَّ * وَقَالَ إِنِّي لَإِخَالُكَ أَخَا غُرْبَةٍ * وَرَائِدَ صُحْبَةٍ * فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيُرْفِقُ * وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيُنْفِقُ * فَقُلْتُ لَهُ لَوْ أَتَانِي هٰذَا الرَّفِيقُ * لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ * فَقَالَ لِي قَدْ وَجَدْتَ فَاغْتَبِطْ * وَاسْتَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ * ثُمَّ ضَحِكَ مَلِيًّا * وَتَمَثَّلَ لِي بَشَرًا سَوِيًّا * فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ لَا قَلَبَةَ بِجِسْمِهِ * وَلَا شُبْهَةَ فِي وَسْمِهِ * فَفَرِحْتُ بِلُقْيَتِهِ * وَكَذِبَ لَقْوَتِهِ * وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ * فَشَحَا فَاهُ * وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ *

نظم

ظَهَرْتُ بِرَثِّ لِكَيْمَا يُقَالُ * فَقِيرٌ يُزَجِّي الزَّمَانَ المُزَجَّى
وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فُلِجْتُ * فَكَمْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَّى
وَلَوْلَا الرَّثَاثَةُ لَمْ يُرْثَ لِي * وَلَوْلَا التَّفَالُجُ لَمْ أَلْقَ فُلْجَا

ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِهٰذِهِ الأَرْضِ مَرْتَعٌ * وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ * فَإِنْ كُنْتَ الرَّفِيقَ * فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ * فَسِرْنَا مِنْهَا مُتَجَرِّدَيْنِ * وَرَافَقْتُهُ عَامَيْنِ أَجْرَدَيْنِ * وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ مَا عِشْتُ * فَأَبَى الدَّهْرُ المُشِتُّ *

المقامة الرابعة والثلثون الزبيدية

حكى الحارث بن همّام * قال لمّا جُبتُ البِيدَ * الى زَبيدَ * صَحِبَني غُلامٌ كنتُ رَبّيتُه الى اَنْ بلَغ اَشُدَّه * وثقّفتُه حتّى اَكمَلَ رُشْدَه * وكان قد اَنِسَ باَخْلاقِي * وخَبَرَ مَجالِبَ وِفاقِي * فلم يَكُن يتخطّى مَرامِيَ * ولا يُخطِئُ في المَرامِي * لاجَرَمَ انّ قُرَبَه اِلتاطَتْ بِصَفَرِي * وَاَخْلَصْتُه لِحَضَرِي وسَفَرِي * فاَلْوى به الدَّهْرُ المُبِيدْ * حين ضَمَّتْنا زَبِيد * فلمّا شالَتْ نَعامَتُه * وسكَنَتْ نامَتُه * بَقِيتُ عاماً * لا اُسِيغُ طَعاماً * ولا اُرِيغُ غُلاماً * حتّى اَلجأَتْني شَوائِبُ الوَحْدة * ومَتاعِبُ القَوْمةِ والقَعْدة * الى اَنْ اَعتاضَ عن الدُّرِّ الخَرَزَ * وَاَرْتادَ مَنْ هو سِدادٌ مِنْ عَوَز * فقصدتُ مَن يَبِيعُ العبيدَ * بسُوقِ زَبِيدْ * وقلتُ اُرِيدُ عبدًا يُعجِبُ اذا قُلِّبَ * ويُحمَدُ اذا جُرِّبَ * ولْيكُنْ مِمَّن خَرَّجَه الاَكياسُ * واَخْرَجَه الى السُّوقِ الاِفلاسُ * فاهتَزَّ كُلٌّ منهم لمَطْلَبِي ووَثَب * وبذَلَ تحصيلَه عن كَثَب * ثُمَّ دارَتِ الاَهِلَّةُ دَوْرَها * وتقلّبَتْ كَوْرَها وحَوْرَها * ومَا نَجَزَ مِن وُعودِهم وَعْدٌ * ولا سَنَحَ لها رَعْدٌ * فلمّا رأيتُ النَّخّاسِينْ * ناسِينَ او مُتَناسِينْ * عَلِمْتُ اَنْ لَيْسَ كُلُّ مَن خلَقَ يَفْرِي * واَن لن يَحُكَّ جِلْدِي مِثْلُ ظُفْرِي * فرَفَضْتُ مَذهَبَ التفويض * وبَرَزْتُ الى السُّوقِ بالصُّفْرِ والبِيضِ * فاِنّي لَاَسْتَعرِضُ الغِلْمانَ * وَاَسْتَعْرِفُ الاَثْمان * اِذْ عارَضَني رَجُلٌ قد اِخْتَطَمَ بِلِثامٍ * وقبَضَ على زَنْدِ غُلامٍ * وقال *

نظم

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي غُلامًا صَنَعا * في خَلْقِه وخُلْقِه قد بَرَعا

بكلِّ ما نطقت به مضطلعا * يشفيك ان قال وان قلت وعى
وان تصبك عثرة يقل لعا * وان تسمه السعي في الندى سعى
وان تصاحبه ولو يوما رعى * وان تقنعه بظلف قنعا
هو على الكيس الذي قد جمعا * ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا اجاب مطمعا حين دعا * ولا استجاز نث سر اودعا
وطالما ابدع فيما صنعا * وفاق في النثر وفي النظم معا
والله لولا ضنك عيش صدعا * وصبية اضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى اجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم * وحسنه الصميم * خلته من ولدان جنة النعيم * وقلت ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * ثم استنطقته عن اسمه * لا لرغبة في علمه * بل لانظر اين فصاحته من صباحته * وكيف لهجته من بهجته * فلم ينطق بحلوة ولا مرة * ولا فاه فوهة ابن امة ولا حرة * فضربت عنه صفحا * وقلت قبحا لعيك وشقحا * فغار في الضحك وانجد * ثم انغض راسه الي وانشد *

نظم

يا من تلهب غيظه ان لم ابح * باسمي له ما هكذا من ينصف
ان كان لا يرضيك الا كشفه * فاصخ له انا يوسف انا يوسف
ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن * فطنا عرفت وما اخالك تعرف

قال فسرى عنّى بشعره * واستبى لُبّي بسحره * حتى شُدِهتُ عن التحقيق * وأُنسيتُ قصّة يُوسُفَ الصِّدّيق * ولم يكُنْ لى همٌّ لأُمساومةَ مَولاهُ فيه * واستطلاعَ طِلْعِ الثّمن لأُوَفّيهْ * وكنتُ أحسِبُ أنّه سينظُرُ شزرًا اِلَيّ * ويُغلي السّيمةَ عَلَيّ * فما حَلّقَ الى حيثُ حلّقتُ * ولا اعتلَقَ بما به اعتلقتُ * بل قال اِنَّ العبدَ اذا نزرَ ثمنُهُ * وخفّتْ مؤونتهُ * تبرّكَ بهِ مولاهُ * والتحفَ عليه هواه * وإنّي لأُوثِرُ تحبيبَ هذا الغلامِ اليك * بأنْ أُخفّفَ ثمنَه عليك * فزِنْ مائتَي دِرهمٍ إنْ شئتَ * واشكُرلي ما حَييتَ * فنقدتُه المبلغَ في الحال * كما يُنقدُ في الرخيصِ الحلالُ * ولم يَخطُرْ لي ببالٍ * أنّ كلَّ مُرخَصٍ غالٍ * فلمّا تحقّقتِ الصّفقةُ * وحقّتِ الفُرقةُ * هَمَلتْ عينا الغُلام * ولا هَمولَ دَمعِ الغَمام * ثم أقبلَ على صاحِبِه وقال *

نظم

لحاكَ اللهُ هل مِثلي يُباعُ * لِكَيما تَشبَعَ الكَرِشُ الجِياعُ

وهَلْ في شِرعةِ الإنصافِ أنّي * أُكلَّفُ خُطّةً لا تُستطاعُ

وأنْ أُبلى بروعٍ بعدَ روعٍ * ومِثلي حِينَ يُبلى لا يُراعُ

أما جرّبتني فخبرتَ مِنّي * نصائحَ لم يُمازِجْها خِداعُ

وكم أرصدتَني شَرَكًا لصَيدٍ * فعُدتُ وفي حبائليَ السِّباعُ

ونُطتَ بيَ المصاعبَ فاستقادتْ * مُطاوِعةً وكانَ بِها امتِناعُ

وأيُّ كريهةٍ لم أُبلَ فيها * وغُنمٍ لم يكُنْ لي فيهِ باعُ

وما أبدتْ ليَ الأيّامُ جُرمًا * فيُكشَفَ في مُصارَمتي القِناعُ

ولم تعثر بحمد الله منّي * على عيبٍ يُكتّمُ او يُذاعُ
فانّي شائعٌ عندك نبذُ عهدي * كما نبذت برايتها الصناعُ
ولم سمحت قرونك بامتهاني * وان اُشرى كما يُشرى المتاعُ
وهلّا صنتَ عرضي عنه صونى * حديثك يوم جدّ بنا الوداعُ
وقلتَ لمن يساومُ في هذا * سكابِ فما يُعارُ ولا يُباعُ
فما انا دون ذاك الطِّرفِ لكن * طباعك فوقها تلك الطباعُ
على انّي سأنشد عند بيعي * اضاعوني واىّ فتىً اضاعوا

قال فلمّا وعى الشيخُ ابياته * وعقل مناغاته * تنفّس الصعداء * وبكى حتّى ابكى البُعداء * ثمّ قال لي انّي احلّ هذا الغلام محلّ ولدي * ولا اميّزه عن افلاذ كبدي * ولولا خلوّ مراحي * وخبوّ مصباحي * لما درج عن عشّي * الى ان يشيّع نعشي * وقد رأيتَ ما نزل به من لوعة البين * والمؤمن هيّنٌ ليّن * فهل لك في تسلية قلبه * وتسرية كربه * بان تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلتُ * وان لا تستثقلني اذا تثقّلتُ * ففي الآثار المنقولة المدوّنة عن الثقات * من اقال نادمًا بيعته * اقال الله عثرته * قال الحارث بن همّام فوعدته وعدًا ابرزهُ الحياءُ * وفي القلب اشياءُ * فاستدنى حينئذٍ الغلامَ اليه * وقبّل ما بين عينيه * وانشد والدمعُ يرفضّ من جفنيه *

نظم

خفّض فذا تك النفس ما تلاقي * من برحاءِ الوجد والاشفاقِ

فما تَطُولُ مُدَّةُ الفِراقِ * ولا تَنِي رَكائِبُ التَّلاقِي
بِحُسْنِ عَوْنِ القادِرِ الخَلَّاق

ثم قال له اَستودِعُك مَنْ هو نِعْمَ المَولى * وشَمَّرَ نَيْلَه وولَّى * فلَبِثَ الغلامُ في زفيرٍ وعويلٍ * رَيْثَما يُقطَعُ مدى مِيلٍ * فلمّا اَسْتَفاقَ * وكَفْكَفَ دَمْعَه المُهراقَ * قال اَتدرِي لِمَ اَعْوَلْتُ * وعَلامَ عَوَّلْتُ * قلتُ اَظُنُّ فِراقَ مَوْلاكَ * هو الَّذِي اَبْكاك * فقال انك لَفِي وادٍ * واَنا في وادٍ * ولَكَمْ بينَ مُرِيدٍ ومُرادٍ * ثم اَنشَدَ *

نظم

لَمْ اَبْكِ واللَّهِ على اِلْفٍ نَزَح * ولا على فَوْتِ نعيمٍ وفَرَح
وانما مَدْمَعُ اَجْفانِي سَفَح * على غَبِيٍّ لَحْظُه حينَ طَمَح
وَرَّطه حتَّى تَعَنَّى وافْتَضَح * وضَيَّعَ المنقوشةَ البِيضَ الوَضَح
وَيكَ اَما ناجَتْكَ هاتِيكَ المُلَح * بِاَنَّنِي حُرٌّ وبَيْعِي لم يُبَح
اِذْ كان في يُوسُفَ مَعْنًى قد وَضَح

قال فتمَثَّلْتُ مقالَه في مرآةِ المُداعِب * ومَعْرِضِ المُلاعِب * فتصلَّبَ تَصَلُّبَ المُحِقّ * وتبرَّأَ من طِينَةِ الرِّقّ * فجُلْنا في مُخاصَمةٍ اتَّصلَتْ بمُلاكَمةٍ * واَفْضَتْ الى مُحاكَمةٍ * فلَمَّا اَوضَحْنا للقاضِي الصُّورَةَ * وتَلَوْنا عليه السُّورَةَ * قال الآنَ مَنْ اَنْذَرَ * فقد اَعْذَرَ * ومن حَذَّرَ * كمن بَشَّرَ * ومن بَصَّرَ فما قَصَّرَ * واِنَّ فيما شَرَحْتُماه لدَلِيلًا على ان هذا الغلامَ قد نَبَّهَك فما اَرْعَوَيْتَ * ونَصَحَ لك فما وَعَيْتَ * فاسْتَرْدِ اَعْ بَلَهَك واكْتُمْه * ولُمْ نَفْسَكَ

ولا تَلُمْهُ * وحَذارِ من إعتلاقِهِ * والطَمَعِ في استرقاقِهِ * فإنّهُ حُرُّ الأديم * غيرُ مُعْــتَرِضٍ للتقويم * وقد كان أبُوهُ أحضرهُ أمسِ * قُبيلَ أفولِ الشّمْسِ * واعترفَ بأنّهُ فرعُهُ الّذي أنْشاهُ * وأنْ لا وارِثَ لهُ سِواهُ * فقلتُ للقاضِي أوَتَعْرِفُ أباهُ * أخزاهُ الله * فقال وهل يُجْهَلُ أبو زيدٍ الذي جُرْحُهُ جُبارٌ * وعند كُلِّ قاضٍ لهُ إخْبارٌ وأخْبارٌ * فتحرّقْتُ حينئذٍ وحولَقْتُ * وأفَقْتُ ولكن حين فاتَ الوَقْتُ * وأيقَنْتُ أنّ لِثامهُ كان شَرَكَ مَكِيدَتِهِ * وبيتَ قَصيدَتِهِ * فنكّسَ طَــرْفي ما لقِيتُ * وآلَيْتُ أنْ لا أُعامِلَ مُتَلَثِّمًا ما بَقِيتُ * ولم أزَلْ أتأوّهُ بخُسْرِ صَفْقَتي * والافتضاحِ بينَ رُفْقَتي * فقال لي القاضِي حينَ رأى امْتِعاضِي * وتبيّنَ حَرَّ ارتماضِي * يا هذا ما ذهَبَ من مالِكَ ما وَعَظَكَ * ولا أجْرَمَ إليكَ مَنْ أيْقَظَكَ * فاتّعِــظْ بما نابَكَ * وكاتِمْ أصْحابَكَ ما أصابَكَ * وتَذَكّرْ أبدًا ما دَهَمَكَ * لِتَقِيَ الذِّكرى دراهِمَكَ * وتَخلّقْ بِخُلُقِ مَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ * وتجلّتْ لهُ العِبَرُ فاعتبَرَ * فودّعْتُهُ لابِسًا ثوبَ الخَجَلِ والحَزَنِ * ساحِبًا ذيلَ الغَبْنِ والغَبَنِ * ونَوَيْتُ مُكاشَفَةَ أبي زيدٍ بالهَجْرِ * ومُصارَمَتَهُ مَدى الدّهْرِ * فجعلْتُ أتنكّبُ عن ذَراهُ * وأتجنّبُ أنْ أراهُ * إلى أنْ غشِيَني في طَــريقٍ ضَيِّقٍ * فحيّاني تحِيّةَ شَيِّقٍ * فما زِدْتُ على أنْ عَبَسْتُ * وما نَبَسْتُ * فقالَ ما بالُكَ شَمَخْتَ بأنْفِكَ * على إلْفِكَ * فقلتُ أنَسِيتَ أنّكَ احْتَلْتَ وخَتَلْتَ * وفعلْتَ فعلَتَكَ التي فعلْتَ * فأضْرَطَ بي مُتَهازِيًا * ثمّ أنشدَ مُتلاقِيًا *

نظم

يا مَنْ بدا مِنْه صُدو * دٌ مُوحِشٌ و تَجَهُّمُ
وَغدا يَرِيشُ مَلاوِمًا * مِن دُونِهِنَّ الاَسْهُمُ
و يقولُ هَلْ حُرٌّ يُبا * عُ كما يباعُ الاَدْهَمُ
اَقْصِرْ فما اَنا فيه بِدْ * عًا مِثْلَ ما تتَوَهَّمُ
قد باعتِ الاَسباطُ قَبْـ * ـلِي يُوسفًا وهُمُ هُمُ
هذا واُقسِمُ بالَّتِي * يَسْرِي اليها المُتْهِمُ
والطائفِينَ بها وهُمْ * شُعْثُ النَّواصِي سُهَّمُ
ما قُمْتُ ذاكَ الموقفَ الْمُخْـ * ـزِي وعندي دِرْهَمُ
فاعذِرْ اَخاك وكُفَّ عنْـ * ـه مَلامُ من لا يَفْهَمُ

ثم قال اَمّا مَعْذِرتِي فقد لاحَتْ * واما دَراهِمُك فقد طاحَتْ * فاِن كان اَقْشعرا رُكَ مِنِّي * وازْوِرارُكَ عنِّي * لِفَرطِ شَفَقتِك * على عَبْرِ نَفَقتِك * فلستَ مِمَّنْ يُلْسَعُ من جُحْرٍ مَرّتَين * ويُوطَؤُ على جَمرَتَين * واِنْ كنتَ طَوَيْتَ كَشْحَك * واَطعتَ شُحَّك * لِتَستَنْقِذَ ما عَلِقَ بَاشْراكِي * فَلْتَبْكِ على عَقْلِك البَواكِي * قال الحارثُ بن هَمّام فاضطَرَّني بلَفْظه الخالِب * وسِحْره الغالِب * الى اَن عُدتُّ له صَفِيًّا * وبه حَفِيًّا * ونَبَذْتُ فَعلَتَه ظِهرِيًّا * واِن كانَتْ شَيْأً فَرِيًّا *

المقامة الخامسة والثلثون الشيرازية

رَوَى الحارثُ بن همَّام قال مررتُ فى تطوافي بشيرازَ * على نادٍ يستوقفُ المُجتازَ * ولو كان على اَوفازٍ * فلم اَستطِعْ تعدّيه * ولا خطتْ قدمى في تخطّيه * فعجتُ اليه لأسبكَ سرَّ جوهرِه * واَنظُرَ كيف ثمرُه من زهرِه * فاذا اَهلُه اَفرادٌ * والعائجُ اليهم مُفادٌ * وبينما نحن في فكاهةٍ اَطربَ من الاغاريد * واَطيبَ من حلبِ العنا قيد * اذ احتفَّ بنا ذو طِمْرين * قد كاد يناهزُ العُمُرين * فحيّى بلسانٍ طليق * واَبان اِبانةَ مِنطيقٍ * ثُمَّ احتبى حَبْوةَ المُنتدين * وقال اجعلنا اللهمَّ من المُهتدين * فازدراه القومُ لطمرَيه * ونَسُوا اَنَّ المرءَ باصغريه * واَخذوا يتداعَوْن فصلَ الخطاب * ويعدّون عُودَه من الاَحطاب * وهو لا يفيضُ بكلمةٍ * ولا يبينُ عن سمةٍ * الى اَنْ سبرَ قرائحَهم * وخبرَ شائلَهم وراجحَهم * فحين استخرجَ دفائنَهم * واستنثلَ كنائنَهم * قال يا قومِ لو علمتم انَّ وراءَ الفدام * صفوَ المُدام * لما احتقرتم ذا الاَخلاقِ * وقلتم ما له من خلاقٍ * ثم فجَّر من ينابيعِ الاَدب * والنُّكتِ النُّخب * ما جلبَ به بدائعَ العجب * واستوجبَ ان يُكتبَ بذوبِ الذهب * فلمّا خلبَ كُلَّ خلبٍ * وقلبَ اليه كلَّ قلبٍ * تحلحلَ * ليرحلَ * وتأهَّبَ * ليذهبَ * فعلقتِ الجماعةُ بذيله * وعاقتْ مسربَ سيلِه * وقالتْ لهُ قل اَريتنا وَسْمَ قِدحك * فخبِّرنا عن قيضك ومحّك * فصمتَ صموتَ من اُفحِمَ * ثم اَعولَ حتّى رُحِمَ * قال الراوى فلما رأيتُ شوبَ ابى زيدٍ وروبَه * واُسلوبَه المألوفَ وصوبَه * تامّلتُ الشيخَ على سهومةِ مُحيّاه * وسهوكةِ ريّاه * فاذا هوايّاه * فكتمتُ سرَّه كما يُكتَمُ الداء

الدخيل * وسترت مكره وإن لم يكن يخيل * حتى اذا انزع عن إعواله * وقد عرف عثوري على حاله * رمقني بعين مضحاك * ثم طفق ينشد بلسان متباك * نظم

أستغفر الله وأعنو له * من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلتها لا أتقي وارثا * يطلب مني قودا أوديه
وكلما استذنبت في قتلها * أحلت بالذنب على الأقضيه
ولم تزل نفسي في غيها * وقتلها الأبكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا * في مفرقي عن تلكم المعصيه
فلم أرق مذ شاب فودي دما * من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا الآن على ما يرى * مني ومن حرفتي المكديه
أرث بكرا طال تعنيسها * وحجبها حتى عن الأهويه
وهي على التعنيس مخطوبة * كخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفيني لتجهيزها * على الرضا بالدون الآمائه
واليد لا توكي على درهم * والأرض قفر والسماء مضحيه
فهل معين لي على نقلها * مصحوبة بالقينة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه * والقلب من أفكاره المضنيه

ويقتني مني الثناء الذي * يضوع رياه مع الادعية

قال فلم يبق في الجماعة الا من نديت له كفه * وانباع اليه عرفه * فلما نجحت بغيته * وكملت مائته * اخذ يثني عليهم بصالح * ويشمر عن ساق سارح * فتبعته لاستعرف زبيبة خدره * ومن قتل في حدثان امره * فكان وشك قيامي * مثل له مرامي * فازدلف مني * وقال افقه عني *

نظم

قتل مثلي يا صاح مزج المدام * ليس قتلي بالهذم والحسام

والتي عنيت هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام

ولتجهيزها الى الكاس والطاس قيامي الذي ترى ومقامي

فتفهم ما قلته وتحكم * في التغاضي ان شئت او في الملام

ثم قال انا عربيد * وانت رعديد * وبيننا بون بعيد * ثم ودعني وانطلق * وزودني نظرة من ذي علق *

المقامة السادسة والثلثون الملطية

اخبر الحارث بن همام قال انخت بملطية مطية البين * وحقيبتي ملأى من العين * فجعلت هجيراي * مذ القيت بها عصاي * ان اتورد موارد المرح * واتصيد شوارد الملح * فلم يفتني بها منظر ولا مسمع * ولا خلا مني ملعب ولا مرتع * حتى اذا لم يبق لي فيها مأرب * ولا في الثواء بها مرغب * عمدت لانفاق الذهب * في ابتياع الاهب * فلما

أَكملتُ الإعدادَ * وتهيَّأَ الظَّعْنُ منها او كادَ * رأيتُ تِسعةَ رهطٍ قد سبأوا قهوةً * وارتبأوا
رَبْوةً * ودَماثتُهم قَيْدُ الألحاظ * وفكاهتُهم حُلوةُ الألفاظ * فنحوتُهم طَلَباً لمنادَمتِهم * لا
لمُدامتِهم * وشغفاً بمُمازجتِهم * لا بزُجاجتِهم * فلمّا انتظمتُ عاشرَهم * واضحيتُ مُعاشِرَهم *
ألفيتُهم أبناءَ علّاتٍ * وقذائفَ فلواتٍ * الّا أنّ لُحمةَ الأدب * قد ألّفتْ شملَهم أُلفةَ النَّسَب *
وساوتْ بينهم في الرُّتَب * حتّى لاحوا مثلَ كواكبِ الجوزاء * وبدَوا كالجُملةِ المتناسبةِ
الأجزاء * فابهجني الاهتداءُ اليهم * واحمدتُ الطالعَ الّذي اطلعني عليهم * وطفقتُ
أُفيضُ بقِدحي مع قِداحِهم * واستشفي برياحِهم لا براحِهم * حتّى ادّ تناشُجون المفاوضة *
الى التحاجي بالمُقايضة * كقولك اذا اعتنيتَ به الكرامات * ما مثلُ النّومُ فاتَ * فانشأنا
نجلو السُّها والقمر * ونجني الشّوكَ والثَّمر * وبينما نحن ننثُرُ القشيبَ والرَّثَّ * وننثلُ
السمينَ والغثَّ * طلعَ علينا شيخٌ قد ذهبَ حِبرُه وسِبرُه * وبقي خُبرُه وسَبرُه * فمثَلَ مُثولَ
من يسمعُ وينظُر * ويلتقطُ ما ننثُر * الى أنْ نفضتِ الاكياسُ * وحصحصَ الياسُ * فلمّا
رأى اجبالَ القرائح * واكداءَ الماتح والمائح * جمعَ أذيالَه * وولّانا قذالَه * وقال
ما كلُّ سوداءَ تمرةٌ * ولا كلُّ صهباءَ خمرةٌ * فاعتلقنا به اعتلاقَ الحرباءِ بالاعواد * وضربنا
دونَ وجهتِه بالاسداد * وقلنا له انّ دواءَ الشّقّ أن يُحاصَ * والّا فالقصاصُ
القِصاصَ * فلا تطمعْ في أنْ تجرحَ * وتُنهِرَ الفتقَ وتسرحَ * فلوى عِنانَه راجعاً * ثم جثمَ
بمكانه راصعاً * وقال امّا اذا استثرتموني بالبحث * فسأحكُم حكمَ سليمانَ في الحرث *

اعلموا يا ذوى الشمائل الادبية * والشمول الذهبية * ان وضع الاحجية * لامتحان الالمعية * واستخراج الخبيئة الخفية * وشرطها ان تكون ذات مماثلة حقيقية * والفاظ معنوية * ولطيفة ادبية * فمتى نافت هذا النمط * ضاهت السقط * ولم تدخل السفط * ولم اركم حافظتم على هذه الحدود * ولا مزتم بين المقبول والمردود * فقلنا له صدقت فكل لنا من لبابك * وافض علينا من عبابك * فقال افعل لئلا يرتاب المبطلون * ويظنوا بى الظنون * ثم قابل ناظورة القوم وقال *

نظم

يا من سما بذكاء * فى الفضل وارى الزناد
ما ذا يماثل قولى * جوع امد بزاد

ثم ضحك الى الثانى وانشد *

نظم

يا ذا الذى فاق فضلا * ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجى * ظهرا صابته عين

ثم لحظ الثالث وانشأ يقول *

نظم

يا من نتائج فكره * مثل النقود الجائزة
ما مثل قولك للذى * حاجيت صادف جائزة

ثم اتلع الى الرابع وقال *

نظم

ايا مستنبط الغامض * من لغز واضمار

أَلا اكْشِفْ لِي مَا مِثْلُ * تَنَاوَلْ أَلْفَ دِينَارِ

ثُمَّ رَمَى الخَامِسُ بِبَصَرِهِ وَأَنْشَدَ *

نظم

يَا أَيُّهَا الأَلْمَعِيُّ * أَخُو الذَّكَاءِ المُنْجَلِي

مَا مِثْلُ أَهْمَلَ حِلْيَةً * بَيِّنْ هُدِيتَ وَعَجِّلِ

ثُمَّ التَفَتَ لِفْتَ السَّادِسُ وَقَالَ *

نظم

يَا مَنْ تَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ * خُطَا مُجَارِيهِ وَتَضْعُفُ

مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي * أَضْحَى يُحَاجِيكَ اكْفُفِ اكْفُفْ

ثُمَّ خَالَجَ السَّابِعُ بِحَاجِبِهِ وَأَنْشَدَ *

نظم

يَا مَنْ لَهُ فِطْنَةٌ تَجَلَّتْ * وَرُتْبَةٌ فِي الذَّكَاءِ جَلَّتْ

بَيِّنْ فَمَا زِلْتَ ذَا بَيَانٍ * مَا مِثْلُ قَوْلِي الشَّقِيقُ أَفْلَتْ

ثُمَّ اسْتَنْصَتَ الثَّامِنُ وَأَنْشَدَ *

نظم

يَا مَنْ حَدَائِقُ فَضْلِهِ * مَطْلُولَةُ الأَزْهَارِ غَضَّه

مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَاجِي ذِي الحِجَى مَا اخْتَارَ فِضَّه

ثُمَّ حَدَجَ التَّاسِعُ بِبَصَرِهِ وَقَالَ *

نظم

يَا مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي الْقَلْبِ الذَّكِيِّ وَفِي الْبَرَاعَهْ

أَوْضِحْ لَنَا مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَاجِي دُسْ جَمَاعَهْ

قال الراوى فلما انتهى الى * هزّ منكبى * وقال * نظم

يا من له النكت التى * يشجى الخصوم بها وينكت
انت المبين فقل لنا * ما مثل قولى خالى اسكت

ثم قال قد انهلتكم وامهلتكم * وان شئتم ان اعلّكم عللتكم * قال فالجأنا الهب الغلل * الى استسقاء العلل * فقال لست كمن يستاثر هلى نديمه * ولا ممن سمنه فى اديمه *

ثم كرّ على الاوّل وانشد * نظم

يا من اذا اشكل المعمّى * جلّته افكاره الدقيقه
ان قال يوما لك المحاجى * خذ تلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده الى الثانى وقال * نظم

يا من بدا بيانه * عن فضله مبيّنا
ما ذا امثال قولهم * حمار وحش زيّنا

ثم اوحى الى الثالث بلحظه وقال * نظم

يا من غدا فى فضله * وذكائه كالاصمعى
ما مثل قولك للذى * حاجاك انفق تقمع

ثم حملق الى الرابع وقال * نظم

يا من اذا ما عويص * نجا انا رظلامه

ما ذا يمــا ثلُ قــولي * استنشق ريح مُدامَهْ

ثم أومض الى الخامس وأنشد *

نظم

يا من تنــزّه فهمُــه * عن أن يُروّى او يُشكّى
ما مثلُ قولك للّذى * أضحى يُحاجى غطّ هلكى

ثم أقبل قِبَلَ السادس وأنشأ يقول *

نظم

يا أخا الفطنة التّى * بــان فيهــا كمالُهُ
سار باللّيــل مُــدّةً * أىُّ شيء مثــا لُــهُ

ثم نحا بصره الى السابع وقال *

نظم

يا مَنْ تحلّى بفهــمٍ * أقامَ فى النــاس سُوقَــهْ
لك البيــانُ فبيّــنْ * ما مثلُ أخببْ فَروقَــهْ

ثم قصد قصدَ الثامن وأنشد *

نظم

يا من تبــوّءَ ذروةً * فى الفضل فاقتْ كلَّ ذُرْوَهْ
ما مِثْلُ قولك أعطِ ابرِيقًا يلُــوحُ بغيــرِ عُرْوَهْ

ثم ابتسم الى التاسع وقال *

نظم

يا مَنْ حوى حُسْنَ الدّرا * يَةِ والبيــانِ بغير شكّْ
ما مثلُ قولك للمُحا * جى ذى الذّكاء التّورُمَلْكى

نظم

ثم قبض بجمعه على ردنى وقال *

يا من سما بثقوب فطنته * فى المشكلات ونور كوكبه

ما اسم اذا ما نال صغير جحفلة * بينه تبينا تأ ينم به

قال الحارث بن همام فلما اطربنا بما سمعناه * وطالبنا بكشف معناه * قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان * ولا لنا بحل هذه العقد يدان * فان ابنت * مننت * وان كتمت * غممت * فظل يشاور نفسه * ويقلب قدحه * حتى هان بذل الماعون عليه * فاقبل حينئذ على الجماعة وقال سأعلمكم مالم تكونوا تعلمون * ولا ظننتم انكم تعلمون * فاوكوا عليه الاوعية * وروضوا به الاندية * ثم اخذ في تفسير صقل به الاذهان * واستفرغ معه الاردان * حتى اضحت الافهام انور من الشمس * والاكمام كأن لم تغن بالامس * ولما هم بالمفر * سئل عن المقر * فتنفس * كما تتنفس الثكول * ثم انشأ يقول *

نظم

كل شعب لى شعب * وبه ربعى رحب

غير انى بسروج * مغناها م القلب صب

هى ارضى البكر والجو الذى منه المهب

والى روضتها الغناء دون الروض اصبو

ما حلا لى بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الراوى فقلت لاصحابى * هذا ابوزيد السروجى * الذى اذنى ملحه الاحاجى *

أَخَذَتْ أَصِفُ لهم حُسْنَ تَوشِيَتِهِ وانقيادَ الكلامِ لِمَشِيئَتِهِ * ثم التفتُّ فاذا به قد طَمَرَ * وناءَ بما قَمَرَ * فعجبنا مما صَنَعَ * ولم نَدْرِ أَيْنَ سَكَعَ وصَقَعَ *

تفسيرُ الأحاجِي المُودَعةِ هذه المقامة

أمّا جُوعٌ أُمِدَّ بزادٍ فمِثْلُهُ طَوامِيرُ * وأمّا ظَهْرٌ أصابَتْهُ عَيْنٌ فمِثْلُهُ مَطاعِينُ * وأما صادَفَ جائِزةً فمثلُهُ الفاصِلةُ * وأما تناوَلَ ألفَ دِينارٍ فمثلُهُ هادِيَهْ * وأمّا أهْمَلَ حِليةً فمثلُهُ الغاشِيهْ * وأمّا اِكْفُفْ اكْفُفْ فمِثْلُهُ مَهْمَهْ * وأما الشقيقُ أفْلَتَ فمِثْلُهُ الأخْطارُ * وأما ما اختارَ فِضّةً فمثلُهُ أبارِقُهْ لان الرِقَةَ من أسماءِ الفِضّةِ وقد نَطَقَ بها النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال في الرِقَةِ رُبْعُ العُشْرِ * وأما دُسْ جماعةً فمثلُهُ طافِيَهْ * وأمّا خالِيَ اسْكُتْ فمثلُهُ خالِصَهْ لانك اذا نادَيْتَ مُضافًا الى نَفْسِكَ جازَ لك حذفُ الياءِ واثباتُها ساكنةً ومتحركةً وقد حَذَفَ هٰهُنا حرفَ النّداءِ كما حَذَفَهُ في اصلِ الأُحْجِيّةِ وصَهْ بمعنى اُسْكُتْ * واما خُذْ تلك فمعناه هاتِيكَ * وأمّا حِمارُ وَحْشٍ زِينًا فمثلُهُ فرازِينُ لأنّ الفَرا حِمارُ الوَحْشِ ومنه الخبرُ كلُّ الصَيْدِ في جَوْفِ الفَرا * وأمّا قولُهُ اِنْفِقْ تَقَمَّعْ فمثلُهُ مُنْتَقِمٌ لانّ الامَرَ مانٍ يَمُونُ مَنْ وُمُضارِعٌ وَقِمْتَ تَقِمُ * وأما استَنْشِ رِيحَ مُدامةٍ فمثلُهُ رَحْراحٌ لان الأمْرَ من استدعاءِ الرائحةِ رَحْ * وأما اغْطِ هَلْكَى فمثلُهُ صُنْبُورٌ لانّ البُورَهُم الهَلْكَى وفي القرآن كنتم قومًا بُورًا * وأما سارَ بالليل مُدّةً فمثلُهُ سَراحِينُ * وأما أَحْبِبْ فَرْوَةً فمثلُهُ عِقْلاعٌ لان الأمْرَ من وَمِقَ يَمِقُ مِقْ واللّاعُ الجَبانُ يقالُ فلانٌ هاعٌ لاعٌ اذا كان جَبانًا جَزُوعًا * واما اعْطِ

اُبريقا يلوحُ بغير عُروةٍ فمثله اُسكوب لانّ الاوس العطاء والامر منه اُس والكُوبُ الابريق بغير عُروةٍ * واما الثّور مِلكى فمثله اللآلي لان اللأى على وزن القنا هو ثور الوحش * واما صَغير جَحفلةٍ فمثله مكاشفه لان المكا الصغير قال الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت الّا مُكاءً وتصديةً والاصل فى المكا المدّ ولكنّه قصره فى هذه الاُحجيّة كما حذف همزةَ الفرا فى اُحجيّته وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائزٌ *

المقامة السابعة والثلثون الصعدية

حكى الحارث بن همام قال اَصعدتُ الى صَعدةَ * وانا ذو شطاطٍ يحكى الصَّعدةَ * واشتدادٍ يبدُرُ بنات صَعدةَ * فلمّا رأيتُ نضرتها * ورعيتُ خُضرتهـا * سألتُ نحارير الرُّواة * عمّن تحويه من السَّراة * ومعادنِ الخيـرات * لا تّخذه جذوةً فى الظُّلمات * ونَجدةً فى الظُّلامات * فنُعِتَ لى قاضٍ بها رحيبُ البـاع * خَصيبُ الرِّباع * تميمىّ النَّسب والطِّباع * فلم أزل اتقرّبُ اليه بالالمام * واتنفّقُ عليه بالاجمام * حتى صرتُ صَدىَ صَوته * وسَلمانَ بيته * وكنتُ مع اشتيارِ شَهده * وانتشاقِ رَنده * اَشهدُ مَشاجرَ الخُصوم * واَسفُرُ بين المعصوم منهم والموصوم * فبينما القاضى جالسٌ للاسجال * فى يومِ المَحفِل والاحتفال * اِذ دخلَ شيخٌ بالى الرِّياش * بادى الارتعاش * فتبصّر الحَفلَ تبصُّرَ نقّادٍ * ثم زعم انّ له خَصما غيـرَ مُنقادٍ * فلم يكن الّا كضوء شرارةٍ * اَو وحىِ اشارةٍ * حتّى اُحضرَ غلامٌ * كأنّه ضِرغامٌ * فقال الشيخُ ايّدَ اللهُ القاضى * وعصمه من التغاضى *

إِنَّ ابني هذا كالقلم الرديّ * والسيف الصديّ * يجهل أوصاف الإنصاف * ويرتضع أخلاف الخلاف * إن أقدمت أحجم * وإذا أعربت أعجم * وإن أذكيت أخمد * ومتى شويت رمّد * مع أني كفلته مذ دبّ * إلى أن شبّ * وكنت له ألطف من ربي وربّ * فأكبر القاضي ما شكا إليه * وأطرق به من حواليه * ثم قال أشهد أنّ العقوق أحد الثكلين * ولربّ عقوق أقر للعين * فقال الغلام * وقد أمضه هذا الكلام * والذي نصب القضاة للعدل * وملكهم أعنة الفصل والفصل * إنه ما دعا قط إلا أمنت * ولا ادّعى إلا آمنت * ولا لبّى إلا وأحرمت * ولا أورى إلا وأضرمت * بيد أنه كمن يبغي بيض الأنوق * ويطلب الطيران من النوق * فقال له القاضي وبم أعنتك * وامتحن طاعتك * قال إنه مذ صفر من المال * ومني بالإمحال * يسومني أن أتلمظ بالسؤال * وأستمطر سحب النوال * ليفيض شربه الذي غاض * وينجبر من حاله ما انهاض * وقد كان حين أخذني بالدرس * وعلمني أدب النفس * أشرب قلبي أن الحرص متعبة * والطمع متربة * والشره متخمة * والمسئلة ملأمة * ثم أنشدني من فلق فيه * ونحت قوافيه *

نظم

ارض بأدنى العيش واشكر عليه * شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل * يحط قدر المتراقي إليه
وحام عن عرضك واستبقه * كما يحامي الليث عن لبدتيه

وَاصْبِرْ عَلَى مَا نَابَ مِنْ فَاقَةٍ * صَبْرَ اُولِي الْعَزْمِ وَاَغْمِضْ عَلَيْهِ
وَلَا تُرِقْ مَاءَ الْمُحَيَّا وَلَوْ * خَوَّلَكَ الْمَسْئُولُ مَا فِي يَدَيْهِ
فَالْحُرُّ مَنْ اِنْ قَذِيَتْ عَيْنُهُ * اَخْفَى قَذَى جَفْنَيْهِ عَنْ نَاظِرَيْهِ
وَمَنْ اِذَا اَخْلَقَ دِيبَاجُهُ * لَمْ يَرَ اَنْ يُخْلِقَ دِيبَاجَتَيْهِ

قَالَ فَعَبَسَ الشَّيْخُ وَاكْفَهَرَّ * وَانْدَرَأَ عَلَى ابْنِهِ وَهَرَّ * وَقَالَ لَهُ صَهْ يَا عُقَقُ * يَا مَنْ هُوَ الشَّجَى وَالشَّرَقُ * وَيْلَكَ اَتُعَلِّمُ اُمَّكَ الْبِضَاعَ * وَظِئْرَكَ الْاِرْضَاعَ * لَقَدْ تَحَكَّكَتِ الْعَقْرَبُ بِالْاَفْعَى * وَاسْتَنَّتِ الْفِصَالُ حَتَّى الْقَرْعَى * ثُمَّ كَانَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْ فِيهِ * وَحَدَتْهُ الْمِقَةُ عَلَى تَلَافِيهِ * فَرَنَا اِلَيْهِ بِعَيْنِ عَاطِفٍ * وَخَفَضَ لَهُ جَنَاحَ مُلَاطِفٍ * وَقَالَ وَيْكَ يَا بُنَيَّ اِنَّ مَنْ اُمِرَ بِالْقَنَاعَةِ * وَزُجِرَ عَنِ الضَّرَاعَةِ * هُمْ اَرْبَابُ الْبِضَاعَةِ * وَاُولُو الْمَكْسَبَةِ بِالصِّنَاعَةِ * فَاَمَّا ذَوُو الضَّرُورَاتِ * فَقَدِ اسْتُثْنِيَ بِهِمْ فِي الْمَحْظُورَاتِ * وَهَبْكَ جَهِلْتَ هٰذَا التَّاوِيلَ * وَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا قِيلَ * اَلَسْتَ الَّذِي عَارَضَ اَبَاهُ * اِذْ قَالَ وَمَا حَابَاهُ *

نظم

لَا تَقْعُدَنَّ عَلَى ضُرٍّ وَمَسْغَبَةٍ * لِكَيْ يُقَالَ عَزِيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرُ
وَانْظُرْ بِعَيْنَيْكَ هَلْ اَرْضٌ مُعَطَّلَةٌ * مِنَ النَّبَاتِ كَاَرْضٍ حَفَّهَا الشَّجَرُ
فَعَدِّ عَمَّا يُشِيرُ الْاَغْبِيَاءُ بِهِ * فَاَيُّ فَضْلٍ لِعُودٍ مَا لَهُ ثَمَرُ
وَارْحَلْ رِكَابَكَ عَنْ رَبْعٍ ظَمِئْتَ بِهِ * اِلَى الْجَنَابِ الَّذِي يَهْمِي بِهِ الْمَطَرُ

وَاسْتَنْزِلِ الرِّيَّ مِن دَرِّ السَّحاب فَإِن * بَلَّتْ يداك به فليهنك الظَّفَرُ

وَإِن رُدِدتَ فما في الرَّدِّ مَنْقَصَةٌ * عليك قد رُدَّ مُوسَى قبلُ والخَضِرُ

فلما رأى القاضي تنافيَ قولِ الفتى وفعلِه * وتحليَه بما ليس من أهلِه * نظَـرَ اليه بعين غَضْبى * وقال أتميميًّا مرةً وقيسيًّا أخرى * أُفٍّ لمن ينقضُ ما يقولُ * ويتلوَّن كما يتلوَّنُ الغُولُ * فقال الغلامُ والذي جعلك مفتاحًا للحقِّ * وفتَّاحًا بين الخلْقِ * لقد أُنسيتُ مذ أَسِيتُ * وصَدِيَ ذهني مُذْ صَدِيتُ * على أنه أينَ البابُ الفتُحُ * والعطاءُ السُّرح * وهل بقِيَ من يتبرع باللُّها * وإن استُطعِمَ يقول ها * فقال له القاضي مَهْ فمع الخواطي سَهْمٌ صائبٌ * وما كلُّ برقٍ خالبٌ * فميِّزِ البُروقَ اذا شِمْتَ * ولا تشهدْ إلّا بما علِمْتَ * فلما تبيَّنَ للشيخ أنّ القاضيَ قد غضِبَ للكرام * وأعظمَ تبخيلَ جميعِ الأنام * عَلِمَ أنه سينْصُرُ كلمتَه * ويُظْهِرُ أُكرومتَه * فما كَذَّب أنْ نصبَ شبكتَه * وشوى في الحريق سمكتَه * وأنشأ يقــولُ *

نظم

يا أيُّها القاضي الذي عِلْمُه * وحِلْمُه أرْسَخُ من رَضْوى

قد ادّعى هذا على جهْــلِه * أنْ ليس في الدُّنيا أخو جَدْوى

وما دَرى أنك من مَعْشَرٍ * عطاءُهم كالمنِّ والسَّلْــوى

فجُــدْ بما يَثْنيه مُسْتَخزِيًا * مما افترى من كَذِبِ الدَّعْوى

وانْثَنِي جَذْلانَ أُثْني بما * أوليتَ من جَدْوى ومن عَدْوى

قال فهشّ القاضي لقوله * واجزل له من طوله * ثم لفت وجهه الى الغلام * وقد نصل له اسهم الملام * وقال له ارأيت بطل زعمك * وخطأ وهمك * فلا تعجل بعدها بذم * ولا تنحت عودا قبل عجم * واياك وتأبيك * عن مطاوعة ابيك * فانك ان عدت تعقه * حاق بك مني ما تستحقه * فسقط الفتى في يده * ولاذ بحقو والده * ثم نهض يحفد * وتبعه الشيخ ينشد *

نظم

مَنْ ضامه اوضاره دهره * فليقصد القاضي في صعده *
سماحه ازرى بمن قبله * وعدله اتعب من بعده *

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره * الى ان احرورف لمسيره * فناجيت النفس باتباعه * ولوالى رباعه * لعلّي اظهر على اسراره * واعرف شجرة ناره * فنبذت العلق * وانطلقت حين انطلق * ولم يزل يخطو واعتقب * ويبعد واقترب * الى ان تراأى الشخصان * وحق التعارف على الخلصان * فابدى حينئذ الاهتشاش * ورفع الارتعاش * وقال من كاذب اخاه فلا عاش * فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة * ولا حوول حالة * فبادرت اليه لاصافحه * واستعرف سانحه وبارحه * فقال دونك ابن اخيك البرّ * وتركني ومرّ * فلم يعد الفتى ان افترّ * ثم فرّ كما فرّ * فعدت وقد استبنت عينهما * ولكن اين هما *

المقامة الثامنة والثلثون المروية

حكى الحارث بن همّام * قال حُبّب اليّ مذ سعت قدمي * ونفث قلمي * ان اتّخذ الادب شرعة * والاقتباس منه نُجعة * فكنت أُنقّب من اخباره * وخزنة اسراره * فاذا الفيت منهم بغية الملتمس * وجذوة المقتبس * شددت يدي بغرزه * واستنزلت منه زكوة كنزه * على انّي لم الق كالسّروجيّ في غزارة السّحب * ووضع الهناء مواضع النّقب * الا انّه كان اسير من المثل * واسرع من القمر في النّقل * وكنت لهوى ملاقاته * واستحسان مقاماته * ارغب في الاغتراب * واستعذب السّفر الّذي هو قطعة من العذاب * فلمّا تطوّحت الى مرو * ولا غرو * بشّرني بملقاه زجر الطّير * والفال الذي هو بريد الخير * فلم ازل انشده في المحافل * وعند تلقّي القوافل * فلا اجد عنه مخبرا * ولا ارى له اثرا ولا عثيرا * حتّى غلب الياس الطّمع * وانزوى التاميل وانقمع * فانّي لذات يوم بحضرة والي مرو * وكان ممّن جمع الفضل والسّرو * اذ طلع ابو زيد في خلق مملاق * وخُلق ملّاق * فحيّى الوالي تحيّة المحتاج * اذا لقي ربّ التاج * ثم قال له اعلم وقيت الذمّ * وكفيت الهمّ * انّ من عذقت به الاعمال * أُعلقت به الآمال * ومن رُفعت له الدّرجات * رُفعت اليه الحاجات * وانّ السعيد من اذا قدر * ووآتاه القدر * ادّى زكوة النّعم * كما يؤدّي زكوة النّعم * والتزم لاهل الحُرم * كما يلتزم للاهل والحرم * وقد اصبحت بحمد الله عميد مصرك * وعماد عصرك * تُزجى الرّكائب الى حرمك * وتُرجى

الرَّغائِبُ من كَرمِکَ * وتُنزَلُ المَطالِبُ بساحَتِک * وتُستَنزَلُ الراحةُ من راحَتِک *
وکان فَضلُ اللّهِ علیک عظیماً * واِحسانُهُ لدَیْك عمیماً * ثم اِنّی شیخٌ تَرِبَ بعدَ الاِترابْ *
وعَدِمَ الاِعشابَ حینَ شابَ * قصدتُك من مَحَلَّةٍ نازحةٍ * وحالةٍ رازحةٍ * آمُلُ مِن
بَحرِک دُفعةً * ومِن جاهِک رِفعةً * والتامیلُ اَفضلُ وَسائلِ السائلِ * ونائلُ النائلِ *
فاَوجِبْ لی ما یَجِبُ علیک * واَحسِنْ کما اَحسَنَ اللّهُ الیک * واِیّاک اَن تَلوِیَ
عِذارَکَ * عَمَّن ازدارک * واَمَّ دارَكَ * او تَقبِضَ راحَک * عمّن امتاحَک * وامتارَ
سماحَک * فواللّهِ ما مَجَدَ من جَمَدَ * ولا رشدَ من حَشَدَ * بل اللبیبُ مَنْ اذا وَجَدَ جادَ *
واِنْ بَدَأَ بعائدةٍ عادَ * والکریمُ مَن اذا استُوهِبَ الذَّهَبَ * لم یَهَبْ اَن یَهَبَ * ثم اَمسَک یرقُبُ
اُکُلَ غرسِهِ * ویرصُدُ مَطیبةَ نَفسِهِ * واَحَبَّ الوالی اَن یَعلَمَ هل نُطفَتُهُ ثَمَدٌ * ام لِقَریحَتِهِ
مَدَدٌ * فاَطرَقَ یُرَوِّی فی استیراءِ زَندِهِ * واستشفافِ فِرِندِهِ * والتَبَسَ علی ابی زیدٍ سِرُّ
صَمتِهِ * وسبَبُ اِرجاءِ صِلَتِهِ * فتوَغَّرَ غَضَباً * واَنشَدَ مُقتَضِباً *

نظم

لاتَحقِرَنَّ اَبیتَ اللَّعنَ ذااَدَبٍ * لاَنْ بَدا خَلَقَ السِّربالِ مَسبُروتا
ولا تُضِعْ لاَخِی التامیلِ حُرمتَهُ * اَکانَ ذاالسِّنِ ام کان سِکِّیتـا
وانفَحْ بعُرفِک مَن وافاک مُختَبِطاً * وانعَشْ بغَوثِک مَن الفیتَ مَنکُوتا
فخیرُ مالِ الفتی مالٌ اَشادَ لَهُ * ذِکراً تَناقَلَهُ الرُّکبانُ اَو صیتا
وما علی المُشتَری حَمْداً بموهِبَةٍ * غَبنٌ ولو کانَ ما اَعطاهُ یاقُوتا

لَوْلَا المُرُوَّةُ ضاقَ العُذْرُ عن فَطِنٍ * اِذا اشْرَأَبَّ الى ماجاوَزَ القُوتا

لٰكِنَّهُ لِابْتِناءِ المَجْدِ جَدَّ ومَن * حُبُّ السَّماحِ ثَنى نَحْوَ الغِنى لِيْتا

وما تَنَشَّقَ نَشْرَ الشُّكْرِ ذو كَرَمٍ * اِلّا وازرى بِنَشْرِ المِسْكِ مَفْتُوتا

والحَمْدُ والبُخْلُ لم يُفْضِ اجتماعُهما * حتّى لقد خِيْلَ ذا ضَبًّا وذا حُوتا

والسَّمْحُ فى النّاسِ محبوبٌ خَلائِقُهُ * والجامِدُ الكَفِّ ما ينفكُّ مَمْقُوتا

وللشحيح على اَمْوالِهِ عِلَلٌ * يُوسِعْنَهُ اَبَدًا ذَمًّا وتبكيتا

فجُدْ بما جَمَعَتْ كَفّاكَ من نَشَبٍ * حتّى يُرى مُجْتَدِي جَدْواكَ مَبْهُوتا

وخُذْ نصيبكَ منه قبلَ رائِعَةٍ * من الزّمانِ تُرِيكَ العُودَ مَنْحُوتا

فالدَّهْرُ اَنْكَدُ من ان تستَمِرَّ به * حالٌ تَكَرَّهْتَ تلكَ الحالَ ام شِئْتا

فقال له الوالى تاللهِ لَقَدْ اَحْسنتَ * فاَىُّ وَلَدِ الرَّجُلِ اَنْتَ * فنظَرَ اليه عن عُرْضٍ * ثم اَنْشَدَ وهو مُغْضٍ *

نظم

لا تَسْأَلِ المَرْءَ مَنْ اَبُوهُ وَرُزْ * خِلالَهُ ثم صِلْهُ اوفاَصْرِمِ

فما يَشِينُ السُّلافَ حين حَلا * مَذاقُها كَوْنُها ابْنَةَ الحِصْرِمِ

قال فقرّبه الوالِى لبيانه الفاتِنِ * حتّى اَحَلَّهُ مَقْعَدَ الخاتِنِ * ثم فَرَضَ له من سُيُوبِ نَيْلِه * ما آذَنَ بطُوْلِ ذَيْلِه * وقِصَرِ لَيْلِه * فنهض عنه بُرْدَيْنِ مَلْآنَ * وقَلْبٍ جَذْلانَ * وتبعتُه حاذِيًا حَذْوَهُ * وقافيًا خَطْوَهُ * حتّى اذ اخرج مِنْ بابِهِ * وفَصَلَ عن غابِهِ * قلتُ

له هُنِّئْتَ بما اُوتِيتَ * ومُلِّيتَ بما اُولِيتَ * فاسفروجهه وتلألأ * ووالى شُكرَ اللهِ تعالى *

ثُم خطر اختيالاً * وانشد ارتجالا * نظم

من يكُنْ نالَ بالحماقةِ حظّا * اوسما قدرهُ لطيبِ الأُصولِ

فبفَضْلِي انْتَفعتُ لا بفُضولي * وبقَولِي ارتفعْتُ لا بقُبُولِي

ثُم قال تَعسًا لمَنْ جَدَبَ الادَبَ * وطُوبَى لمَنْ جَدَّ فيه ودأَبَ * ثُم وَدَّعَنِي وذَهَبَ * وَاَوْدَعَني اللَّهَبَ *

المقامة التاسعة والثلثون العُمانية

حدث الحارثُ بن هَمَّام * قال لَهِجْتُ مذ اخضَرَّ ازارِي * وبقَلَ عِذارِي * بأَنْ اَجُوبَ البرارِي * على ظُهورِ المَهَارِي * اُنْجِدُ طَوْرًا * واَسْلُكُ تارةً غَوْرًا * حتّى فَلَيْتُ المَعالِمَ والمَجاهِلَ * وبَلَوْتُ المَنازِلَ والمَناهِلَ * واَدْمَيْتُ السَّنابِكَ والمَناسِمَ * وانْضَيْتُ السَّوابِقَ والرَّواسِمَ * فلمّا مَلِلْتُ الاِصْحارَ * وقد سَنَحَ لي اَرَبٌ بصُحارَ * مِلْتُ الى اختِبارِ التيّارِ * واختِيارِ الفُلكِ السَّيّارِ * فنقلتُ اليه اَساوِدِي * واستصحَبْتُ زادِي ومَزاوِدِي * ثم رَكِبْتُ فيه رُكوبَ حاذِرٍ ناذِرٍ * عاذِلٍ لنَفْسهِ وعاذِرٍ * فلمّا شَرَعْنا في القُلْعةِ * ورفَعْنا الشُّرُعَ للشِّرْعةِ * سَمِعْنا من شاطِىءِ المَرْسى * حينَ دَجَى اللَّيْلُ واَغسى * هاتِفًا يقُول يا اهلَ ذا الفُلْكِ القَوِيمِ * المُزَجَّى في البَحرِ العَظِيمِ * بتقديرِ العزيزِ العليمِ * هَلْ اَدُلُّكُم على تِجارةٍ تُنْجِيكم من عَذابٍ اليمٍ * فقُلْنا له اَقبِسْنا نارَكَ اَيُّها الدَّليلُ * واَرْشِدْنا كما يُرشِدُ الخليلَ الخَلِيلُ * فقال اَتَسْتَصْحِبُونَ

ابنَ سبيلٍ * زادُه في زَبيلٍ * وظِلّه غيرُ ثقيلٍ * وما يَبْغِي سوى مَقيلٍ * فاَجْمَعْنا على الجنوحِ اليه * وأنْ لا نَبْخَلَ بالماعُونِ عليه * فلمّا استوى على الفُلْكِ * قال اعوذُ بمالِكِ المُلْكِ * من مَسالِكِ الهُلْكِ * ثم قال اِنّا رُوِينا في الاَخبارِ * المنقولةِ عن الاَحبارِ * اَنَّ اللهَ تعالى ما اَخَذَ على الجُهّالِ اَنْ يتعلّموا * حتّى اَخَذَ على العلماءِ اَنْ يُعلِّموا * واِنَّ مَعِي لَعُوذَةً * عن الاَنبياءِ * ماخوذةً * وعندي لكُمْ نَصيحةٌ * براهِينُها صَحِيحةٌ * وما وَسِعَنِي الكِتمانُ * ولا مِنْ خِيمِي الحِرْمانُ * فتدبَّروا القَوْلَ وتَفَهَّمُوا * واعمَلُوا بما تعلَّمون وعَلِّمُوا * ثُمّ صاحَ صَيْحةَ المُباهي * وقال اَتَدْرُونَ ماهِيَ * هِيَ واللهِ حِرْزُ السَّفْرِ * عند مَسِيرِهم في البَحْرِ * والجُنّةُ من الغَمِّ * اذا جاشَ مَوْجُ اليَمِّ * وبها استعصَمَ نُوحٌ يومَ الطُّوفانِ * ونَجا ومَنْ مَعَه من الحَيَوانِ * على ما صَدَعَتْ به آيُ القُرْآنِ * ثم قرأ بَعْدَ اَساطِيرَ تَلاها * وزَخارِفَ جَلاها * وقال اركبوا فيها * بِسْمِ اللهِ مَجْرِيها ومُرْسيها * ثُمّ تنفّسَ تَنَفُّسَ المُغْرَمِينَ * اَوْعِبادَ اللهِ المُكْرَمِينَ * وقال اَمّا انا فقد قُمْتُ فيكم مَقامَ المُبَلِّغِينَ * ونصَحْتُ لكُمْ نُصْحَ المُبالِغِينَ * وسَلَكْتُ بكم مَحَجّةَ الرّاشِدِينَ * فاَشْهَدِ اللّهُمّ وانتَ خَيْرُ الشّاهِدِينَ * قال الحارِثُ بنُ هَمّامٍ فاَعْجَبَنا بَيانُه البادي الطَّلاوةِ * وعَجَّتْ له اَصْواتُنا بالتّلاوةِ * وآنَسَ قَلْبِي من جَرْسِه * مَعْرِفةَ عَيْنِ شَمْسِه * فقلتُ له بالّذي سَخَّرَ البَحْرَ اللُّجِّيَّ * اَلَسْتَ السَّرُوجِيَّ * فقال لِي بَلى * وهل يَخْفَى ابْنُ جَلا * فاَحْمَدْتُ حينئذٍ السَّفَرَ * وسَفَرْتُ عن نَفْسِي اِذْ سَفَرَ * ولم نَزَلْ نَسِيرُ والبَحْرُ

زَهْوٌ * والجَوُّ صَحْوٌ * والعَيْشُ صَفْوٌ * والزَّمانُ لَهْوٌ * وأنا أجِدُ لِلِقائِهِ * وَجْدَ المُثْرِي بِعِقْيانِهِ * وأفْرَحُ بِمُناجاتِهِ * فَرَحَ الغَرِيقِ بِمَنْجاتِهِ * الى أنْ عَصَفَتِ الجَنُوبُ * وعَسَفَتِ الجُنُوبُ * ونَسِيَ السَّفْرُ ما كانَ * وجاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ * فمِلْنا لِهذا الحَدَثِ الثّائِرِ * الى إحْدى الجَزائِرِ * لِنُرِيحَ ونَسْتَرِيحَ * رَيْثَما تُواتِي الرِّيحُ * وتَمادَى اعْتِياصُ المَسِيرِ * حَتّى نَفِدَ الزّادُ غيرَ اليَسِيرِ * فقالَ لي ابوزَيْدٍ انَّهُ لن يُحْرِزَ جَنَى العُودِ بالقُعُودِ * فَهَلْ لكَ في اسْتِثارَةِ السُّعُودِ بالصُّعُودِ * فقُلْتُ لهُ انّي لكَ لَأَتْبَعُ من ظِلِّكَ * وأطْوَعُ من نَعْلِكَ * فَنَهَدْنا الى الجَزِيرَةِ * على ضَعْفٍ من المَرِيرَةِ * لِنَرْكُضَ في امْتِراءِ المِيرَةِ * وكِلانا لا يَمْلِكُ فَتِيلًا * ولا يَهْتَدِي فيها سَبِيلًا * فأقْبَلْنا نَجُوسُ خِلالَها * ونَتَفَيَّأُ ظِلالَها * حتّى أفْضَيْنا الى قَصْرٍ مَشِيدٍ * لهُ بابٌ من حَدِيدٍ * ودُونَهُ زُمْرَةٌ من عَبِيدٍ * فنَاسَمْناهُمْ لِنَتَّخِذَهُمْ سُلَّمًا الى الارْتِقاءِ * وأرْشِيَةً للاسْتِقاءِ * فألْفَيْنا كُلًّا منهم في مَسْكٍ كَسِيرٍ * وكَرْبٍ أسِيرٍ * فقُلْنا أيَّتُها الغِلْمَةُ * لِمَ هذه الغُمَّةُ * فلم يُجِيبُوا النِّداءَ * ولا فاهُوا بِبَيْضاءَ ولا سَوْداءَ * فلمّا رأيْنا نارَهُمْ نارَ الحُباحِبِ * وخَبَرَهُمْ كَسَرابِ السَّباسِبِ * قُلْنا شاهَتِ الوُجُوهُ * وقُبِّحَ اللُّكَعُ ومَنْ يَرْجُوهُ * فابْتَدَرَ خادِمٌ قد عَلَتْهُ كَبْرَةٌ * وعَرَتْهُ عَبْرَةٌ * وقالَ يا قَوْمِ لا تُوسِعُونا سَبًّا * ولا تُوجِعُونا عَتْبًا * فإنّا لَفِي حُزْنٍ شامِلٍ * وشُغْلٍ عن الحَدِيثِ شاغِلٍ * فقالَ لهُ ابوزيدٍ نَفِّسْ خُناقَ البَثِّ * وانْفُثْ إنْ قَدَرْتَ على النَّفْثِ * فإنَّكَ سَتَجِدُ مِنّي عَرّافًا كافِيًا * وَوَصّافًا شافِيًا * فقالَ اعْلَمْ أنَّ رَبَّ هذا القَصْرِ هو قُطْبُ هذهِ البُقْعَةِ * وشاهُ هذهِ الرُّقْعَةِ *

الّا أنّه لم يَخلُ من كَمَدٍ * لخُلُوّه من وَلَدٍ * ولم يَزَلْ يستكرِمُ المغارِس * ويتخيّرُ من المغارِسِ النَّفائس * الى أن بُشِّرَ بحَمْلِ عقيلةٍ * وآذنتْ رقلته بفسيلةٍ * فنذرتْ له النُّذور * وأُحصيت الايّامُ والشُّهور * ولمّا حانَ النِّتاجُ * وصِيغَ له الطَّوقُ والتاجُ * عَسُرَ مخاضُ الوضع * حتّى خِيفَ على الأصلِ والفرع * فما فينا مَن يَعرفُ قرارًا * ولا يطعمُ النَّومَ الّا غِرارًا * ثمّ اَجهَشَ بالبُكاء واَعوَلَ * وردَّدَ الاسترجاعَ وطوّلَ * فقال له ابو زيد اُسكُنْ يا هذا واستبشِرْ * وابْشِرْ بالفرجِ وبَشِّرْ * فعندي عزيمةُ الطَّلْقِ * التي انتشرَ سمعُها في الخَلْقِ * فقبادَرتِ الغِلمةُ الى مولاهم * متباشرين بانكشافِ بلواهم * فلم يكن الّا * كَلا ولا * حتّى بَرَزَ مَن هلمّ بنا اليه * فلمّا دخلنا عليه * ومثلنا بينَ يديه * قال لأبي زيدٍ ليَهنِكَ منالُكَ * اِن صَدَقَ مقالُكَ * ولم يَفِلْ فالُكَ * فاستحضرَ قلمًا مَبريًّا * وزَبَدًا بحريًّا * وزعفرانًا قد دِيفَ في ماءِ وَردٍ نظيفٍ * فما اِنْ رجعَ النَّفَسُ * حتّى اُحضِرَ ما التمسَ * فسجدَ ابو زيدٍ وعفّرَ * وسبّحَ واستغفرَ * ثمّ اَخذَ القلمَ واستحضرَ * وكتبَ على الزَّبَدِ بالمُزعفرِ *

نظم

اَيُّهذا الجنينُ اِنّي نصيحٌ * لكَ والنُّصحُ من شروطِ الدِّينِ

اَنتَ مُستَعصِمٌ بكِنٍّ كنينٍ * وقرارٍ من السُّكونِ مكينِ

ما ترى فيه ما يَروعُكَ من اِلفٍ * مُداجٍ ولا عدوٍّ مُبينِ

فمتى ما برزتَ منه تحوّلتَ * الى منزلِ الأذى والهُونِ

وترأى لكَ الشَّقاءُ الّذي تلقى * فتبكي له بدمعٍ هتونِ

فاستدِم عيشك الرّغيدَ وحاذِر * ان تبيعَ المحقُوقَ بالمظنُونِ

واحترِس من مُخادِعٍ لك يرْقيكَ ليُلقِيكَ في العَذابِ المهِينْ

ولعَمري لقد نصَحتُ ولكن * كَم نصيحٍ مُشبَّهٍ بظنِينِ

ثمَّ انه طمسَ المكتوبَ على غفلةٍ * وتفَلَ عليه مائة تفلةٍ * وشدَّ الزَّبدَ في خرقة حريرٍ * بعدَ ما ضمَّخها بعبيرٍ * وامرَ بتعليقِها على فخذِ الماخِض * وأن لا تعلَقَ بها يدُ حائِض * فلم يكُ الا كذواقِ شارِبٍ * او فواقِ حالِبٍ * حتّى اندلَقَ شخصُ الولَد * لخصيصَى الزّبَد * بقُدرةِ الواحدِ الصّمد * فامتلأَ القصرُ حبوراً * واستطيرَ عميدُهُ وعبيدُهُ سروراً * واحاطَتِ الجماعةُ بابي زيدٍ تُثني عليه * وتقبّلُ يدَيه * وتتبرَّكُ بمساسِ طِمْرَيهِ * حتّى خيّلَ اليَّ انه القرنيُّ أُويسٌ * او الاسديُّ دُبيسٌ * ثمّ انثال عليه من جوائزِ المجازاة * وصِلاتِ الصّلات * ما قيّض له الغنى * وبيّض وجهَ المنى * ولم يخلُ يتقابَهُ الدّخل * مذ نتجَ السّخل * الى ان أعطى البحرُ الامانَ * وتسنّى الاتمامُ الى عُمانَ * فاكتفى ابو زيد بالنّحلة * وتأهّبَ للرّحلة * فلم يسمحِ الوالي بحركته * بعد تجربة بركته * بل اوعز بضمّه الى خزانته * وان تُطلقَ يدُهُ في خزانته * قال الحارثُ بن همام فلمّا رأيتُهُ قدمال * الى حيثُ يكتسبُ المال * انحيتُ عليه بالتّعنيف * وهجّنتُ له مفارقةَ المألَف والاليف * فقال اليك عنّي * واسمع منّي *

نظم

لا تصبُوَنّ الى وطَنْ * فيه تُضامُ وتُمتهَنْ

وارْحَلْ عن الدارِ التي * تُعلي الوِهادَ على القُنَنْ

واهْرُبْ الى كِنٍّ يَقِي * ولَو انّه حِضْنا حَضَنْ

واربأْ بِنَفْسِكَ أنْ تُقيمَ بحيثُ يغشاكَ الدَرَنْ

وجُبِ البِلادَ فأيّها * أرضاكَ فاخْتَرْهُ وَطَنْ

ودَعِ التذكُّرَ للمعاهِدِ والحَنِينَ الى السَّكَنْ

واعلَمْ بانّ الحُرَّ في * أوطانِهِ يَلْقَى الغَبَنْ

كالدُّرِّ في الاصدافِ يُسْتَزْرَى ويُبْخَسُ في الثَّمَنْ

ثُم قال حَسْبُكَ ما اسْتَمَعْتَ * وحَبّذا أنْتَ لو اتّبَعْتَ * فاوضَحْتُ له مَعاذِيرِي * وقلتُ له كُنْ عَذِيري * فعَذَرَوا عتَذَر * وزَوّدَ حتّى لم يَذَرْ * ثم شيّعني تَشْييعَ الاقارِب * الى أنْ رَكِبْتُ في القارِب * فوَدَّعْتُه وانا اَشْكو الفِراقَ وأذُمّه * واَوَدُّ لو كان هَلَكَ الجَنِينُ واُمُّه *

المقامة الاربعون التبريزية

اَخْبَرَ الحارثُ بنُ همّام * قال اَزْمَعْتُ التَّبْرِيزَ من تَبْرِيزَ * حين نَبَتْ بالذليل والعزيز * وخَلَتْ من المُجِيرِ والمُجِيز * فبَيْنا أنا في إعْدادِ الأُهْبَة * وارتيادِ الصُّحْبَة * لَقِيتُ ابا زيد السَّروجيَّ مُلْتَفًّا بِكساءٍ * ومُحْتَفًّا بنِساءٍ * فسألْتُه عن خَطْبِه * والى اَيْنَ يَسْرُبُ مع سِرْبِه * فأَوْمأَ الى امْرَأةٍ منهُنّ باهِرَةِ السُّفُور * ظاهِرَةِ النُّفُور * وقال تَزَوَّجْتُ هذه

لتونسني في الغربة * وترحض عني قشف العزبة * فلقيت منها عرق القربة * تمطلني بحقي * وتكلفني فوق طوقي * فانا منها نضو وجى * وحلف شجو وشجي * وها نحن قد تساعينا الى الحاكم * ليضرب على يد الظالم * فان انتظم بيننا الوفاق * والا فالطلاق والانطلاق * قال فملت الى ان اخبر لمن الغلب * وكيف يكون المنقلب * فجعلت شغلي دبر اذني * وصحبتهما وان كنت لا اغني * فلما حضرا القاضي وكان ممن يرى فضل الامساك * ويضن بنفاثة السواك * جثا ابو زيد بين يديه * وقال ايد الله القاضي واحسن اليه * ان مطيتي هذه ابية القياد * كثيرة الشراد * مع اني اطوع لها من بنانها * واحنى عليها من جنانها * فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب الرب * ويوجب الضرب * فقالت انه ممن يدور خلف الدار * ويأخذ الجار بالجار * وليس لي على ذلك اصطبار * فقال له القاضي تبا لك أتبذر في السباخ * وتستفرخ حيث لا افراخ * اغرب عني لا نعم عوفك * ولا امن خوفك * فقال ابو زيد انها ومرسل الرياح * لاكذب من سجاح * فقالت بل هو ومن طوق الحمامة * وجنح النعامة * اكذب من ابي ثمامة * حين مخرق باليمامة * فزفر ابو زيد زفير الشواظ * واستشاط استشاطة المغتاظ * وقال لها ويلك يا دفار يا فجار * يا غصة البعل والجار * اتعمدين في الخلوة لتعذيبي * وتبدين في الحفلة تكذيبي * وقد علمت اني حين بنيت عليك * ورنوت اليك * الفيتك اقبح من قردة * وايبس من قدة * واخشن من ليفة * وانتن من جيفة * واثقل من

هَيْضَةٍ * واقذَرَ من حَيضَةٍ * وَأبرَزَ من قِشْرَةٍ * وابرَدَ من قِرَّةٍ * وَأحْمَق من رِجلةٍ * وَأوسَع مِن دِجْلَة * فسترت عوارك * ولم أبدِ عارك * عَلَى انه لو حَبتك شيرين بجمالها * وزبيدة بمالها * وبلقيس بعرشها * وبوران بفرشها * والزباء بملكها * ورابعة بنسكها * وخندف بفخرها * والخنساء بشعرها في صخرها * لأنفت أن تكوني قعيدة رحلي * وطروقة فحلي * قال فتذمرت المرأة وتنمرت * وحسرت عن ساعدها وشمرت * وقالت له يا ألأم من مادر * وأشأم من قاشر * وأجبن من صافر * وأطيش من طامر * أترميني بشنارك * وتفري عرضي بشفارك * وانت تعلم انك أحقر من قلامة * وأعيب من بغلة ابي دلامة * وأفضح من حبقة في حلقة * وأحير من بقة في حقة * وهبك الحسن في لفظه ووعظه * والشعبي في علمه وحفظه * والخليل في عروضه ونحوه * وجريرا في غزله وهجوه * وقسا في فصاحته وخطابته * وعبد الحميد في بلاغته وكتابته * وأبا عمرو في قراءته وإعرابه * وابن قريب في روايته عن أعرابه * أتظنني أرضاك إماما لمحرابي * وحساما لقرابي * لا والله ولا بوابا لبابي * ولا عصا لجرابي * فقال لهما القاضي أراكما شنا وطبقة * وحدأة وبندقة * فاترك أيها الرجل اللدد * واسلك في سيرك الجدد * واما انت فكفي عن سبابه * وقري إذا أتى البيت من بابه * فقالت المرأة والله ما أسجن عنه لساني * الا إذا كساني * ولا أرفع له شراعي * دون إشباعي * فحلف ابو زيد بالمحرجات الثلث * انه لا يملك سوى أطمار الرثاث * فنظر القاضي في قصصهما

نَظَرَ الأَلمَعِيّ * وأَفكَرَ فِكرَةَ اللَّوذَعِيّ * ثُمّ أَقبَلَ عليهما بوجهٍ قد قَطَّبَهُ * ومِجَنٍّ قد قَلَبَهُ *
وقال أَلَم يكفِكُما التّساؤهُ في مَجالِسِ الحُكم * والإقدامُ على هذا الجُرم * حتّى تراقيتُما
من فُحشِ المُقاذَعَة * الى خُبثِ المُخادَعة * وَايمُ اللّٰهِ لقد أخطأتْ إستُكُما الحُفرة *
ولم يُصِب سَهمُكُما الثُّغرة * فانّ أميرَ المُؤمنين * اعزَّ اللّٰهُ ببقائِهِ الدِّين * نَصَبَني لأَقضي
بين الخُصماء * لا لأَقضي دَينَ الغُرَماء * وَحقِّ نِعمتِه الّتي احَلَّتني هذا المَحَلَّ * ومَلَّكَتني
العَقدَ والحَلَّ * لئن لم تُوضِحا الى جَلِيّةِ خَطبِكُما * وَخَبِيّةِ خِبِّكُما * لأُنَدِّدَنَّ بكُما في الأمصار *
ولأَجعلنّكُما عِبرةً لأُولي الأبصار * فأطرقَ أبو زيدٍ إطراقَ الشُّجاع * ثُمّ قال له سَماعِ سَماعِ *

نظم

أَنا السَّروجِيُّ وهذي عِرسِي * وليسَ كُفْوُ البَدرِ غيرَ الشَّمسِ
وما تَنافَى أُنسُها وأُنسِي * ولا تَناءَى دَيرُها عن قَسِّي
ولا عَدَتْ سُقْيايَ أَرضَ غَرسِي * لٰكِنَّنا مُنذُ لَيالٍ خَمسِ
نُصبِحُ في ثَوبِ الطَّوى ونُمسِي * لا نَعرِفُ المَضغَ ولا التَّحَسِّي
حتّى كأنّا لِخُفوتِ النَّفسِ * أَشباحُ مَوتى نُشِرُوا من رَمسِ
فحينَ عَزَّ الصَّبرُ والتَّأَسِّي * وشَفَّنا الضُّرُّ الأَليمُ المَسِّ
قُمنا لِسَعدِ الجَدِّ ولِلنَّحسِ * هذا المَقامَ لاجتلابِ فَلسِ
والفَقرُ يُلجِي الحُرَّ حينَ يُرسِي * الى التَّحَلِّي في لِباسِ اللَّبسِ

فهذه حالي وهذا ادرسي * فانظر الى يومي وسل عن امسي

وامر بجبري ان تشا او حبسي * ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثبت انسك * ولتطب نفسك * فقد حق لك ان تغفر خطيئتك * وتوفر عطيتك * فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت * واشارت الى الحاضرين وقالت *

نظم

يا اهل تبريز لكم حاكم * اوفى على الحكام تبريزا

ما فيه من عيب سوى انه * يوم الندى قسمته ضيزى

قصدته والشيخ نبغي جنى * عود له ما زال مهزوزا

فسرح الشيخ وقد نال من * جدواه تخصيصاً وتمييزا

وردني اخيب من شائم * برقاً خفا في شهر تموزا

كأنه لم يدر اني التي * لقنت ذا الشيخ الاراجيزا

وانني ان شئت غادرته * اضحوكة في اهل تبريزا

قال فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما * وانصلات لسانهما * علم انه قد مني منهما بالداء العياء * والداهية الدهياء * وانه متى منح احد الزوجين * وصرف الآخر صفر اليدين * كان كمن قضى الدين بالدين * او صلى المغرب ركعتين * فطلسم وطرسم * واخرنطم وبرطم * وهمهم وغمغم * ثم التفت يمنة وشامة * وتململ كآبة وندامة *

وَاخَذ يَذُمُّ القَضاءَ وَمَتاعِبَه * وَيعدِّدُ شَوائِبَه وَنَوائِبَه * وَيُفَنِّدُ طالِبَه وَخاطِبَه * ثُمَّ تَنَفَّسَ كَما يتنفَّسُ الكَئِيب * وَانتَحَبَ حَتّى كادَ يَعْضَدُهُ النَّحِيب * وَقالَ إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عَجِيب * أَأُرْشَقُ في مَوقِفٍ بِسَهْمَيْن * أَأُلْزَمُ في قَضِيَّةٍ بِغُرْمَيْن * أَأُطِيقُ ان أُرْضِيَ الخَصْمَيْن * وَمِنْ أَيْنَ * وَمِن أَيْنَ * ثُمَّ عَطَفَ الى حاجِبِه * المُنَفِّذِ لِمَآرِبِه * وَقالَ ما هٰذا يَوْمُ حُكْمٍ وَقَضاءٍ * وَفَصْلٍ وَإِمْضاءٍ * هٰذا يَوْمُ الاغتِمام * هٰذا يَوْمُ الاغتِرام * هٰذا يَوْمُ البُحْران * هٰذا يَوْمُ الخُسْران * هٰذا يَوْمٌ عَصِيب * هٰذا يَوْمٌ نُصابُ فِيه وَلا نُصِيب * فَأَرِحْنِي مِن هٰذَيْنِ المُهْذارَيْن * وَاقْطَعْ لِسانَهُما بِدِينارَيْن * ثُمَّ فَرِّقِ الأَصْحاب * وَأَغْلِقِ البابَ * وَأَشِعْ أَنَّه يَوْمٌ مَذْمُومٌ * وَأَنَّ القاضِيَ فِيه مَهْمُومٌ * لِئَلّا يَحْضُرَني خُصُومٌ * قال فَأَمَّنَ الحاجِبُ عَلى دُعائِه * وَتَباكى لِبُكائِه * ثُمَّ نَقَدَ أَبا زَيْد وَعِرْسَه المِثْقالَيْن * وَقالَ أَشْهَدُ أَنَّكُما لَأَحْيَلُ الثَّقَلَيْن * لٰكِن احتَرِما مَجالِسَ الحُكّام * وَاجْتَنِبا فِيها فُحْشَ الكَلام * فَما كُلُّ قاضٍ قاضِي تَبْرِيز * وَلا كُلَّ وَقْتٍ تُسْمَعُ الأَراجِيز * فَقالا لَه مِثْلُكَ مَنْ حَجَبَ * وَشُكْرُكَ قد وَجَبَ * وَنَهَضا وقد حُظِيا بِدِينارَيْن * وَأَصْلَيا قَلْبَ القاضِي نارَيْن *

تفسير ما تضمَّنتْ هٰذه المقامة من

الالفاظ اللُّغويّة والامثال العربيّة

قوله لَقِيتُ منها عَرَقَ القِرْبَة هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَن يَلْقى شِدَّةً في الأَمْرِ الذي يُزاوِلُه كما أَنَّ حامِلَ القِرْبَة يَلْقى جُهْدًا حَتّى يَعْرَق * وقوله جَعَلْتُه دَبْرَ أُذُني يعني اطَّرَحْتُه *

وهو كقوله تعالى فَنَبَذُوه وَرَاءَ ظُهورِهم وقوله اَكْذَبُ من سَجاحِ يعنى التى تَنَبَّأَتْ في عَهْدِ مُسَيْلَمَة الكَذَّابِ * وسارَتْ اليه لِتُناظِرَه وتَخْتَبِرَه * ثم آمَنَتْ به ووَهَبَتْ نفسَها له * وهذا الاسم مبنىٌّ على الكَسْرِ مثلَ حَذامِ وقَطامِ لكونه من الاَسْماءِ المَعْدولة واشتقاقُه من السَّجاحة وهى السُّهولة ومنه قولُهم مَلَكْت فَاسْجِحْ * وقولُها اَكْذَبُ من ابى ثُمامَةَ هذه كُنْيةُ مُسَيْلِمَةَ الكذّاب وكان تَنَبَّأَ باليمامة ومَخْرَقَ بها الى اَنْ سارَ اليه خالدُ بنُ الوَليدِ وقتَلَه * وقوله لا نَعِمَ عَوْفُكَ العَوْفُ الحالُ وهو ايضا الذَّكَرُ * ويُدْعى للبانى على اَهْلِه فيقال له نَعِمَ عَوْفُكَ * وقوله يا دَفارِ ويا فَجارِ هذان الاِسْمانِ مَعْدولان عن دَفِرَةٍ وفاجِرةٍ والدَّفَرُ النَتْن وبه سُمِّيَت الدُّنيا اُمَّ دَفْرٍ وكلُّ ما سُمِّى بصِفةٍ غالبةٍ ثم عُدِلَ بها الى فَعالِ بُنِىَ على الكَسْرِ عند النِّداءِ كقولك يا لَكاعِ يا خَباثِ يا دَفارِ يا فَجارِ ولا يجوزُ استعمالُ ذٰلك فى غَيْرِ النِّداءِ الا في ضَرورةِ الشِّعر كقَوْلِ الشّاعر *

نظم

اُطَوِّفُ ما اُطَوِّفُ ثم آوِى * الى بَيْتٍ قَعِيدَتُه لَكاعِ

واما قوله اَحْمَق من رِجْلةٍ فهى ضربٌ من الحَمْضِ تَنْبُتُ فى مَجارِى السَّيْلِ فيَجْتَرِفُها * واما قولُها اَلْأَمُ من مادِرٍ فهو رجل من بنى هِلالِ بنِ عامِرٍ كان اتَّخَذ حَوْضاً لِسَقْىِ ابِلِه فلمّا رَوِيَتْ سَلَحَ فيه ومَدَرَه بسَلْحِه لئلّا يَنْتَفِعَ به مَنْ بَعْدَه * واما قولُها اَشْأَمُ من قاشِرٍ فانه فَحْلٌ كان في بعض قبائِلِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ ما طَرَقَ ابلاً الا ماتَتْ * وقيل المرادُ به العامُ المُجْدِبُ وسُمِّى قاشراً لقَشْرِه وَجْهَ الاَرْضِ من النَّبات * واما قولُها اَجْبَنُ من

صافرٍ فقد اختُلِف في تفسيره قال بعضهم عنى به كُلّ مايَصفِرُ من الطَّيْر* وخُصّ بالجُبْن لكثرة ما يتقيه من جَوارِح الجوّ ومَصائد الأرض وقيل انه طائرٌ بعينه اذا جَنَّه اللَّيلُ تعلَّق ببعض الاغصان ولم يزَلْ يَصفِرُ طوال لَيْلتِه خوفًا من ان ينام فيؤخذ* وقيل انّه الّذي يَصْفِرُ بالمرأة لِرِيبةٍ فهو يَجْبُنُ وقتَ صفيرِه مَخافةَ ان يظْهر على امرِه* وقيل انّ المرادَ به في المَثَل المَصْفورُ به وهو الّذي يُنذَر بالصَّفير فعلى هذا القَوْلِ فاعلٌ ههُنا بمعنى مفْعول كقوله تعالى مِنْ ماءٍ دافقٍ اى مَدْفوقٍ وكقولهم راحِلة بمعنى مَرْحولة وهو كثيرٌ في كلامهم* وقد جاءَ مفعولٌ بمعنى فاعِل كقوله تعالى حِجابًا مَسْتُورا اى ساتِرا* واما قولُها اطْيَش من طامِرٍ فالمرادُ به البُرْغوثُ ويُسمّى طامِرَ بنَ طامِر لكثرة وُثوبه* واما قولُ القاضى ارا كُما شَنًّا وطَبَقه وحَدأة وبُنْدُقه فانّه اراد به ان كلًّا منكما كفوٌ لصاحبهِ ومُقاوِم له ولِكلٍّ من المَثَلين تفسيرٌ مُختلَفٌ فيه* امّا شَنٌّ وطبقه فانّ العُلَماء مختلفون في معنى قولهم وافَقَ شَنٌّ طَبَقه فقال الاكثرون انّهما قبيلتان فشَنٌّ هو ابنُ افصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن اسَد بن رَبيعَة بن نِزار* وطَبَقة حَيٌّ من ايادٍ وكانت طَبَقةُ لا تُطاقُ فاوْقعت بها شَنٌّ فانتصفت مِنْها* وقال بعضهم كان شَنٌّ رَجُلا من دُهاةِ العَرَب وكان الْزم نَفْسه الّا يتزَوّج الا بامرأةٍ تلائِمه فكان يَجوبُ البِلادَ في ارتيادِ طَلِبته فصاحبه رجُل في بعضِ اسْفاره فلمّا اخَذ مِنْهما السَّيرُ قال له شَنٌّ اتحملُني ام احمِلُك فقال له الرَّجُل ياجاهلُ هل يَحمِلُ الرّاكِبُ الراكبَ فامسَك وسارا حتى اتيا على زَرعٍ فقال له شَنٌّ اترى هذا الزّرعَ

قد أُكِلَ أَمْ لا فقال له يا جاهِلُ اما تراهُ في سُنْبُلِه فَأَمْسَكَ الى ان استقبلَتْهما جَنازَةٌ فقالَ له شَنٌّ أَترى صاحِبَها حَيًّا فقال له ما رأيتُ أَجْهَلَ مِنكَ أَتراهُم حَمَلُوا الى القبرِ حَيًّا ثم انَّهما وصلا الى قَرْيةِ الرَّجُلِ فصار به الى مَنْزِلِه وكانت له بنتٌ تُسمَّى طَبَقَةَ فأخَذَ يُطْرِفُها بحديثِ رَفيقِه فقالت له ما نَطَقَ الا بالصَّوابِ ولا استفهمَكَ الَّا عمَّا يُستَفْهَم عن مِثْلِه امَّا قَوْلُه اتَحمِلُني ام أَحمِلُكَ فانه أَرادَ أتُحدِّثُني ام أُحدِّثُكَ حتى نَقْطَعَ الطريقَ بالحَديثِ وامَّا قولُه أَترى هذا الزَّرْعَ أُكِلَ ام لا فانَّه ارادَ هل استَسْلَفَ أَهْلُه ثَمَنَه ام لا واما استفهامُهُ عن صاحِبِ الجَنازةِ أَحَيٌّ هُوَ فانه ارادَ أَخَلَّفَ عَقِبًا يَحْيى ذِكرُه به ام لا فلمَّا خَرَجَ الى الرجلِ حَدَّثَه بتأويلِ ابنتِه كلامَه فخطَبها اليه فزوَّجَه ايَّاها فلمَّا سارَ بها الى قَوْمِه وخَبِروا ما فيها من الدَّهاءِ والفِطْنَةِ قالُوا وافَقَ شَنٌّ طَبَقَةَ فسارَتْ مَثَلًا وحُكِيَ أَنَّ الأَصْمَعِيَّ سُئِلَ عن تفسيرِ هذا المَثَلِ فقال أَظُنُّ الشَّنَّ وِعاءً من أَدَمٍ كانَ قد استَشَنَّ فلما اتُّخِذَ له غِطاءٌ وافَقَه ضُرِبَ فيه هذا المَثَلُ * واما حَدَأةٌ وبُنْدُقةٌ فانَّه يُقالُ في المَثَلِ المَضْروبِ لِمَنْ يَفْزَع بعَدُوِّه او يُبْلَى بنَظيرِه حِدَأَ حِدَأُ وَراءَكِ بُنْدُقةٌ وكانَ الأَصْلُ حِدَأَةُ باثباتِ الهاءِ فرُخِّمَ في النِّداءِ وقد اختلف في المرادِ بهما فقيلَ هُما الطَّائرُ المعروفُ وبُنْدُقَةُ الرَّامي وقيلَ انَّهما قبيلَتانِ من سَعْدِ العشيرةِ فأغارَتْ حِدَأَةُ وكانت تَنْزِلُ بالكوفةِ على بُنْدُقةَ وكانت تنزلُ باليَمَنِ فنالَتْ منهم ثم كَرَّتْ بُنْدُقةُ على حِدَأةَ فأَبَحَتْ عليهم وروى بعضُهم هذا المثَلَ حِدا حِدا غيرَ مَهْموزٍ على مِثالِ عَصا

وَقْفًا * وزعم انه اسم القبيلة * واما قوله اَخطأْتَ اِستكُما لحُفرةَ فانه مَثَلُ يُضرَبُ لمَن يُخطِئ فى مَقصدِهِ ويضع الشىءَ فى غيرِ موضعِهِ * واما قوله طَلْسَمَ وطَرْسَمَ فمعنى طَلْسَمَ كرَّهَ وَجهَه ومعنى طَرسَمَ اَطرَقَ * وقوله اِخرَنطَمَ وبَرطَمَ اى غَضِبَ و قَطَّبَ وقيل معنى آخرنطَمَ اى غَضِبَ مع تكَبُّرٍ ومعنى بَرْطَمَ اى غَضِبَ مع تعبُّسٍ * وقوله هَمْهَمَ وغَمْغَمَ اى لم يُبيِّنِ الكلامَ *

المقامة الحادية والاربعون التنيسية

حدَّث الحارثُ بن هَمَّام قال اَطعْتُ دَواعِيَ التَّصابِى * فى غُلَواءِ شَبابِى * فلم اَزَلْ زِيرًا للغِيدِ * واُذُنًا للاغارِيدِ * الى اَنْ وافَى النَّذيرُ * ووَلَّى العَيشُ النَّضيرُ * فقرِمْتُ الى رُشدِ الانتباه * ونَدِمْتُ على ما فرَّطْتُ فى جَنْبِ الله * ثمَّ اَخذْتُ فى كَسْعِ الهَناتِ بالحَسَناتِ * وتلافى الهَفَواتِ قبلَ الفَواتِ * فمِلْتُ عن مُغاداةِ الغاداتِ * الى مُلاقاةِ التُّقاةِ * وعَنْ مُقاناةِ القَيْناتِ * الى مُداناةِ اَهلِ الدِّياناتِ * وآلَيْتُ ان لا اَصْحَبَ اِلَّا مَنْ نَزَعَ عَنِ الغَىِّ * وفاءَ مَنْشَرُه الى الطَّىِّ * وِانْ اَلفَيْتُ مَنْ هو خَلِيعُ الرَّسَنِ * مَدِيدُ الوَسَنِ * اَنْأَيْتُ دارِى عَنْ دارِه * وفَرَرْتُ مِن عَرّه وعارِه * فلمّا اَلقَتْنِى الغُربةُ بتِنِّيسَ * واَحلَّتْنِى مَسْجِدَها الانِيسَ * رأيتُ به ذا حَلْقةٍ مُلتحِمَةٍ * ونَظّارةٍ مُزدَحِمَةٍ * وهو يقولُ بجاشٍ مَتينٍ * ولِسانٍ مُبينٍ * مِسكينٌ اِبنُ آدَمَ واَىُّ مِسْكينٍ * رَكَنَ مِنَ الدُّنيا الى غيرِ رَكينٍ * واستعصمَ مِنها بغيرِ مَكينٍ * وذُبِحَ مِنْ حُبّها بغيرِ سِكّينٍ *

يُكَلِّفُ بها لغباوته * ويكلب عليها الشقاوته * ويعتد فيها لمفاخرته * ولا يتزود منها لآخرته * أُقسِم بمن مرج البحرين * ونوّر القمرين * ورفع قدر الحجرين * لو عقل ابن آدم * لما نادم * ولو افكر فيما قدّم * لبكى الدم * ولو ذكر المكافاة * لاستدرك ما فات * ولو نظر في المآل * لحسّن قبح الأعمال * يا عجبا كلّ العجب * لمن يقتحم ذات اللهب * في اكتناز الذهب * وخزن النشب * لذوي النسب * ثمّ من البدع العجيب * أن يعظك وخط المشيب * وتؤذن شمسك بالمغيب * ولست ترى أن تنيب * وتهذّب المعيب * ثمّ اندفع ينشد * انشاد من يرشد *

نظم

يا ويح من انذره شيبه * وهو على غيّ الصبا منكمش

يعشو الى نار الهوى بعد ما * أصبح من ضعف القوى يرتعش

ويمتطي اللهو ويعتدّه * أوطأ ما يفترش المفترش

لم يهب الشيب الذي ما رأى * نجومه ذو اللبّ إلاّ دهش

ولا انتهى عمّا نهاه النهى * عنه ولا بالى بعرض خدش

فذاك إن مات فسحقا له * وإن يعش فهو كمن لم يعش

لا خير في محيا امرىء نشره * كنشر ميت بعد عشر نبش

وحبّذا من عرضه طيّب * يروق حسنا مثل برد رقش

فقل لمن قد شاكه ذنبه * هلكت يا مسكين او تنتقش

فَاخْلِصِ التَّوْبَةَ تَطْمِسْ بِهَا * مِنَ الخَطَايَا السُّودِ مَا قَدْ نَقِشَ

وَعَاشِرِ النَّاسَ بِخُلْقٍ رِضًا * وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشْ

وَرِشْ جَنَاحَ الحُرَّانِ حَصَّهُ * زَمَانُهُ لَا كَانَ مَنْ لَمْ يَرِشْ

وَانْجِدِ المَوْتُورَ ظُلْمًا فَإِنْ * عَجَزْتَ عَنْ إِنْجَادِهِ فَاسْتَجِشْ

وَانْعَشْ إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبْوَةٍ * عَسَاكَ فِي الحَشْرِ بِهِ تَنْتَعِشْ

وَهَاكَ كَاسَ النُّصْحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ * بِفَضْلَةِ الكَاسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مُبْكِيَاتِهِ * وَقَضَى إِنْشَادَ أَبْيَاتِهِ * نَهَضَ صَبِيٌّ قَدْ شَدَنَ * وَأَعْرَى البَدَنَ * وَقَالَ يَا ذَوِي الحَصَاةِ * وَالإِنْصَاتِ إِلَى الوَصَاةِ * قَدْ وَعَيْتُمُ الإِنْشَادَ * وَفَقِهْتُمُ الإِرْشَادَ * فَمَنْ نَوَى مِنْكُمْ أَنْ يَقْبَلَ * وَيُصْلِحَ المُسْتَقْبَلَ * فَلْيُبِنْ بِبِرِّي عَنْ نِيَّتِهِ * وَلَا يَعْدِلْ عَنِّي بِعَطِيَّتِهِ * فَوَالَّذِي يَعْلَمُ الأَسْرَارَ * وَيَغْفِرُ الإِصْرَارَ * إِنَّ سِرِّي لَكَمَا تَرَوْنَ * وَإِنَّ وَجْهِي لَيَسْتَوْجِبُ الصَّوْنَ * فَأَعِينُونِي رُزِقْتُمُ العَوْنَ * قَالَ وَأَخَذَ الشَّيْخُ فِيمَا يَعْطِفُ عَلَيْهِ القُلُوبَ * وَيُسَنِّي لَهُ المَطْلُوبَ * حَتَّى أَنْبَطَ جَفْرَهُ * وَاعْشَوْشَبَ قَفْرُهُ * فَلَمَّا أَنْ أَتْرَعَ الكِيسَ * انْصَلَتَ يَمِيسُ * وَيَحْمَدُ تَنْيِيسَ * وَلَمْ يَحْلُ لِلشَّيْخِ المُقَامُ * بَعْدَ مَا انْصَاعَ الغُلَامُ * فَاسْتَرْفَعَ الأَيْدِيَ لِلدُّعَاءِ * ثُمَّ نَحَا نَحْوَ الانْكِفَاءِ * قَالَ الرَّاوِي فَارْتَحْتُ إِلَى أَنْ أُعْجِمَهُ * وَأُحِلَّ مُتَرْجَمَهُ * فَتَبِعْتُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ فِي سَمْتِهِ * وَلَا يَفْتُقُ رَتْقَ صَمْتِهِ * فَلَمَّا أَمِنَ المُفَاجِيءَ * وَأَمْكَنَ التَّنَاجِي * لَفَتَ جِيدَهُ إِلَيَّ * وَسَلَّمَ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ عَلَيَّ * ثُمَّ قَالَ أَرَاقَكَ ذَكَاءُ ذَاكَ

الشُّوَيْذِن * فقلتُ إِيْ والمؤمنِ المُهَيْمِن * قال إنّه فتى السَّرُوجي * ومُخْرِجُ الدُّرِّ من اللُّجّي * فقلتُ أشْهَدُ أنّك لَشَجَرةُ ثمرتِه * وشُواظُ شرارتِه * فصدّق كِهانَتي * واستحسن إبانتي * ثمّ قال هل لك في ابتدارِ البيت * لِنَتَنازعَ كأسَ الكُمَيْت * فقلتُ له ويحك أتأمرون النّاسَ بالبِرّ وتنسون أنفسكم * فافترقنا رَمْضاحِك * ومُرْغِيرُ ما حِك * ثمّ بدا له أنْ تراجعَ إليَّ * وقال احفظها عنّي وعليّ *

نظم

اِصْرِفْ بِصَرْفِ الرّاحِ عنكَ الأسى * وَرَوِّحِ القلبَ ولا تكتئبْ

وقُلْ لِمَنْ لامَكَ فيما بِهِ * تدفعُ عنكَ الهمَّ قد كِدْتَ اتّئبْ

ثمّ قال أمّا أنا فسأنطلِقُ * إلى حيثُ أصْطَبِحُ وأغْتَبِقُ * وإذا كُنْتَ لا تَصْحَبُ * ولا تُلائِمُ مَن يَطْرَبُ * فلستَ لي برفيقٍ * ولا طريقُك لي بطريقٍ * فخَلِّ سبيلي ونكّبْ * ولا تُنَقِّرْ عنّي ولا تُنَقِّبْ * ثمّ ولّى مُدْبِرًا ولم يُعَقِّبْ * قال الحارثُ بنُ همّام فالتهبْتُ وَجْدًا عند انطلاقه * ووددتُ لو لم أُلاقِه *

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

حكى الحارثُ بن همّام * قال ترامت بي مَرامي النّوى * ومَسارِي الهوى * إلى أنْ صِرتُ ابنَ كلِّ تُرْبةٍ * وأخا كلِّ غُرْبةٍ * إلّا أنّي لم أكُن أقطعُ واديًا * ولا أشهدُ ناديًا * إلّا لاقتباسِ الأدبِ المُسْلي عن الأشجان * المُغْلي قيمةَ الإنسان * حتّى عُرِفَتْ لي هذه الشِّنْشِنَةُ * وتناقلتها عنّي الألسنةُ * وصارتْ أعلقَ بي من الهوى ببني عُذْرةَ * والشّجاعةِ

بآلِ ابي صُفرة * فلمّا ألقيتُ الجِران بنَجْران * واصطَفيتُ بها الخُلّانَ والجِيرانَ * تَخذتُ انْديَتَها مُعتَمِري * ومَوسِمَ فُكاهَتي وسَمَري * فكُنتُ اتعهّدها صَباحَ ومَساءَ * واظْهر فيها عليّ ما سرّ وساءَ * فبينَما انا في نادٍ مَحشودٍ * ومَحفِلٍ مشهودٍ * اذ جاءنا لدَيناهم * عليه هِدْمٌ * فحيّى تحيّةَ مَلِقٍ * بلسانٍ ذَلِقٍ * ثم قال يا بُدُورَ المحافل * وبُحورَ النوافل * قد تبيّنَ الصُّبحُ لذي عينَين * ونابَ العِيانُ مَنابَ عَدلَين * فما ذا ترونَ فيما تَرونَ * اتُحسِنونَ العَونَ * ام تنأَونَ اذ تُدعَونَ * فقالُوا تاللّهِ لقد غِظْتَ * ورُمتَ انْ تَنبِطَ فغِضتَ * فناشَدَهم اللّهَ عمّا ذا اصدّهم * حتّى استوجَبَ ردّهم * فقالوا كُنّا نتناضَلُ بالالغاز * كما يُتناضَلُ يومَ البراز * فما تمالكَ انْ شعّثَ من المنصُول * والحقَ هذا الفَضلَ بنَمطِ الفُضول * فلَسَنَه لُسْنُ القَوم * ووخَزُوه باسِنّةِ اللَّوم * واخذ هو يتنصّلُ مِن هَفوتِه * ويتندّمُ على فَوهتِه * وهم مُضِبّونَ على مؤاخذتِه * ومُلبّونَ داعيَ مُنابذتِه * الى ان قال لهم يا قَومِ انّ الاحتمالَ من كَرَمِ الطَّبع * فعدّوا عن اللّذْع والقَذْع * ثمّ هلُمّ الى انْ نُلغِزَ * ويُحكِّمَ المُبرِّزَ * فسكَنَ عند ذلك توقّدُهم * وانحلّت عُقَدُهم * ورَضُوا بما شرَطَ عليهم ولهم * واقترحوا انْ يكونَ اوّلَهم * فامسكَ ريثَما يَعقِدُ شِسعًا * او يشُدُّ نِسعًا * ثم قال اسمعُوا وُقيتُم الطَّيشَ * ومُلّيتُم العَيشَ * وانشَدَ مُلغِزًا في مِروَحةِ الخَيش *

نظم

وجاريةٍ في سَيرِها مُشمَعِلّةٍ * ولكنْ على اثرِ المَسيرِ قُفولُها

لها سائقٌ من جنسها يستحثها * على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى * ويبدو اذا ولى المصيف قحولها

ثم قال وهاكم يا اولي الفضل * ومراكز العقل * وانشد ملغزاً في حابول النخل * **نظم**

ومنتسب الى ام * تنشبأ اصله منها
يعانقها وقد كانت * نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني * ولا يلحى ولا ينهى

ثم قال ودونكم الخفية العلم * المعتكرة الظلم * وانشد ملغزاً في القلم * **نظم**

ومأموم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيشان صاد * ويسكن حين يعروه الاوام
ويذري حين يستسعي دموعاً * يرقن كما يروق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل * الفاضحة ما قيل * وانشد ملغزاً في الميل * **نظم**

وما ناكح اختين جهرا وخفية * وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه * وان مال بعل لم تجده يميل
يزيدهما عند المشيب تعهداً * وبرا وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا ذوي الالباب * معيارا للآداب * وانشد ملغزاً في الدولاب * **نظم**

وجاف وهو موصول * وصول ليس بالجافي

غريقٌ بارزٌ فاعْجَبْ * لَهُ من راسبٍ طافِ
يَسُحُّ دموعَ مهضومٍ * ويَهْضِمُ هضمَ متلافِ
ويَخْشى منه حِدَّتُهُ * ولكن قلبُه صافِ

قال فلمّا رَشَقَ * بالخَمْسِ التي نَسَقَ * قال يا قومِ تدبّرُوا هذه الخَمْسَ * واعقِدُوا عليها الخَمْسَ * ثمّ رأيكم وضَمَّ الذَّيل * أو الازدياد من الكَيْل * قال فاستفزَّتِ القومَ شهوةُ الزيادة * على ما أُشرِبُوا من البَلادة * فقالوا له إنَّ وقوفنا دون حَدّك * ليُقْحِمُنا عن استيراءِ زَنْدك * فإن أتممتَ عشراً فمن عندك * فاهتزّ اهتزازَ مَن فَلَجَ سَهمُه * وانخزلَ خَصمُه * ثمّ افتتح النُّطقَ بالبسملة * وأنشدَ مُلغزاً في المِرْمَلَة

نظم

ومسرورةٍ مغمومةٍ طولَ دهرِها * وما هي تدري ما السرورُ ولا الغَمُّ
تُقَرَّبُ أحياناً لأجلِ جَنينِها * وكم ولدٍ لولاه طُلِّقَتِ الأُمُّ
وتُبعَدُ أحياناً وما حالَ عهدُها * وإبعادُ من لم يستحِلْ عهدُه ظُلْمُ
إذا قَصُرَ الليلُ استُلِذَّ وِصالُها * وإن طالَ فالإعراضُ عن وصلِها نُعْمُ
لها مَلْبَسٌ بادٍ أنيقٌ مُبطَّنٌ * بما يُزدرى لكن لما يُزدرى الحُكْمُ

ثمّ كشرَ عن أنيابِه الصُّفر * وأنشدَ مُلغِزاً في الظُّفُر *

نظم

ومرهوبِ الشَّبا نامٍ * وما يُرعى ولا يَشْرَبْ
يُرى في العشر دونَ النحرِ فاسمع وصفَه واعجَبْ

ثُمَّ تَخازَرَ تَخازُرَ العِفْرِيتْ * وأَنْشَدَ مُلْغِزًا * في طاقَةِ الكِبْرِيتْ *

نظم

وما مَحْفُورَةٌ تُدْنَى وتُقْصَى * وما منها اذا فَكَّرْتَ بُدُّ
لها رأسانِ مُشْتَبِهانِ جِدًّا * وكُلٌّ منهما لاَ خِبْهِ ضِدٌّ
تُعَذَّبُ إنْ هما خُضِبا وتُلْغى * اذا عَدِما الخِضابَ ولا تُعَدُّ

ثم تَخَمَّطَ تَخَمُّطَ القَرْم * وأَنْشَدَ مُلْغِزًا في حَلَبِ الكَرْم *

نظم

وما شَيْءٌ اذا فَسَدا * تَحَوَّلَ غَيُّه رَشَدا
وإنْ هو راقَ أَوْصافًا * أَثارَ الشَّرَّ حَيْثُ بَدا
زَكِيُّ العِرْقِ والِدُهُ * ولٰكِنْ بِئْسَ ما وَلَدا

ثُمَّ اعْتَضَدَ عَصا التَّسْيار * وأَنْشَدَ مُلْغِزًا في الطَّيَّار *

نظم

وذِي طَيْشَةٍ شِقُّهُ مائِلُ * وما عابَهُ بِهما عاقِلُ
يُرى أَبَدًا فَوْقَ عِلِّيَّةٍ * كما يَعْتَلِي المَلِكُ العادِلُ
تَساوَى لَدَيْهِ الحَصا والنُّضارُ * وما يَسْتَوِي الحَقُّ والباطِلُ
وأَعْجَبُ أَوْصافِهِ إنْ نَظَرْتَ * كما يَنْظُرُ الكَيِّسُ الفاضِلُ
تَراضِي الخُصُومِ بهِ حاكِمًا * وقد عَرَفُوا أَنَّهُ مائِلُ

قال فظَلَّتِ الأَفْكارُ تَهِيمُ في أَوْدِيَةِ الأَوْهام * وتَجُولُ جَوَلانَ المُسْتَهام * الى أَنْ طالَ الأَمَد * وحَصْحَصَ الكَمَد * فلما رآهم يَزْنِدُونَ ولا سَنا * ويَقْضُونَ النَّهارَ بالمُنى * قال يا قَوْمِ

الامَ تنظرون * وحتّامَ تُنظَرون * الَمْ يأنِ لكم استخراجُ الخَبِئ * او استسلامُ الغَبِيّ * فقالوا له تاللهِ لقد أعوضتَ * ونصبتَ الشَرَكَ فاقتنصتَ * فتحكّم كيف شِئتَ * وحُزِ الغُنْمَ والصِيتَ * ففرضَ عن كلّ مُعمّى فَرضا * واستخلصَه منهم نَضّا * ثمّ فتحَ الاقفالَ * ووَسَمَ الاغفالَ * وحاوَلَ الاجفالَ * فاعتلق به صِدرةُ القَومِ * وقال له لا لُبسةَ بعدَ اليَومِ * فاستنسِبْ قبلَ الانطلاق * وهبْها مُتعةَ الطَلاق * فاطرقَ حتّى قلنا مُريب * ثمّ انشدَ والدمعُ يُجيب *

نظم

سَرُوجُ مَطلِعُ شمسي * ورَبعُ لهوِي وأُنسي
لكن حُرِمتُ نعيمي * بها ولذّةَ نفسي
واعتضتُ عنها اغترابا * أمَرَّ يومي وأمسي
ما لي مَقَرٌّ بأرضٍ * ولا قرارٌ لِعَنْسي
يوماً بنجدٍ ويوماً * بالشامِ أُضحي وأُمسي
أُزجي الزمانَ بقُوتٍ * مُنغَّصٍ مُستخَسِّ
ولا أبيتُ وعندي * فَلسٌ ومن لي بفَلسِ
ومن يعِشْ مثلَ عَيشي * باعَ الحيوةَ ببَخسِ

ثمّ إنّه اختبنَ خُلاصةَ النَضّ * وبَدَرَ ضارباً في الارضِ * فناشدناه أن يعودَ * وأسنينا له الوُعود * فلا وأبيك ما رَجَعَ * ولا الترغيبُ له نَجَعَ *

المقامة الثالثة والاربعون البدويه المعروفة بالبكر والثيب

اخبرالحارثُ بن همّام * قال هَفا بى البَينُ المُطوِّح * والسّيرُالمُبرِّح * الى ارضٍ يَضِلُّ بها الخِرّيتُ * وتفرق فيها المَصاليتُ * فوجدتُ ما يجِدُ الحائرُ الوحيدُ * ورأيتُ ما كنتُ منه احيدُ * الّا انّى شجّعتُ قلبي المَزْؤُد * ونسأتُ نِضوِى المجهودَ * وسرتُ سيرَ الضاربِ بقِدْحين * المستسلِم للحَيْن * ولم ازل بين وخدٍ وذميلٍ * واجازةِ ميلٍ بعدَ ميلٍ * الى ان كادتِ الشمسُ تجِبُ * والضياءُ يحتجِبُ * فارتعتُ لإظلالِ الظّلام * واقتحامِ جيشِ حامٍ * ولم ادرِ أاكفتُ الذّيلَ وارتبطُ * ام اعتمِدُ اللّيلَ واختبِطُ * وبينا انا اقلّبُ العزمَ * وامتحِضُ الحزمَ * ترأى لى شبحُ جملٍ * مُستذرٍ بجبلٍ * فرجّيتهُ قِعدةَ مُريحٍ * وقصدتُه قصدَ مُشيحٍ * فاذا الظّنّ كهانةٌ * والرّكوبةُ عيرانةٌ * والمُريحُ قدازدمَلَ ببجادِه * واكتحلَ برُقادِه * فجلستُ عندَ راسِه * حتّى هبّ من نعاسِه * فلمّا ازدهَرَ سراجاه * واحسّ بمن فاجاه * نفرَكما ينفِرُ المُريبُ * وقال اأخوكَ ام الذّيبُ * فقلتُ بل خابِطُ ليلٍ ضلّ المَسلكَ * فاضِئْ لى اقدحْ لكَ * فقال ليُسْرَ عنكَ همُّكَ * فرُبّ اخٍ لم تلِدْه امُّكَ * فانسرى عندَ ذالكَ اشفاقى * وسرى الوَسَنُ الى آماقى * فقال عِندَ الصّباحِ يحمَدُ القومُ السُّرى * فهل ترى كما ارى * فقلتُ انّى لكَ لأطوعُ من حِذائكَ * واوفقُ من غِذائكَ * فصدعَ بمحبّتى * وبخبخَ بصُحبتى * ثمّ احتملْنا

مُجِدِّين * وارتحلنا مُدْلِجين * ولم نزل نُعاني السُّرى * ونعاصي الكَرى * الى ان
بلغ الليل غايته * ورفع الفجر رايته * فلمّا اسفر الفاضح * ولم يبق الّا الواضح * توسّمت
رفيق رحلتي * وسمير ليلتي * فاذا هو ابو زيد مَطْلَبُ النّاشد * ومَعْلَمُ الرّاشد * فتهادينا تحيّة
المحبّين * اذا التقيا بعد البين * ثم تباثثنا الاسرار * وتناثثنا الاخبار * وبعيري ينحطّ من
الكلال * وراحلته تزفّ زفيف الرّال * فاعجبني اشتداد اسرها * وامتداد صبرها * واخذت
استشفّ جوهرها * واسأله من اين تخيّرها * فقال انّ لهذه النّاقة * خبرًا حلو المذاقة * مليح
السّياقة * فان احببت استماعه فانخ * وان لم تشأ فلا تصخ * فانخت بقوله نضوي * واهدفت
السّمع لما يروي * فقال اعلم انّي استعرضتها بحضرموت * وكابدت في تحصيلها الموت *
فما زلت اجوب عليها البلدان * واطس باخفافها الظّران * الى ان وجدتها عُبْرَ اسفار *
وعدّة قرار * لا يلحقها العناء * ولا تواهقها وجناء * ولا تدري ما الهناء * فارصدتها
للخير والشّر * واحللتها محلّ البرّ السّر * فاتّفق ان ندّت منذ مدّة * وما لي سواها قعدة *
فاستشعرت الاسف * واستشرفت التّلف * ونسيت كلّ رزء سلف * ومكثت ثلثًا *
لا استطيع انبعاثًا * ولا اطعم النّوم الّا حثاثًا * ثمّ اخذت في استقراء المسالك * وتفقّد المسارح
والمبارك * وانا لا استنشي منها ريحًا * ولا استشفي باسا مريحًا * وكلّما ادّكرت مضاءها في
السّير * وانبراءها لمباراة الطّير * لاعني الادّكار * واستهوتني الافكار * فبينما انا في حواء
بعض الاحياء * اذ سمعت من شخص مبتعد * وصوت منجرد * من ضلّت له مطيّة *

حَضْرَمِيَّةٌ وَطِيَّةٌ * جِلْدُها قد وُسِمَ * وعَرُّها قد حُسِمَ * وزِمامُها قد ضُفِرَ * وظَهْرُها كانَ قد كُسِرَ ثم جُبِرَ * تَزِينُ الماشِيَةَ * وتُعِينُ الناشِيَةَ * وتَقْطَعُ المسافةَ النّائِيَةَ * وتَظَلُّ ابدًا لك مُدانِيَةً * لا يَعْتَوِرُها الوَنى * ولا يَعْتَرِضُها الوَجَى * ولا تَحُوجُ الى العَصا * ولا تَعْصِى فيمن عَصى * قال ابو زيد فجَذَبَنِى الصَّوْتُ الى الصّائِتِ * وبَشَّرَنِى بدَرْكِ الفائِتِ * فلمّا افْضَيْتُ اليه * وسَلَّمْتُ عليه * قلتُ له سَلِّمِ المَطِيَّةَ * وتَسَلَّمِ العَطِيَّةَ * فقال وما مَطِيَّتُك * غُفِرَتْ خَطِيَّتُك * قلتُ ناقةٌ جُثَّتُها كالهَضْبَةِ * وذُرْوَتُها كالقُبَّةِ * وحَلَبُها مِلْأُ العُلْبَةِ * وكُنْتُ أُعْطِيتُ بها عِشْرِينَ * اِذْ حَلَلْتُ يَبْرِينَ * فاسْتَزَدْتُ الّذى اَعْطى * ودَرَيْتُ انّه اَخْطأَ * قال فاَعْرَضَ حِينَ سَمِعَ صِفَتِى * وقال لَسْتَ بصاحِبِ لُقَطَتِى * فاَخَذْتُ بتَلابِيبِه * واَصْرَرْتُ على تَكْذِيبِه * وهَمَمْتُ بتَمْزِيقِ جَلابِيبِه * وهو يقول يا هذا اما مَطِيَّتى بطَلِبَتِك * فاَكْفُفْ من غَرْبِك * وعَدِّ عن سَبِّك * والّا فقاضِنِى الى حَكَمِ هذا الحَىِّ * البَرِىِّ من الغَىِّ * فان اَوْجَبَها لك فتَسَلَّمْ * وان زَواها عنك فلا تَتَكَلَّمْ * فلم اَرَ دَواءَ قِصَّتِى * ولا مَساغَ غُصَّتِى * الّا اَنْ آتِىَ الحَكَمَ * ولَوْ لَكَمَ * فانْخَرَطْنا الى شَيْخٍ رَكِينِ النِّصْبَةِ * اَنِيقِ العِصْبَةِ * يُونَسُ منه سُكُونُ الطّائِرِ * واَنْ لَيْسَ بالجائِرِ * فانْدَرَأْتُ اَتَظَلَّمُ واَتَاَلَّمُ * وصاحِبى صُمْرِمٌ لا يَتَرَمْرَمُ * حتّى اذا اَنْثَلْتُ كِنانَتِى * وقَضَيْتُ من القَصَصِ لُبانَتِى * اَبْرَزَ نَعْلًا زَرِينَةَ الوَزْنِ * مَحْذُوَّةً لمَسْلَكِ الحَزْنِ * وقال هذه الّتى عَرَّفْتُ * واِيّاها وَصَفْتُ * فان كانت هى الّتى اُعْطِىَ بها

عِشْرِين * وهاهو من المُبْصِرِين * فقد كَذَبَ فى دَعْواه * وكَبُرَ ما افْتَراه * اللّهُمّ إلاّ أن يُمِدَّ قذاله * ويُبيِّن مِصْداق ما قاله * فقال الحَكَمُ اللهمّ غَفْرًا * وجَعَلَ يُقَلِّبُ النَّعلَ بَطْنًا وظَهْرًا * ثم قال أمّا هذه النَّعْلُ فنَعْلِي * وأمّا مَطِيَّتُك ففى رَحْلِى * فانهَضْ لتَسلُّمِ ناقتك * واجْعَلِ الخير بحَسَبِ طاقتك * فقُمْتُ وقُلْتُ *

نظم

أُقْسِمُ بالبيتِ العَتِيقِ ذِى الحُرَمْ * والطائفِين العاكِفِين فى الحَرَمْ
إنَّك نِعْمَ مَنْ إليه يُحْتَكَمْ * وخَيْرُ قاضٍ فى الأعارِيبِ حَكَمْ
فاسْلَمْ ودُمْ دَوْمَ النَّعامِ والنَّعَمْ *

فأجابَ من غيرِ رَوِيَّةٍ * ولا عَقْدِ نِيَّةٍ * وقال *

نظم

جُزِيتَ مِنْ شُكْرِك خَيْرًا يابنَ عَمْ * إذ لَسْتُ أَسْتَوْجِبُ شُكْرًا يُلْتَزَمْ
شَرُّ الأنامِ مَنْ إذا استَقْضَى ظَلَمْ * ثم مَنِ استَرْعِي فلم يَرْعَ الحُرَمْ
فذانِ والكَلْبُ سَواءٌ فى القِيَمْ *

ثمّ إنّه نَفَذَ بين يدَىَّ * مَنْ سَلَّمَ الناقةَ إلَيَّ * ولم يَمْتَنَّ عَلَيَّ * فرُحْتُ أَجُرُّ ذَيلَ الطَّرَب * وأقولُ يا لَلْعَجَب * قال الحارثُ بنُ هَمّام فقلتُ له تاللهِ لقد أطْرَفْتَ * وهرَفْتَ بما عرَفْتَ * فناشدتُك اللهَ هل لَقِيتَ أسحَرَ منك بلاغةً * وأحسَنَ لِلَّفْظِ صِياغةً * فقال اللّهمّ نَعَمْ * فاسْمَعْ ونَعِمْ * كُنْتُ عَزَمْتُ حين أتْهَمْتُ * على أنْ أتَّخِذَ ظَعِينةً * لتكونَ لى مُعِينةً * فحِينَ تعَيَّنَ الخِطْبُ * وكادَ الأمْرُ يستَتِبُّ * أفكَرْتُ فِكْرَ المُتَحَرِّزِ من الوَهْم * المُتأمِّلِ كيف مَسْقَطُ

السهم * وبت ليلتي اناجي القلب المعذب * واقلب العزم المذبذب * الى ان
اجمعت على ان اسحر * واشاور من ابصر * فلما قوضت الظلمة اطنابها * وولت الشهب
اذنابها * غدوت غدو المتعرف * وابتكرت ابتكار المتعيف * فانبرى لي يافع * في وجهه شافع *
فتيمنت بمنظره البهيج * واستقدحت رأيه في التزويج * فقال أوتبغيها عوانا * ام بكرا
تعاني * فقلت اختر لي ما ترى * فقد ألقيت اليك العرى * فقال الي التبيين * وعليك
التعيين * فاسمع أنا أفديك * بعد دفن أعاديك * اما البكر فالدرة المخزونة * والبيضة
المكنونة * والثمرة الباكورة * والسلافة المذخورة * والروضة الانف * والطوق الذي ثمن
وشرف * لم يدنسها لامس * ولا استغشاها لابس * ولا مارسها عابث * ولا وكسها طامث *
ولها الوجه الحيي * والطرف الخفي * واللسان العيي * والقلب النقي * ثم هي الدمية
الملاعبة * واللعبة المداعبة * والغزالة المغازلة * والملحة الكاملة * والوشاح الطاهر القشيب *
والضجيع الذي يشب ولا يشيب * واما الثيب فالمطية المذللة * واللهنة المعجلة *
والبغية المسهلة * والطبة المعللة * والقرينة المتحببة * والخليلة المتقربة * والصناع
المدبرة * والفطنة المختبرة * ثم انها عجالة الراكب * وانشوطة الحاطب * وقعدة العاجز *
ونهزة المبارز * عريكتها لينة * وعقلتها هينة * ودخلتها متبينة * وخدمتها مزينة * واقسم
لقد صدقت في النعتين * واجليت المهاتين * فبأيتهما هام قلبك * وعلى ايتهما قام زبك *
قال ابو زيد فرأيته جندلة يتقيها المراجم * وتدمى منها المحاجم * الا اني قلت له كنت

سمعتُ انّ البكرَ اشدُّ حبًّا * واقلُّ خِبًّا * فقال قد لعمري قيلَ هذا * ولكن كم قولٍ آذى *
ويحكَ اما هي المهرةُ الابيّةُ العنان * والمطيّةُ البطيّةُ الاذعان * والزندةُ المتعسّرةُ الاقتداح *
والقلعةُ المستصعبةُ الافتتاح * ثمّ انّ مؤونتها كثيرةٌ * ومعونتها يسيرةٌ * وعشرتها صلفةٌ * ودالّتها
مكلفةٌ * ويدها خرقاء * وفتنتها صمّاءُ * وعريكتها خشناء * وليلتها ليلاءُ * وفي رياضتها عناءٌ *
وعلى خبرتها غشاءٌ * وطالما اخزت المنازلَ * وفركت المغازلَ * واحنقت الهازلَ * واضرمت
الفنيقَ البازلَ * ثمّ انها التي تقول انا البس واجلس * فاطلب من تطلق وتحبس * فقلتُ
له فما ترى في الثيّب * يا ابا الطيّب * فقال ويكَ اترغب في فضالةِ المآكل * وثمالةِ المنهل *
واللباسِ المستبذل * والوعاءِ المستعمل * والذوّاقةِ المتطرّفة * والخرّاجةِ المتصرّفة *
والوقاحِ المتسلّطة * والمحتكرةِ المتسخّطة * ثمّ كلمتها كنتُ وصرتُ * وطالما بُغيَ عليَّ
فنُصرتُ * وشتّانَ بين اليومِ وامسِ * وهيهاتَ القمرُ من الشمسِ * وان كانت
الحنّانةَ البروك * او الطمّاحةَ الهلوك * فهي الغُلُّ القملُ * والجرحُ الذي لا يندملُ *
فقلتُ له هل ترى ان اترهّبَ * واسلكَ هذا المذهبَ * فانتهرني انتهارَ المؤدِّب *
عند زلّةِ المتأدّب * ثمّ قال ويلكَ اتقتدي بالرُّهبان * والحقّ قد استبان * افٍّ لكَ
ولوهنِ رايِكَ * وتبًّا لكَ ولأُولئكَ * اتراكَ ما سمعتَ بانْ لا رهبانيّةَ في الاسلام *
ولا حُدّثتَ بما نكحَ نبيُّكَ عليه السلام * ثمّ اما تعلمُ انّ السكنَ الصالحةَ تربُّ بيتكَ *
وتلبّي صوتكَ * وتغضُّ طرفكَ * وتطيّبُ عرفكَ * وبها ترى قرّةَ عينكَ * وريحانةَ

أَنفك * وَفَرْحَةَ قَلبك * وَتعلة يَوْمِك وغدك * فكيف رَغبْتَ عن سُنَّةِ المرسلين * ومتعة المتاهلين * وشرعةِ المُحصنين * ومَجْلَبَةِ المال والبنين * والله لقد ساءَني فيك * ما سمعت من فيك * ثم اعْرَضَ اعراضَ المُغْضَب * ونزا نزوان العُنظب * فقلتُ له قاتلك الله اتنطلق متبخترا * وتدعني متحيرا * فقال أظنك تدعي الحيرة * لتجلد عُميرة * وتستغني عن المُهيرة * فقلتُ له قبح الله ظنك * ولا أشب قرنك * ثم رحتُ عنه مراح الخزيان * وتبتُ من مشاورة الصبيان * قال الحارث بن همام فقلتُ له أُقسم بمن انبت الأيك * إن الجدال منك وإليك * فأغرب في الضحك * وطرب طربة المنهتك * ثم قال إعْقِ العسل * ولا تسل * فأخذتُ أُسهب في مدح الأدب * وأُفضّل ربه على ذي النشب * وهو ينظر إليّ نظر المستجهل * ويُغضي عني إغضاء المُمهل * فلما أسرفتُ في العصبية * للعصبة الأدبية * قال لي صه * واسمع مني وافقه *

نظم

يقولون إن جمال الفتى * وزينته أدبٌ راسخُ
وما إن يزين سوى المكثرين * ومن طَوْدُ سؤدده شامخُ
فأما الفقير فخيرٌ له * من الأدب القرص والكامخُ
وأيّ جمال له أن يقال * أديبٌ يُعلِّم أو ناسخُ

ثم قال سيضح لك صدق لهجتي * واستنارة حجتي * وسرنا لا نألو جهدا * ولا نستفيق

جهدا * حتى اذا ادانا السير * الى قرية عزب عنها الخير * فدخلناها للارتياد * وكلانا منفض
من الزاد * فما ان بلغنا المحط * والمناخ المختط * او لقينا غلاما لم يبلغ الحنث * وعلى
عاتقه ضغث * فحياه ابو زيد تحية المسلم * وسأله وقفة المفهم * فقال وعم تسأل وفقك الله *
قال أيباع ههنا الرطب * بالخطب * قال لا والله * قال ولا البلح * بالملح * قال كلا
والله * قال ولا التمر * بالسمر * قال هيهات والله * قال ولا العصيدة * بالقصيدة * قال
اسكت عافاك الله * قال ولا الثرائد * بالفرائد * قال اين يذهب بك ارشدك الله *
قال ولا الدقيق * بالمعنى الدقيق * قال عد عن هذا اضحكك الله * واستحلى ابو زيد
تراجع السؤال والجواب * والتكايل من هذا الجراب * ولمح الغلام ان الشوط بطين *
والشيخ شيطين * فقال له حسبك يا شيخ قد عرفت فنك * واستبنت انك * فخذ الجواب
صبرة * واكتف به خبرة * اما بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة * ولا النثر بنثارة *
ولا القصص بقصاصة * ولا الرسالة بغسالة * ولا حكم لقمان بلقمة * ولا اخبار الملاحم
بلحمة * واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يميح * اذا اصيغ له المديح * ولا من يجيز *
اذا انشد له الاراجيز * ولا من يغيث * اذا اطربه الحديث * ولا من يمير * ولو انه
امير * وعندهم ان مثل الاديب * كالربع الجديب * ان لم تجد الربع ديمة * لم تكن
له قيمة * ولا دانته بهيمة * وكذا الاديب * ان لم يعضده نشب * فدرسه نصب *
وحزبه حصب * ثم انسدر يعدو * وولى يحدو * فقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب

قَدْ بارَ * وَوَلَّت اَنصارُهُ الاَدْبارَ * فَبَوَّأتُ له بحُسنِ البَصِيرة * وَسَلَّمْتُ بِحُكْمِ الضرورة * فقال دَعْنا الآن من المِصَاع * وخُضْ في حَدِيثِ القِصَاع * وَاعْلَمْ اَنَّ الاَسْجاعَ * لاتُشْبِعُ مَنْ جاعَ * فما التَّدبيرُ فيما يُمسِكُ الرَّمَقَ * ويُطْفِي الحُرَقَ * فقلتُ الاَمْرُ اليك * والزِّمامُ بِيَدَيْك * فقال أَرَى ان تَرْهَنَ سَيْفَك * لِتُشْبِعَ جَوفَك وضَيْفَك * فناوِلْنيه واَقِمْ * لِانْقَلِبَ اليك بِما تَلْتَقِم * فاَحسَنْتُ به الظَّنَّ * وَقَلَّدتُه السَّيفَ والرَّهْنَ * فما لَبِثَ اَنْ رَكِبَ الناقة * وَرَفَضَ الصِّدْقَ والصَّداقة * فمَكَثْتُ مَلِيًّا اَتَرَقَّبُه ثم نَهَضتُ اَتَعَقَّبُه * فكُنْتُ كمَنْ ضَيَّعَ اللَّبَنَ فى الصَّيْف * وَلَمْ اَلْقَهُ ولا السَّيف *

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية وتعرف باللغزية

حكى الحارثُ بن همَّامٍ * قال عَشَوْتُ في لَيلةٍ داجيةِ الظُّلَم * فاحِمَةِ اللِّمَم * الى نارٍ تُضرَمُ على عَلَم * وتُخْبِرُ عن كَرَمٍ * وكانت لَيلةً جَوُّها مَقرورٌ * وجَيبُها مَزرورٌ * ونَجمُها مَغمومٌ * وغَيمُها مَركومٌ * واَنا فِيها اَصْرَدُ من عَيْنِ الحِرْباء * والعنزِ الجَرباء * فلم اَزَلْ اَنُصُّ عَنْسِي * واَقُولُ طُوبَى لكَ ولنفسِي * الى اَن تَبَصَّرَ المُوقِدُ آلِى * وتَبَيَّنَ اِرْقالِى * فانْحَدَرَ يَعْدُو والجَمْزَى * ويُنشِدُ مُرتَجِزا *

نظم

حُيِّيتَ مِنْ خابِطِ لَيْلٍ سارِى * هَداهُ بل اَهْداهُ ضَوْءُ النارِ

الى رَحِيبِ الباعِ رَحْبِ الدّارِ * مُرَحِّبٍ بالطّارِقِ المُمْتارِ

تَرحابَ جَعْدِ الكَفِّ بالدِّينارِ * لَيْسَ بمُزْوَرٍّ عن الزُّوّارِ

وَلا بمُغتامِ القِرى مِيخارِ * إذا اقشعرَّت تُرَبُ الأقطارِ
وضَنَّتِ الأنواءُ بالأمطارِ * فهوَ على بُؤسِ الزَّمانِ الضّاري
جَمُّ الرَّمادِ مُرهَفُ الشِّفارِ * لم يَخلُ في لَيلٍ ولا نَهارِ
مِن نَحرِ وارٍ واقتِداحِ واري

ثمّ تَلَقّاني بمُحيّا حَيِيّ * وصافحَني براحةِ أرْيَحيّ * واقتادَني الى بيتٍ عِشارُه تَخورُ * وأعشارُه تَفورُ * ووَلائدُه تَمورُ * ومَوائدُه تَدورُ * وبأكسارِه أضيافٌ قد جَلَبَهم جالبي * وقُلِبوا في قالَبي * وهُم يَجتَنون فاكِهةَ الشِّتاء * ويَمرَحون مَرَحَ ذَوي الفَتاء * فأخذْتُ مأخَذَهم في الاصطِلاء * ووجَدتُ بهِم وَجْدَ الثَّمِلِ بالطِّلاء * ولمّا أن سَرى الخَصَرُ * وانسَرى الخَصَرُ * أُتينا بمَوائدَ كالهالاتِ دَوْراً * والرَّوضاتِ نَوْراً * وقد شُحِنَّ بأطعِمةِ الوَلائمِ * وحُمِينَ مِن العائبِ واللائمِ * فرَفَضْنا ما قيلَ في البِطْنَة * ورأينا الإمعانَ فيها من الفِطْنَة * حتّى إذا اكتَلْنا بصاعِ الحُطَم * وأشْفَينا على خَطَرِ التُّخَم * تَعاوَرْنا مُشَوِّشَ الغَمَر * ثمّ تبوّأنا مَقاعِدَ السَّمَر * وأخَذَ كُلٌّ مِنّا يَشولُ بلِسانِه * ويَنشُرُ ما في صِوانِه * ما عَدا شَيخاً مُشتَبِهاً فَوْداه * مُخلَولِقاً بُرْداه * فانّهُ رَبَضَ حَجْرةً * وأوسَعَنا هَجْرةً * فغاظَنا تَجنُّبُه * المُلتَبِسُ موجِبُه * المعذورُ فيه مُؤنِّبُه * الّا أنّا ألَنّاه القَولَ * وخَشِينا في المسألةِ العَوْلَ * وكُلّما رُمْنا أن يَفيضَ كما فِضْنا * أو يُفيضَ فيما أفَضْنا * أعرَضَ إعراضَ العِلْيَةِ عن الأرذَلِين * وتَلا إنْ هذا إلّا أساطِيرُ

الأوّلين * ثمّ كأنّ الحميّة هاجته * والنفس الابيّة ناجته * فدلف وازدلف * وخلع الصّلف * وبذل ان يتلا فى ما سلف * ثمّ استرعى سمع السّامر * واندفع كالسّيل الهامر * وقال *

نظم

عِنْدِي أعاجيبُ أرويها بلا كَذِبِ * عن العيانِ فكنّوني أبا العَجَبِ

رأيتُ يا قومِ أقواماً غذاؤُهُمُ * بَوْلُ العجوزِ وما أعني ابنةَ العِنَبِ

بولُ العَجُوزِ لَبَنُ البَقرة والعجوزُ ايضا من أسماءِ الخمر *

ومُعْشِبِيْنَ من الأعرابِ قوتُهُمُ * أنْ يَشْتُوْا خِرْقَةً تغني من السَّغَبِ

الخِرْقةُ القِطْعَةُ من الجراد

وكاتِبِينَ وما خَطَّتْ أنامِلُهم * حرفاً ولا قَرَأُوا ما خُطَّ في الكُتُبِ

الكاتِبُونَ الخرّازُون * يقال كَتَبَ السِّقاءَ والمزادةَ اذا خرزهما *

وقادِرِيْنَ متى ما ساءَ صُنْعُهُمُ * أو قصّروا فيه قالُوا الذنبُ للحطبِ

القادِرُ الطابخُ فى القِدْرِ والقَدِيرُ المَطْبُوخُ فيها *

وتابِعِيْنَ عُقاباً فى مسيرِهِمِ * على تكمّيهِم في البِيْضِ واليَلَبِ

العُقابُ الرَّايةُ * وكانت رايةُ النّبى صلّى اللّهُ عليه وسلّم تُسمّى العُقابَ *

ومُنْتَدِيْنَ ذَوِي نُبْلٍ بَدَتْ لَهُمُ * نُبَيْلَةٌ فانثنَوْا مِنْها الى الهَرَبِ

النُّبَيْلَةُ الجِيفَةُ ومِنْهُ تَنَبَّلَ البَعِيرُ اذا مات وأرْوَحَ *

وعُصبةٍ لَمْ تَرَ البيتَ العتيقَ وقد * حَجَّتْ جِثِيًّا بلا شكٍّ على الرُّكَبِ

معنى حَجَّتْ جُثِيًّا اى غَلَبَتْ بالحُجَّة مُجادِلين جاثِينَ على الرُّكَب * وجُثِيّ جمعُ جاثٍ *

ونسوةٍ بِتْنَ ما ادلجنَ من حَلَبٍ * صَبَّحْنَ كاظِمةً مِن غيرِ ما تَعَبِ

كاظِمةٌ فى هذا المَوضع من كَظْمِ الغَيْظِ

ومُدلِجِينَ سَرَوْا مِن ارْضِ كاظِمةٍ * واصْبَحُوا حِينَ لاحَ الصُّبْحُ في حَلَبِ

اى اَصْبَحُوا يَحْلِبُونَ اللَّبَن

ويافِعًا لم يُلامِسْ قَطُّ غانِيةً * شاهَدْتُه وَلَهُ نَسْلٌ من العَقِبِ

اليافِعُ الذى قد تَرَعْرَعَ وناهَزَ البُلُوغَ والنَّسْلُ هُهنا العَدْوُ * ومنه قوله تعالى من كل

حَدَبٍ يَنْسِلُون والعَقِبُ مُؤَخَّرُ القَدَم *

وشائِبًا غَيْرَ مُخْفٍ للمَشِيبِ بَدا * فى البَدْوِ وهو فَتِيُّ السِّنِّ لم يَشِبِ

الشائِبُ هُهنا مازِجُ اللَّبَن والمَشِيبُ اللَّبَنُ المَمْزوج يقال فيه مَشُوبٌ ومَشِيبٌ *

ومُرْضَعًا بِلِبانٍ لم يَفُهْ فَمُهُ * رَأَيْتُهُ فى شِجارٍ بَيِّنِ السَّبَبِ

الشِّجارُ المِحَفَّةُ ما لم تكن مُظَلَّلةً فان ظُلِّلَتْ فهو الهَوْدَجُ والسَّبَبُ هُهنا الحَبْلُ ومنه

قوله تعالى فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ الى السَّماءِ *

وزارِعًا ذُرَةً حتى اذا حُصِدَتْ * صارتْ غُبَيْراءَ يَهْواها اخو الطَّرَبِ

الغُبَيْراءُ السَّكَرُ المُتَّخَذُ من الذُّرَة وفى الحديث اِيّاكُم والغُبَيْراءَ فانَّها خمرُ العالَم

وتسمى السُّكْرُكَة اَيْضا *

وراكِضا وهو مَغلُولٌ على فَرَسٍ * قَدْ غُلّ ايضا وما يَنفكّ مِن خَبَبِ

المغلول ههنا العطشان وغُلّ اى عَطِشَ

وذا يَدٍ طُلُق يَقتادُ راحِلَةً * مُستعجِلا وهو ما سُور اخو كُرَب

الماسُورُ الّذى يَجدُ الأُسْرَ وهو احتباسُ البَول

وجالسًا ماشِياً تَهوِى مَطِيّتُهُ * به وما فى الّذى اَوْرَدتُ من رِيَب

الجالِسُ الآتى نَجدًا والماشِى الّذى كَثُرَتْ ماشِيتُه وعليه فسّر بعضُهم قولَ الله تعالى

اَنِ امْشُوا كأنّه دعاءٌ لهم بالنّماء وكثرة الماشِيَة *

وحائكًا اَجْذَمَ الكَفَّين ذا خَرَسٍ * فان عَجِبْتم فكم فى الخَلْقِ من عَجَب

الحائِكُ ههنا الّذى اذا مَشى حرّك مَنكِبَيه وفحّج بين رُكبتَيه *

وصادِعًا بالقنا من غيرِ اَن عَلِقَت * كفّاه يومًا برُمْحٍ لا ولم يَثِبِ

القنا ارتفاعُ الانفِ وتحدّب وسَطِه وصَدَع به اى كشفَه

وذا شَطاطٍ كصَدْر الرُّمح قامَتُهُ * صادَفتُه بِمِنًى يشكو من الحَدَبِ

الحَدَبُ ما ارتفَعَ من الارض

وساعِيًا فى مَسرّات الانام يرى * اِفراحَهم مأثمًا كالظُّلم والكَذِبِ

اِفراحُهم اِثقالُهم بالدَّين ومنه قوله عليه السلام لا يُترَكُ فى الاِسلامِ مُفْرَحٌ اى مُثقَلٌ

ومُغرَماً بِمُنا جاة الرِّجالِ لهُ * ومالهُ في حديثِ الخلقِ من اربِ

الخلق هٰهنا الكذبُ ومنه قولهُ تعالى إنْ هذا إلّا خلقُ الأوّلين *

وذاذِمامٍ وفتْ بالعهدِ ذِمّتُهُ * ولا ذِمامَ له في مذهبِ العربِ

الذمامُ الاول العهد والثانى جمع ذِمّة وهى البئرُ القليلةُ الماءِ وعنى بالمذهبِ المسلكَ

اى ما لهُ فى البدَوِ آبارٌ قليلةُ المآءِ *

وذا قوًى ما استبانت قطُّ لِينتُهُ * ولِينُهُ مُستبِينٌ غيرُ مُحتجبِ

اللِّينُ النّخلُ الدَّقَلُ ومنه قولهُ تعالى ما قطعتم من لِينةٍ *

وساجِداً فوقَ فحلٍ غيرِ مكترثٍ * بما اتى بل يَراه افضلَ القُربِ

الفحلُ الحصيرُ المُتخذُ من فُحّال النّخلِ

وعاذِراً مؤلماً مَنْ ظلَّ يعذِرهُ * مع التلطّفِ والمعذورُ في صَخَبِ

العاذِرُ الخاتِنُ والمعذورُ المختونُ

وبلدةً ما بها مـاءٌ لِمُغترِفٍ * والماءُ يجري عليها جَرْيَ منسربِ

البلدةُ الفرجةُ بين الحاجبَين * وتُسمّى ايضا البُلْجة *

وقريةٍ دونَ افحوصِ القطاشحنت * بِدَيْلَمٍ عيشُهم من خُلسةِ السَّلَبِ

القريةُ بيتُ النّملِ والدَّيْلمُ النمـلُ الكثيرُ *

وكوكباً يتواري عندَ رُؤيتِهِ * الإنسانُ حتّى يُرى في امنعِ الحُجُبِ

الكوكبُ النُكتة من البياضِ التي تحدُثُ في العَين والإنسانُ ههُنا إنسانُ العَيْن *

ورَوْثَةٍ قوَّمتْ مالا له خَطَرٌ * ونَفْس صاحِبها بالمالِ لم تطِبِ

الرَّوْثة مُقدَّمُ الأنفِ *

وصَحْفةٍ مِن نُضارٍ خالصٍ شربَتْ * بعدَ المكاسِ بقيراطٍ من الذهبِ

النُّضارُ ههُنا شجرُ النَّبع وإيَّاه عنى ابراهيمُ النَخعيُّ بقوله لا باسَ بأن يُشرَبَ في قدح النُّضار *

ومُستحِيشًا بخشخاشٍ لِيَدفَع ما * أظلّه من أعاديه فلم يخبِ

الخَشخاشُ الجماعةُ عليهم دُروعٌ وأسلحةٌ *

وطالما مرَّ بي كلبٌ وفي فمِهِ * ثورٌ ولٰكنَّه ثورٌ بلا عَصَبِ

الثَّورُ القِطعةُ من الأقِطِ *

وكم رأى ناظري فيلاً على جملٍ * وقد تورَّك فوقَ الرَّحلِ والقتَبِ

الفيلُ الرجُلُ الفائلُ الرأيِ *

وكم رأتْ مُقلتي عينينِ ماؤُهما * يجري من الغربِ والعينانِ في حلَبِ

الغربُ مَجرى الدَّمع والعينانِ ههُنا المُقلتانِ وحلَبُ البلدةُ المعروفةُ *

وكم لقيتُ بعُرضِ البِيدِ مُشتكيًا * وما اشتكى قطُّ في جِدٍّ ولا لعِبِ

المُشتكي المُتخِذُ شَكوةً وهي القِربةُ الصَّغيرةُ *

وكنت ابصرت كرازاً لراعية * بالدو ينظر من عينين كالشهب

الكراز الكبش الذي يحمل عليه الراعي اداته *

وكم نزلت بارض لانخيل بها * وبعد يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب *

وكم رأيت باقطار الفلا طبقاً * يطير في الجو منصباً الى صبب

الطبق القطعة من الجراد *

وكم مشائخ في الدنيا رأيتهم * مخلدين ومن ينجو من العطب

المخلد الذي ابطأ شيبه

وكم بدا لي وحش يشتكي سغباً * بمنطق ذلق امضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مستنج فجاءتني * وما اخل ولا اخللت بالادب

المستنجي الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع *

وكم انخت قلوصي تحت جنبذة * تظل ما شئت من عرب ومن عرب

الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المرأة المتحببة الى زوجها *

وكم نظرت الى من سر ساعته * ودمعه مستهل القطر كالسحب

سر اي قطع سرره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة *

وكم رأيتُ قميصاً ضرّ صاحبهُ * حتى انثنى واهي الاعضاءِ والعصبِ

القميص الدابّة الكثيرةُ القِماص .

وكم إزارٍ لوانّ الدهرَ اتلفهُ * لَحِق لِبُدٌ حثيث السيرِ مضطرِبِ

الإزارُ المرأة ومنهُ قول الشاعر *

فِدىً لك من اخي ثقةٍ إزاري * هذا وكم من افانينٍ مُعجّبةٍ

عندي ومن مُلَحٍ تُلهي ومن نخبٍ * فان فطِنتم للحنِ القول بان لكم

صِدقي وَدَّ لكم طَلعي على رطبٍ * وان شُدِهتم فانَّ العارَ فيه على

مَن لا يميّز بين العُودِ والخشبِ *

قال الحارثُ بن همّام فطفقنا نخبطُ في تقليبِ قريضه * وتاويلِ معاريضه * وهو يلهو بنا لهوَ الخليّ بالشجي * ويقول ليس بعشّكِ فادرجي * الى ان تعسّر النتاج * واستحكم الارتتاج * فالقينا اليه المقادة * وخطبنا منه الافادة * فوقفنا بين الطمع واليأس * وقال الإيناسُ قبل الإبساس * فعلمنا انّه ممن يرغبُ في الشُّكم * ويرتشي في الحُكم * وساءَ ابا مثوانا ان نُعرّضَ للغُرم * او نُخيّبَ بالرَّغم * فاحضر ناقةً عِيديّة * وحُلّةً سعيديّة * وقال له خذهما حلالاً * ولا ترزأ اضيافي زبالاً * فقال اشهدُ انّها شِنشنةٌ اخزميّة * واريحيّةٌ حاتميّة * ثمّ قابلنا بوجهٍ بِشرُهُ يشفّ * ونضرتُه ترفّ * وقال يا قومِ إنّ الليل قد اجلوذ * والنعاس قد استحوذ * فافزعوا الى المراقد * واغتنموا راحةَ الراقد *

لِتشربوا نشاطًا * وتبعثوا انشاطًا * فتَعُوا ما أُفسِّرُ * ويتسهّلُ لكم المتعسِّرُ * فانتصبَ كُلٌّ مارآه * وتوسّدَ وِسادةَ كراه * فلما وسنتِ الأجفانُ * وأغفتِ الضِّيفانُ * وثبَ الى النّاقة فرحلها * ثمّ ارتحلها ورحّلها * وقال مخاطِبًا لها *

نظم

سروجَ يا ناقُ فسيري وخِدي * وأدلجي وأوّبي وأسئِدي
حتّى تطأ خُفّاكِ مرعاها النّدي * فتنعمي حينئذٍ وتسعَدي
وتأمني أن تُتهمي وتُنجِدي * إيهِ فدتكِ النّوقُ جِدّي واجهَدي
وافري أديمَ فدفدٍ ففدفدِ * واقتنعي بالنّشحِ عندَ المَورِدِ
ولا تحُطّي دُونَ ذاكِ المقصِدِ * فقد حلفتُ حلفةَ المجتهِدِ
بحُرمةِ البيتِ الرّفيعِ العمدِ * إنّكِ إن أحللتِني في بلَدي
حللتِ منّي بمحلِّ الولَدِ *

قال فعلمتُ أنّه السّروجيُّ الّذي إذا باعَ انباعَ * وإذا ملأ الصّاعَ انصاعَ * ولمّا انبلجَ صباحُ اليوم * وهبَّ النُّوّامُ من النّوم * أعلمتُهم أنّ الشّيخَ حينَ أغشاهُمُ السُّباتُ * طلّقهُمُ البتاتَ * وركبَ النّاقةَ وفاتَ * فأخذهُم ما قدُمَ وما حدُثَ * ونسُوا ما طابَ منه بما خبُثَ * ثمّ انشعبنا في كلِّ مشعَبٍ * وذهبنا تحتَ كلِّ كوكبٍ *

قال القاسمُ بنُ عليٍّ رضيَ اللّهُ عنه قد فسّرتُ سرَّ كلِّ لغزٍ تحتَه * ولم أُبعِد على من يقرؤه كشفَه * وقد بقيتْ ألفاظٌ اشتملتْ عليها هذه المقامةُ * ربّما التبسَ تفسيرُها

عَلَى بَعْضِ مَنْ تَقَعُ اليه فَاحْبَبْتُ اِيضاحَهــا له * لِيَكْفِيَ حَيْرَةَ الشُّبْهَةِ * وكُلْفَةَ الفِكْرَةِ * وَوَصْمَةَ البَحْثِ والمَسْئَلَةِ * وباللهِ تعالى الاستعانَةُ والقُوَّه * قوله عَشَــوْتُ الى نارٍ * يعني تَنَوَّرْتُها فَقَصَدتُّها فانْ لَمْ تَقْصِدْها قلتَ عَشَوْتُ عَنْها كقولِهِ تعالى وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ له شيطاناً اى وَمَنْ يُعْرِضْ * وقولُهُ اَنا فيها اَصْرَدُ من عَيْنِ الحِرْباءِ والعَنْزِ الجَرْباءِ * هذانِ مَثَلانِ يُضْرَبانِ لمن يَبْلُغُ منه البَــرْدُ * وذلك لِاَنَّ الحِرْباءَ تَدُورُ اَبَداً مَعَ الشَّمْسِ وتَسْتَقْبِلُها بِعَيْنِها ولذالِكَ شَبَّهَ ابْنُ الرُّومِيِّ الرَّقِيبَ بالحِــرْباءِ في قولِهِ *

نظم

ما بالُهــا قَدْ حُسِّنَتْ وَرَقِيبُها * اَبَداً قَبِيحٌ قُبِّــحَ الرُّقَبــاءُ

ماذاكَ اِلَّا اَنَّها شَمْسُ الضُّحَى * اَبَداً تَكُونُ رَقِيبَها الحِرْباءُ

والعَنْزُ الجَرْباءَ لاتَدْفَؤُ فِى الشِّتاءِ لِقِلَّةِ شَعْرِها * وذَكَرَ بَعْضُهُم اَنَّ العَنْزَ الجَرْباءَ تَصْحِيفُ المَثَلِ الاَوَّلِ * وقولُهُ نَحِرْوارٍ يَعْنِى الجَمَلَ المُكْتَنِزَ شَحْماً الكَثِيرَ مُخّاً * وقولُهُ مِشارُهُ نَحُورٍ وَاَعْشارُهُ تَفُورُ العِشارُ النُّوقُ الحَوامِلُ واحِدَتُها عُشَراءُ وهِىَ الَّتِىْ اَتى عليها فى الحَمْلِ عَشَرَةُ اَشْهُرٍ ثُمَّ لا يَزالُ ذلِكَ اِسْمَها حَتّى تَضَعَ * والاَعْشارُ البُرْمَةُ العَظِيمَةُ كَاَنَّها شُعِّبَتْ لِعِظَمِها يُقالُ بُرْمَةٌ اَعْشارٌ وجَفْنَةٌ اَكْسارٌ وثَوْبٌ اَسْمالٌ وبُرْدٌ اَخْلاقٌ وحَبْلٌ اَرْمامٌ وَوَصْفُ الجَماعَةِ منها كَوَصْفِ الواحد * وقوله فاكِهَةُ الشِّتاءِ كَنَى بها عَنِ النّارِ ومنه قولُ بَعْضِ المُحْدَثِين *

نظم

النَّارُ فاكِهَةُ الشِّتاءِ فمَنْ يُـرِدْ * اَكْلَ الفَواكِهِ شاتِيًا فَلْيَصْطَلِ
انَّ الفَواكِهَ فى الشِّتاءِ شَهيَّةٌ * وَالنَّارُ لِلْمَقْرُورِ اَفْضَلُ ما كُلِ

وقوله صوائد كالهـالات يعنى دارات القَمَرِ واحدها هَـالَةٌ ودارَةُ الشَّمْسِ تُسَمَّى الطُّفاوة * وقوله مَشْوشَ الغَمَرِ يعنِى المِنْديل يقالُ مَشَّ يَدَه بالمِنْديل اى مَسَحَها ومنه قَولُ امْرِءِ القَيْسِ *

نظم

نَمُشُّ بَاَعْرافِ الجِيادِ اَكُفَّنا * اِذا نَحْنُ قُمْنا عَنْ شِواءٍ مُضَهَّبِ

وقوله مُشْتَهِبًا فَوداه اى صارَ مِنَ الشَّيْبِ فى لَوْنِ الاَشْهَبِ * ومنه قولُ امْرِءِ القَيْسِ ايضا *

نظم

قالَتِ الخَنْسـاءُ لَمَّا جِئْتُهـا * شابَ بَعْدِى رَأْسُ هٰذا واشْتَهَبْ

وقوله رَبَضَ حَجْرَةً يعنى ناحِيَةً * ويقال فى المَثَلِ لِمَنْ يُشارِكُ فى الرَّخاءِ * ويجانِبُ عِنْدَ البَلاءِ * يَرْتَعُ وَسَطًا ويَرْبِضُ حَجْرَةً *

وقوله فاسْتَرْعَى سَمْعَ السَّامِرِ * يعنى السُّمَّارَ لِاَنَّ السَّامِرَ اسمٌ للجَمْعِ كالحاضِرِ اسمٌ لِلحَيِّ النَّازِلِين على الماءِ وكالباقِرِ اسمٌ لِجَماعَةِ البَقَرِ وقال بَعْضُ اَهْلِ اللُّغَةِ هو اسمٌ لِلْبَقَرِ مع رُعاتِها واشْتِقاقُ السَّامِرِ مِن السَّمَرِ وهو ظِلُّ القَمَرِ ماخُوذٌ مِنَ السُّمْرةِ فَلَمَّا كانَ غالِبُ احوالِ السُّمارِ اَنَّهم يَتَحَـدَّثُون في ظِلِّ القَمَرِ اُشْتُقَّ لَهُم اسمٌ منه والي هذا يَرْجِعُ قولهم لا اُكَلِّمُهُ القَمَرَ والسَّمَرَ * وقوله لَيْسَ بعُشِّكِ فادْرُجِى * هذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَعاطَى ما لا يَنْبَغِي

له والعُشّ ما يكونُ في شَجَرةٍ فان كان في حائِطٍ او كَهْفِ جَبَلٍ فهو وَكْرٌ * وقوله الإيناسُ قبلَ الابْساسِ * هذا مَثَلٌ ايضا ومعناه انّه ينبغي ان يُونِسَ الانسانُ ثمّ يَتكَلَّفُ واصلُه أنّ حالِبَ النّاقةِ يُونِسُها حِينَ يرومُ حَلَبَها ثمّ يُبِسُّ بها للحَلَبِ والإبساسُ ان يقولَ لها بُسْ بُسْ لِتَسْكُنَ وتَدُرَّ وتُسمّى النّاقةُ الّتي تَدُرُّ على الابساسِ البَسُوسَ * وقوله يرغبُ في الشُّكْمِ * الشُّكْمُ ما اعْطَيتَه على سبيلِ المُجازاة فان اعطيتَه مُبتدِئاً فهو الشُّكْدُ * وقوله ساءَ أبا مَثْوانا * يعني المُضِيفَ الّذي أوَوا اليه وثَوَوا عِنْدَه * وقوله ناقةٌ عِيدِيّة * قيل إنّها منسوبةٌ الى فَحْلٍ مُنْجِبٍ اسمُه عِيدٌ وقيل انّها منسوبةٌ الى فَخْذٍ من مَهْرةَ اسمُه عِيدُ بن الآمِريّ على وزنِ العامِري بن مَهْرة وكانت مَهْرةُ وعِيدٌ تَتّخِذانِ نجائبَ الابلِ فنُسِبَتْ اليهما * وقوله حُلّة سَعِيدِيّة هي منسوبة الى سَعِيدِ بْنِ العاصِ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كَساه وهو غلامٌ حُلّةً فنُسِبَ جِنْسُها اليه * وقوله لا تَرْزَأُ أضيافي زِبالا اي لا ترزاهم شيئاً وإنْ قلّ والأصلُ في الزِّبالِ ما تَحمِلُه النّملةُ بفيها * وقوله شِنْشِنةٌ أخْزَمِيّة * اشارَ به الى المَثَلِ الّذي ضَرَبَه جَدُّ حاتِم بن عبدِ اللّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الحَشْرَجِ بْنِ أخْزَمَ الطّائيّ حِينَ نَشأ حاتِمٌ وتَقَيَّلَ أخلاقَ جَدِّه أخزَمَ في الجُودِ فقال شِنْشِنةٌ أعرِفُها مِنْ أخْزَم * وتمثّلَ عَقِيلُ بْنُ عُلَّفَةَ به حِينَ قال *

نظم

إنّ بَنِيَّ ضَرّجُوني بالدَّمِ * مَنْ يَلْقَ آسادَ الرِّجالِ يُكْلَمِ

شِنْشِنةٌ أعرِفُها مِنْ أخْزَمِ

وَمَن ادَّعَى اَنَّ المَثَل له فقَدْ سَهَا فِيهِ * قوله اجلوذ اى اَسْرَعَ فى الذهاب ومثله اِخْرَوَّطَ

وقوله وَثَبَ الى النَّاقَةِ فرَحَلَهَا بمعنى شَدَّ عليها الرَّحْلَ وبه سُمِّيَتِ الرَّاحِلَة لانَّها فاعلة في

معنى مَفعولة كقوله تعالى في عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ اى مَرضِيَّةٍ ومن ماءٍ دافقٍ اى مدفوقٍ

والرَّاحِلَة تقع على النَّاقةِ والجَمَلِ ودخولُ الهاءِ فيها للمبالغةِ مثل داهِيَةٍ ورَاوِيَةٍ * وقوله

ارتحلها اى رَكِبَهَا وفى الحديث انَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسَلَّمَ سَجَدَ فركِبَهُ الحَسَنُ

رَضِيَ اللّهُ عنه فابطأَ في سُجُودِهِ فلمَّا قَضَى صَلوتَهُ قال اِنَّ ابنى ارتحلَنى فكرِهْتُ اَنْ اُعْجِلَهُ *

وقوله ورَحَّلَهَا اى اَزْعَجَهَا واَشْخَصَهَا واَجَدَّ بِهَا فى الرَّحِيلِ ومنه الخَبَرُ تَخرُجُ عِنْدَ اقترابِ

السَّاعةِ نَارٌ مِن قعرِ عَدَن تُرَحِّلُ النَّاسَ * وقوله فادْلجى واَوِّبى واَسْئِدِى * الإِدْلاجُ

اَنْ تَسِيرَ اللَّيلَ كُلَّه والاِسْمُ منه الدَّلْجَة بفتحِ الدالِ والاِدِّلاجُ بالتَّشديدِ اَنْ تَسِيرَ من

آخره والاسم منه الدُّلْجَة بضمِّ الدَّالِ وقِيلَ اِنَّ الدلجة بفتح الدَّال وضمِّها بمعنىً

واحدٍ * والتَّاوِيبُ سَيرُ النَّهارِ وَحْدَه * والاِسْآدُ اَن تَسِيرَ ليلاً ونهاراً * والنَّشحُ اَن تَشْرَبَ

دُونَ الرِّيِّ * وقوله فاخَذَهم ما قَدُمَ وما حَدُثَ يُقالُ ذلك لِمَن تَستولِي الهُمُومُ عليه

وَتَتلاعَبُ به وتُضَمّ الدَّالُ من حَدُثَ في هذا المَوضعِ وَحدَهُ لِيُوافِقَ لَفْظُها لفظَ قَدُمَ فان

اُفرِدَ حَدَثَ عن قَدُمَ وجبَ فَتْحُ الدَّالِ مِنْ حَدَثَ ومثلُه قَوْلُهم هَنَأَنِى ومَرَأَنِى

بحذفِ الالفِ من اَمرَأَنِي اذا ذُكِرَ مَعَ هَنَأَنى فاِنْ اَفرَدْتَه وَجَبَ ان تقولَ

اَمْرَأَنِىْ الشَّيىُ وكذلك يقولون رِجْسٌ نِجْسٌ فيكسِرُونَ النُّونَ مِنْ نَجَسٍ وَيُسَكِّنُونَ

الجيم ليزاوج لفظة رجس فإن أفرد قيل نَجَس بفتح النون والجيم كما قال الله تعالى إنما المشركون نَجَس وقوله ذهبنا تحت كل كوكب * هذا مثل يضرب لمن يختلف في السفر طرقهم * وتتباين سبلهم *

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

حكى الحارث بن همام قال كنت أخذت عن أولي التجاريب * أن السفر مرآة الأعاجيب * فلم أزل أجوب كل تنوفة * وأقتحم كل مخوفة * حتى اجتليت كل أطروفة * فمن أحسن ما لمحته * وأغرب ما استملحته * أني حضرت قاضي الرملة * وكان من أرباب الدولة والصولة * وقد ترافع إليه بال في بال * وذات جمال في أسمال * فهم الشيخ بالكلام * وتبيان المرام * فمنعته الفتاة من الإفصاح * وخسأته عن النباح * ثم نضت عنها فضلة الوشاح * وأنشدت بلسان السليطة الوقاح * نظم

يا قاضي الرملة يا ذا الذي * في يده التمرة والجمرة
إليك أشكو جور بعلي الذي * لم يحجج البيت سوى مرة
وليته لما قضى نسكه * وخف ظهرا إذ رمى الجمرة
كان على رأي أبي يوسف * في صلة الحجة بالعمرة
هذا على أني مذ ضمني * إليه لم أعص له إمرة
فمره إما ألفة حلوة * ترضني وإما فرقة مرة

مِنْ قَبلِ ان اَخْلَعَ ثَوْبَ الحَيا * فِي طَاعَةِ الشَّيْخِ اَبِي مُرَّةْ

فقال له القاضِي قَد سَمِعْتَ ما عَزَتْكَ اليه * وَتَوَعَّدَتْكَ عليه * فَجانِبْ ما عَرَّكَ * وحاذِرْ انْ تُفْرَكَ وَتُعْرَكَ * فَجثا الشَّيْخُ عَلى ثَفِناته * وَفَجَّرَ يَنْبُوعَ نَفَثاتِه * وَقالَ * نظم

اِسْمَعْ عَداكَ الذَّمُّ قَوْلَ امْرِئٍ * يُوْضِحُ فِيما رابَها عُذْرَهْ

وَاللّهِ ما اَعْرَضْتُ عَنْها قِلًى * وَلا هَوًى قَلْبِي قَضَى نَذْرَهْ

وَانَّما الدَّهرُ عَدا صَرْفُهُ * فَابْتَزَّنا الدُّرَّةَ وَالذَّرَّهْ

فَمَنْزِلِي قَفْرٌ كَما جِيدُها * عُطْلٌ مِنَ الجَزْعَةِ وَالشَّذْرَهْ

وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ اَرَى فِي الهَوَى * وَدِينِه رَأْيَ بَنِي عُذْرَهْ

فَمُذْ نَبا الدَّهرُ هَجَرْتُ الدُّمَى * هِجْرانَ عَفٍّ آخِذٍ حِذْرَهْ

وَمِلْتُ عَنْ حَرْثِي لا رَغْبَةً * عَنْهُ وَلكِنْ اَتَّقِي بَذْرَهْ

فَلا تَلُمْ مَنْ هذِهِ حالُهُ * وَاعْطِفْ عَلَيْهِ وَاحْتَمِلْ هَذْرَهْ

قال فَانْتَظَتِ المَرْاَةُ من مقالِه * وَانْتَضَتِ الحُجَجَ لِجِدالِه * وَقالَتْ له وَيْلَكَ يا مُرْقَعانُ * يا مَنْ هُوَ لا طَعامٌ وَلا طِعانٌ * اَتَضِيقُ بِالوَلَدِ ذَرْعًا * وَلِكُلِّ اَكُولَةٍ مَرْعًى * لَقَدْ ضَلَّ فَهْمُكَ وَاَخْطَاَ سَهْمُكَ * وَسَفِهَتْ نَفْسُكَ * وَشَقِيَتْ بِكَ عِرْسُكَ * فقال لها القاضِي اَمّا اَنْتِ فَلَوْ جادَلْتِ الخَنْساءَ * لَانْثَنَتْ عَنْكِ خَرْساءَ * وَاَمّا هُوَ فَاِنْ كانَ صَدَقَ فِي زَعْمِه * وَدَعْوَى عُدْمِه * فَلَهُ فِي هَمٍّ قَبْقَبِه * ما يَشْغَلُه عن ذَبْذَبِه * فَاَطْرَقَتْ تَنْظُرُ ازْوِرارًا *

وَلَا تَرجِعُ حِوَارًا * حَتّى قُلْنَا قد رَاجَعَها الخَفَرُ * او حَاقَ بِهَا الظَّفَرُ * فقال لها الشيخُ تعسًا لكِ اِنْ زَخْرَفْتِ * او كَتَمْتِ مَا عَرَفْتِ * فقالَتْ وَيْحَكَ وَهَلْ بَعْدَ المُنا فَرَةِ كَتمٌ * اَوْ بَقِيَ لَنا عَلى سِرِّ خَتمٌ * وَمَا فِينَا اِلَّا مَنْ صَدَقَ * وَهَتَكَ صَوْنَهُ اِذْ نَطَقَ * فَلَيتَنا لاقَيْنَا البَكَمَ * و لَمْ نَلْقَ الحَكَمَ * ثُمَّ التَفَعَتْ بِوِشَاحِها * وَتَبَاكَتْ لافْتِضَاحِها * وجَعَلَ القاضِي يَعْجَبُ مِنْ خَطْبِهِما وَيُعَجِّبُ * وَيَلُومُ الدَّهْرَ لهما وَيُؤَنِّبُ * ثُمَّ اَحْضَرَ مِنَ الوَرِقِ اَلْفَيْنِ * وقالَ اَرْضِيا بِهِما الاَجْوَفَيْنِ * وَعَاصِيَا النَّازِغَ بَيْنَ الاِلْفَيْنِ * فَشَكَرَاهُ عَلى حُسْنِ السَّراحِ * وانطَلَقا وَهُما كَالمَاءِ والرَّاحِ * وَطَفِقَ القاضِي بَعدَ مَسْرَحِهِما * وَتَنَائِي شَبَحِهِما * يُثْنِي عَلى اَدَبِهِما * وَيَقُولُ هَلْ مِنْ عَارِفٍ بِهِما * فَقالَ لهُ عَيْنُ اَعْوانِهِ * وخَالِصَةُ خُلَصائِهِ * اَمَّا الشَّيْخُ فالسَّرُوجِيُّ المَشْهُودُ بِفَضْلِهِ * وَاَمَّا المَرْأَةُ فَقَعِيدَةُ رَحْلِهِ * وَاَمَّا تَحَاكُمُهُما فَمَكِيدَةٌ مِن فِعْلِهِ * واُحْبُولَةٌ مِنْ حَبَائِلِ خَتْلِهِ * فَاَحْفَظَ القاضِيَ ما سَمِعَ * وَتَلَهَّبَ كَيْفَ خُدِعَ * ثُمَّ قالَ لِلواشِي بِهِما * قُمْ فَرُدَّهُما * ثُمَّ اقْصِدْهُما وَصُدَّهُما * فَنَهَضَ يَنفُضُ مِذْرَوَيْهِ * ثُمَّ عادَ يَضْرِبُ اَصْدَرَيْهِ * فَقالَ لهُ القاضِي اَظْهِرْنا عَلى ما نَبَثْتَ * ولا تُخْفِ عَنّا مَا اسْتَخْبَثْتَ * فقالَ ما زِلْتُ اَسْتَقْرِي الطُّرُقَ * وَاَسْتَفْتِحُ الغُلُقَ * الى اَنْ اَدْرَكْتُهُما مُصْحِرَيْنِ * وقد زَمَّا مَطِيَّ البَيْنِ * فَرَغَّبْتُهُما فِي العَلَلِ * وَكَفَلْتُ لهما بِنَيْلِ الاَمَلِ * فَاُشْرِبَ قَلْبُ الشَّيْخِ اَنْ يَيْأَسَ * وَقالَ الفِرارُ بِقُرَابٍ اَكْيَسُ * وقالَتْ هِيَ بَلِ العَوْدُ اَحْمَدُ * وَالفَرُوقَةُ يَكْمَدُ * فَلَمَّا تَبَيَّنَ الشَّيْخُ سَفَهَ رَائِها * وَغَرَرَ اجْتِرَائِها * اَمْسَكَ ذَلاذِلَها * ثُمَّ اَنْشَأَ يَقُولُ لها

نظم

دُونَكَ نُصْحِي فَاقْتَفِي سُبْلَهُ * وَاغْنَ عَنِ التَّفْصِيلِ بِالْجُمْلَهْ
طِيرِي مَتَى نَقَّرْتِ مِنْ نَخْلَةٍ * وَطَلِّقِيهَا بَتَّةً بَتْلَهْ
وَحَاذِرِي العَوْدَ إِلَيْهَا وَلَوْ * سَبَّلَهَا نَاطُورُهَا الأَبْلَهْ
فَخَيْرُ مَا لِلِّصِّ أَنْ لَا يُرَى * بِبُقْعَةٍ فِيهَا لَهُ عَمْلَهْ

ثم قَالَ لِي لَقَدْ عُنِيتَ بِمَا وُلِّيتَ * فَارْجِعْ مِنْ حَيْثُ جِئْتَ * وَقُلْ لِمُرْسِلِكَ إِنْ شِئْتَ *

نظم

رُوَيْدَكَ لَا تُعْقِبْ جَمِيلَكَ بِالأَذَى * فَتُضْحِي وَشَمْلُ المَالِ وَالحَمْدِ مُنْصَدِعْ
وَلَا تَتَغَضَّبْ مِنْ تَزَيُّدِ سَائِلٍ * فَمَا هُوَ فِي صَوْغِ اللِّسَانِ بِمُبْتَدِعْ
وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَدِيعَةٌ * فَقَبْلَكَ شَيْخُ الأَشْعَرِيِّينَ قَدْ خُدِعْ

فَقَالَ لَهُ القَاضِي قَاتَلَهُ اللهُ فَمَا أَحْسَنَ شُجُونَهُ * وَأَمْلَحَ فُنُونَهُ * ثُمَّ إِنَّهُ أَصْحَبَ رَائِدَهُ بُرْدَيْنِ * وَصُرَّةً مِنَ العَيْنِ * وَقَالَ لَهُ سِرْ سَيْرَ مَنْ لَا يَرَى الالْتِفَاتَ * إِلَى أَنْ تَرَى الشَّيْخَ وَالفَتَاةَ * فَبُلَّ يَدَهُمَا بِهَذَا الحِبَاءِ * وَبَيِّنْ لَهُمَا انْخِدَاعِي لِلأُدَبَاءِ * قَالَ الرَّاوِي فَلَمْ أَرَ فِي الاغْتِرَابِ * كَهَذَا العُجَابِ * وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ مِمَّنْ جَالَ وَجَابَ *

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حَدَّثَ الحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ نَزَعَ بِي إِلَى حَلَبَ * شَوْقٌ غَلَبَ * وَطَلَبٌ يَالَهُ مِنْ طَلَبٍ * وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ خَفِيفَ الحَاذِ * حَثِيثَ النَّفَاذِ * فَأَخَذْتُ أُهْبَةَ السَّيْرِ * وَخَفَفْتُ

نحوها خفوف الطير * ولم ازل مذ حللت ربوعها * وارتبعت ربيعها * أفانى الأيام *
فيما يشفي الغرام * ويروي الأوام * الى ان اقصر القلب عن ولوعه * واستطار
غراب البين بعد وقوعه * فأغراني البال الخلو * والمرح الحلو * بأن اقصد حمص
لأصطاف ببقعتها * وأسبر رقاعة اهل رقعتها * فأسرعت اليها اسراع النجم * اذا انقض
للرجم * فحين خيمت برسومها * ووجدت روح نسيمها * لمح طرفي شيخاً قد اقبل هريره *
وادبر غريره * وعنده عشرة صبيان * صنوان وغير صنوان * فطاوعت في قصده
الحرص * لأخبر به ادباء حمص * فبش بي حين وافيته * وحيا بأحسن مما حييته *
فجلست اليه لأبلو خبيء نطقه * واكتنه كنه حمقه * فما لبث ان اشار بعصيته * الى كبر
أصيبيته * وقال له انشد الأبيات العواطل * واحذر ان تماطل * فجثا جثوة ليث *
وانشد من غير ريث *

نظم

أعدد لحسادك حد السلاح * وأورد الآمل ورد السماح
وصارم اللهو ووصل المها * وأعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لادراك محل سما * عماده لا لادراع المراح
والله ما السودد حسو الطلا * ولا مراد الحمد رود رداح
واهاً لحر صدره واسع * وهمه ما سر أهل الصلاح
مورده حلو لسواله * وماله ما ساء لوه مطاح

ما أسمعَ الآملَ ردّاً ولا * ماطلَه والمطلُ لؤمٌ صُراح

ولا أطاعَ اللهوَ لمّا دعا * ولا كسا راحاً له كأسَ راحْ

سوّدهُ إصلاحُهُ سِرَّهُ * وردعُهُ أهواءهُ والطِّماحْ

وحصّلَ المدحَ له علمُهُ * ما مُهرُ العُورِ مُهورُ الصِّحاحْ

فقال له أحسنت يا بُدَير * يا رأسَ الدَّير * ثم قال لتِلوه * المشتبه بصِنوه * أُدنُ يا نُوَيرة * يا قمرَ الدُّوَيرة * فدنا ولم يتباطأ * حتى حلَّ منه مقعدَ المُعاطي * فقال له أجِلْ الأبيات العرائس وإن لم يكنَّ نفائس * فبرى القلمَ وقطَّ * ثم اجتبر اللوحَ وخطَّ

نظم

فتنتني فجنّنتني تجنّي * بتجنٍّ يفتنّ غِبَّ تجنّي

شغفتني بجفنِ ظبيٍ غضيضٍ * غَنِجٍ يقتضي تغيّضَ جفني

غشيتني بزينتين فشغفتني * بزيٍّ يشقُّ بين تثنّي

فتظنّيتُ تجنبيني فتجزيني * بنفثٍ يشفي فخيّبَ ظنّي

ثبّتتْ في غشٍّ جيبٍ بتزيينٍ * حبيبٍ يبغي تشفّي ضِغني

فنزتْ في تجنّبي فتنتني * بنشيجٍ يُشجي بفنٍّ ففنِّ

فلمّا نظرَ الشيخُ الى ما حبّره * وتصفّحَ ما زبّره * قال له بوركَ فيكَ من طلا * كما بوركَ في لا ولا * ثم هتفَ أُقرُبْ * يا قُطرُبْ * فاقتربَ منه فتى يحكي نجمَ دُجيةٍ * أو تمثالَ دُميةٍ * فقال له أُرقمِ الأبياتَ الأخيافَ * وتجنّبِ الخلافَ * فأخذَ القلمَ * ورقمَ *

نظم

اسمح فبثّ السماح زين * ولا تخب آملا تضيّف
ولا تجز ردّ ذي سؤال * فنن ام في السؤال خفّف
ولا تظنّ الدهور تبقي * مال ضنين ولو تقشّف
واحلم فجفن الكرام يغضي * وصدرهم في العطاء نفنف
ولا تخن عهد ذي وداد * ثبت ولا تبغ ما تزيّف

فقال له لا شلّت يداك * ولا كلّت مداك * ثم نادى يا غشمشم * يا عطر منشم * فلبّاه غلام كدرة غوّاص * وجؤذر قنّاص * فقال له اكتب الابيات المثائم * ولا تكن من المشائيم * فتناول القلم المثقّف * وكتب ولم يتوقّف *

نظم

زيّنت زينب بقدّ يقدّ * وتلاه ويلاه نهد يهدّ
جندها جيدها وظرف وطرف * ناعس ناعش بحدّ يحدّ
قدرها قدرها وتاهت وباهت * واعتدت واغتدت بخدّ يخدّ
فأرقتني فأرّقتني وشطّت * وسطت ثم نمّ وجد وجدّ
فدنت فذبت وجنّت وحنّت * مغضبا مغضيا يسود يسودّ

فطفق الشيخ يتأمّل ما سطره * ويقلّب فيه نظره * فلمّا استحسن خطّه * واستصحّ ضبطه * قال له لا شلّ عشرك * ولا استخبث نشرك * ثم اهاب بفتى فتّان * يسفر عن ازهار

بُستانٍ * فقال له أنشِدِ البيتين المُطرفين * المُشتبهيِ الطرفين * اللذين أسكتنا كلّ نافِثٍ *
وأمِنّا أن يُعزَّز بثالثٍ * فقال له اسمع لا وُقِرَ سمعك * ولا هُزِمَ جمعك * وأنشد من غير
تلبُّثٍ ولا تربُّثٍ

نظم

سِمْ سمةً تحسنُ آثارُها * واشكُر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكرَ مهما استطعتَ لا تأتِهِ * لتقتني السؤددَ والمكرُمه

فقال له أجدتَ يا زُغلول * يا أبا الغُلول * ثم نادى أوضِح يا ياسين * ما يُشكِل من
ذواتِ السين * فنهض ولم يتأنَّ * وأنشد بصوتٍ أغنّ *

نظم

نِقسُ الدواةِ ورُسغُ الكفِّ مثبتةٌ * سِينا هما إن هما خُطّا وإن دُرِسا
وهكذا السين في قسبٍ وباسقةٍ * والسغبِ والبخسِ وافسر واقتبِس قبسا
وفي تقسّستُ بالليلِ الكلامَ وفي * مُسيطرٍ وشموسٍ واتّخِذ جرسا
وفي قريسٍ وبردٍ قارسٍ فخذِ * الصوابَ عنّي كُن للعلم مُقتبسا

فقال له أحسنتَ يا نُغيش * يا صاحبةَ الجيش * ثم قال ثِب يا عنبسة * وبيِّنِ الصادات
المُلتبسة * فوثب وثبةَ شبلٍ مُثارٍ * وأنشد من غير عِثارٍ *

نظم

بالصادِ يُكتبُ قد قبصتُ دراهماً * يا ناملي واصخ لتستمعَ الخبرَ
وبصقتُ ابصُقُ والصِّماخُ وصنجةٌ * والقصُّ وهو الصدرُ واقتصَّ الأثرَ
وبخصتُ مُقلتَهُ وهذي قُرصةٌ * وقد ارعدتْ منه الفريصةُ للخَوَرْ

وقصرت هنداى حبست وقد دنا * فصح النصارى وهو عيد منتظر

وقرصته والخمر قارصة اذا * حذت اللسان وكل هذا مشتطر

فقال له رعيا لك يا بني * فلقد اقررت عيني * ثم استنهض ذا جنة كالعيذق * ونغشة كالشوذق * وامره بان يقف بالمرصاد * ويسرد ما اجرى على السين والصاد * فنهض يسحب برديه * ثم انشد مشيرا بيديه *

نظم

ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه * وان تشأ فهو بالصادات يكتتب

مغس وفقس ومسطار ومماس * وسالغ وسراط الحق والسقب

المغس الوجع المعترض في الجوف وهو مسكن الغين والفقس فقس البيضة * والمسطار الخمرة المزة ويقال لها المسطارة ايضا * والممّلس الذى يسقط من يديك ولا تشعر به * والسالغ آخر اسنان ذوات الظلف * والسقب القرب *

نظم

والسامغان وسقر والسويق ومسلاق * وعن كل هذا تفصح الكتب

السامغان جانبا الفم * والمسلاق الشديد الصوت * ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد * فقال له احسنت يا حبقة * يا عين بقة * ثم نادى يا دغفل * يا ابا زنفل * فلباه فتى احسن من بيضة * في روضة * فقال له ما عقد هجاء الافعال * التي آخرها حرف الاعتلال * فقال له اسمع لا صم صداك * ولا سمعت عداك * ثم انشد *

نظم

وما استرشد *

إِذَا الفِعْلُ يَوْمًا غُمَّ عَنكَ هِجَاؤُهُ * فَأَلْحِقْ بِهِ تَاءَ الخِطَابِ وَلَا تَقِفْ

فَإِنْ تَرَ قَبْلَ التَّاءِ يَاءً فَكَتْبُهُ * بِيَاءٍ وَإِلَّا فَهُوَ يُكْتَبُ بِالأَلِفْ

وَلَا تَحْسِبِ الفِعْلَ الثُّلَاثِيَّ وَالَّذِي * تَعَدَّاهُ وَالمَهْمُوزُ فِي ذَاكَ يَخْتَلِفْ

فَطَرِبَ الشَّيْخُ لِمَا أَدَّاهُ * ثُمَّ عَوَّذَهُ وَفَدَّاهُ * ثُمَّ قَالَ هَلُمَّ يَا قَعْقَاعُ * يَا بَاقِعَةَ البِقَاعِ * فَأَقْبَلَ فَتًى أَحْسَنُ مِنْ نَارِ القِرَى * فِي عَيْنِ ابْنِ السُّرَى * فَقَالَ لَهُ اصْدَعْ بِتَمْيِيزِ الظَّاءِ مِنَ الضَّادِ * لِتَصَدَّعَ أَكْبَادَ الأَضْدَادِ * فَاهْتَزَّ لِقَوْلِهِ وَاهْتَشَّ * ثُمَّ أَنْشَدَ بِصَوْتٍ أَجَشَّ *

نظم

أَيُّهَا السَّائِلِي عَنِ الظَّاءِ وَالضَّادِ * لِكَيْمَا تُضِلُّهُ الأَلْفَاظُ

إِنَّ حِفْظَ الظَّاءَاتِ يُغْنِيكَ * فَاسْمَعْهَا اسْتِمَاعَ امْرِئٍ لَهُ اسْتِيقَاظُ

هِيَ ظَمْيَاءُ وَالمَظَالِمُ وَالإِظْلَامُ وَالظَّلْمُ وَالظُّبَى وَاللِّحَاظُ

وَالعَظَا وَالظَّلِيمُ وَالظَّبْيُ وَالشَّيْظَمُ وَالظِّلُّ وَاللَّظَى وَالشُّوَاظُ

وَالتَّظَنِّي وَاللَّغْظُ وَالنَّظْمُ وَالتَّقْرِيظُ وَالقَيْظُ وَالظَّمَاءُ وَاللَّمَاظُ

وَالحَظِي وَالنَّظِيرُ وَالظِّئْرُ وَالجَاحِظُ وَالنَّاظِرُونَ وَالأَيْقَاظُ

وَالتَّشَظِّي وَالظَّلْفُ وَالعَظْمُ وَالظُّنْبُوبُ وَالظَّهْرُ وَالشَّظَى وَالشِّظَاظُ

وَالأَظَافِيرُ وَالمُظَفَّرُ وَالمَحْظُورُ وَالحَافِظُونَ وَالإِحْفَاظُ

وَالحَظِيرَاتُ وَالمَظِنَّةُ وَالظِّنَّةُ وَالكَاظِمُونَ وَالمُغْتَاظُ

والوَظِيفاتُ والمواظِبُ والكَظَّةُ * والانتظارُ والإلظاظُ

وَوَظِيفٌ وظالِعٌ وعَظِيمٌ * وظَهِيرٌ والغَظُّ والاغلاظُ

ونَظِيفٌ والظَرْفُ والظَّلَفُ الظَّاهِرُ ثُمَّ الغَظِيعُ والوُعَّاظُ

وَعُكاظٌ والظَّعْنُ والمَظُّ والحَنظَلُ والقارِظانِ والاَوْشاظُ

المَظُّ رُمَّانُ البرِّ * والقارِظُ جاني القَرَظِ وهو النباتُ المَدبوغُ بهِ والاَوشاظُ الاَخلاطُ والجماعاتُ

نظم

وَظِرابُ الظِرّانِ والشَّظَفُ الباهِظُ والجَعظَرِيُّ والجَوّاظُ

الظِرابُ الرُّبا الصِغارُ واحِدها ظَرِبٌ * والظِرّانُ الحِجارةُ المُحدَّدةُ واحِدها ظَرِرٌ والشَّظَفُ البُؤسُ وسُوءُ العَيْشِ * والباهِظُ المُثقِلُ * والجَعظَرِيُّ المُتنَفِّخُ بما لَيس عِندَه والجَوّاظُ الفاجِرُ وقيل الاَكُول المُختالُ

نظم

والظَرابِينُ والحَناظِبُ والعُنظُبُ ثُمّ الظَّيانُ والاَرْعاظُ

الظَرابِينُ جمع ظَرِبانٍ وهي دابّةٌ لا يُطاقُ فَسْوُها وتُجْمع ايضا على ظَرابيّ بحذفِ النُّون وعلى ظِرَبى وهو جمع شاذٌ ولم يجئ على فِعلى الا هذا وحِجلى جمع حَجَلٍ * والحَناظِبُ ذُكُورُ الخَنافِس * والعُنظُبُ ذَكَرُ الجَرادِ * والظَّيّانُ ياسَمِينُ البرِّ * وَالاَرْعاظُ جَمْعُ رُعْظٍ وهو مَدخَلُ النَّصْلِ في السَّهْمِ *

نظم

والشَّناظِي وَالدَّلَظُ وَالظَّابُ والظَّبْظابُ والعُنظُوانُ وَالجِنعاظُ *

الشَّناظِي نَواحِي الجَبَلِ * والدَّلَظُ الدَّفعُ والظّابُ الصَّخَبُ وقد تُبدَّلُ الباءُ منه ميمًا وقيل إنّ الظّابَ والظّامَ اسمانِ لسِلْفِ الرَّجُل * والعُنْظُوانُ نَبْتٌ * والظَّبْظابُ الدّاءُ يُقالُ ما بهِ ظَبْظابٌ كما يُقالُ ما بهِ قَلَبَةٌ * والجِنْعاظُ الأحْمَقُ وقيلَ إنّهُ المُتَسَخِّطُ عِندَ الطَّعامِ

نظم

والشَّناظِيرُ والتَّعاظُلُ والعِظْلِمُ *   والبُظْرُ بَعْدُ والإِنْعاظُ

الشَّناظِيرُ جمع شِنْظِيرٍ * وهو السَّيِّئُ الخُلُقِ * والتَّعاظُلُ تَلازُمُ الجَرادِ والكِلابِ عِندَ السِّفادِ * والعِظْلِمُ الخِطْمِيُّ

نظم

هِيَ هذِي سِوَى النَّوادِرِ فاحْفَظْها لِتَقْفُو آثارَكَ الحُفّاظُ

وَاقْضِ فيما صَرَفْتَ منها كَما تَقْضِيهِ* في أَصْلِهِ كَقَيْظٍ وقاظُوا

فقالَ لهُ الشَّيخُ أَحْسَنْتَ لافُضَّ فُوكَ * ولا بَرَّ مَنْ يَجْفُوكَ * فَوَاللهِ إنَّكَ مَعَ الصِّبا الغَضِّ * لَأَحْفَظُ مِنَ الأَرْضِ * وأَجْمَعُ مِنْ يومِ العَرْضِ * ولَقَدْ أَوْرَدْتُكَ ورُفْقَتَكَ زُلالِي * وثَقَّفْتُكُم تَثْقِيفَ العَوالِي * وأَلْحَقْتُكُم جَناحَ تَكْرِمَتِي * وسَقَيْتُكُم سُلافَةَ كَرْمَتِي * حَتَّى لَحِقْتُم بِالعِلْيَةِ * وتَحَلَّيْتُم مِنَ الأَدَبِ بِأَحْسَنِ الحِلْيَةِ * فاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ * قالَ الحارِثُ بنُ هَمّامٍ فَعَجِبْتُ لِما أَبْدَى مِنْ بَراعَةٍ مَعْجُونَةٍ بِرَقاعَةٍ * وأَظْهَرَ مِنْ حَذاقَةٍ مَمْزُوجَةٍ بِحَماقَةٍ * ولم يَزَلْ بَصَرِي يُصَعِّدُ فيهِ و

يُصَوِّبُ * ويُنقِّر عنه ويُنقِّب * وهو كمَن ينظُرُ في ظلماء * او يسري في يهماء * فلمّا استراث تنبُّهي واستبان تدلُّهي * حملق اليَّ وتبسَّم * وقال لم يبقَ من يتوسَّم * فبُهتُّ لفحوى كلامه * ووجدته ابا زيدٍ عند ابتسامه * واخذتُ الومه على تدبيرِ بُقعة النوكى * وتخيُّرِ حرفةِ الحمقى فكأنَّ وجهه أسفَّ رمادا * او اشرب سوادا * الّا انّه انشد وما تمادى *

نظم

تخيّرتُ حمصَ وهذي الصِّناعة * لأُرزَقَ حظوةَ اهلِ الرّقاعة

فما يصطفي الدهرُ غيرَ الرَّقيع * ولا يُوطِنُ المالَ الّا بقاعه

ولا لأخي اللُّبِّ من دهرهِ * سوى ما لِعَيرٍ ربيطٍ بِقاعه

ثمَّ قالَ أما انَّ التعليم اشرفُ صناعةٍ * واربحُ بضاعةٍ * وانجحُ شفاعةٍ * وافضلُ براعةٍ * وربّه ذو امرةٍ مُطاعةٍ * وهيبةٍ مُشاعةٍ * ورعيّةٍ مِطواعةٍ * يتسيطر تسيطُرَ اميرٍ * ويرتّب ترتيبَ وزيرٍ * ويتحكّم تحكُّمَ قديرٍ * ويتشبّه بذي مُلكٍ كبيرٍ * لولا انّه يُخرَفُ في امدٍ يسيرٍ * ويتّسم بحمقٍ شهيرٍ * يتقلّب بعقلٍ صغيرٍ ولا يُنبّئك مثلُ خبيرٍ * فقلتُ له تاللّه انّك لابنُ الايّام وعَلَمُ الاعلام * والسّاحرُ اللّاعبُ بالافهام * المذلّل له سُبُلُ الكلام * ثمّ لم ازل معتكفا بناديه * مغترفا من سيلِ واديه * الى ان غابت الايّامُ الغُبر * ونابت الاحداثُ الغُبر * ففارقته ولعيني العِبر *

المقامةُ السابعةُ والاربعون الحَجريّة

حَكَى الحارثُ بنُ همّام قال احْتجْتُ الى الحِجامة وانا بحَجْرِ اليمامة * فأُرشدتُ الى شيخٍ يَحْجُمُ بِلَطافةٍ * ويسفِرُ عن نظافةٍ * فبعثتُ غلامي لِاحضارِه * وارصدتُ نفسي لانتظارِه * فابطأ بعدما انطلق * حتّى خِلتُهُ قد ابَقَ * او ركِبَ طبقاً عن طبق * ثمّ عاد عَوْدَ المُخفِقِ مسعاه * الكَلِّ على مولاه * فقلتُ له ويلَكَ ابطأتَ فندٍ * وصلوتَ زندٍ * فزعم انّ الشيخ اشغلُ من ذاتِ النِحْيَيْن * وفي حربٍ كحربِ حُنَين * فعِفتُ المَشْيَ الى احجامٍ * وحِرتُ بين اقدامٍ واحجامٍ * ثمّ رأيتُ الّا تعنيفَ * على من ياتي الكنيف * فلمّا شهدتُ مَوسمَه * وشاهدتُ ميسمَه * رأيتُ شيخاً هيئتُهُ نظيفةٌ * وحركتُه خفيفةٌ * وعليهِ من النظّارةِ اطواقٌ * ومن الزحامِ طِباقٌ * بين يديهِ فتًى كالصَمْصامة * مستهدِفٌ للحِجامة * والشيخُ يقولُ له اراكَ قد ابرزتَ راسَك * قبلَ ان تُبرِزَ قِرطاسَك * ووَلّيتَني قَذالَكَ * ولم تقُلْ لي ذا لك * ولستُ ممّن يبيعُ نقداً بدَينٍ * ولا يطلبُ اثراً بعدَ عَينٍ * فانْ انتَ رَضَختَ بالعَين * حَجَمتُ في الاخدعين * وانْ كنتَ ترى الشحَّ اَولى * وخزنَ الفَلْسِ في النفسِ احلى * فاقرأ عبس وتولّى * واغربْ عنّي والّا * فقال الفتى والّذي حرّمَ صوغَ المَين كما حرّمَ صيدَ الحرمَين * انّي لَأفلسُ من ابنِ يومَين * فثِقْ بسيلٍ تلعتي * وانظِرني الى سعتي *

فقال الشيخ ويحك ان مثل الوعود * كغرس العود * هو بين ان يدركه العطب * او يدرك منه الرطب * فما يدريني أيحصل من عودك جنى * ام احصل منه على ضنى * ثم ما الثقة بانك حين تبتعد * ستفي بما تعد * وقد صار الغدر كالتحجيل * في حلية هذا الجيل * فارحني بالله من التعذيب * وارحل الى حيث يعوي الذئب * فاستوى الغلام اليه * وقد استولى الخجل عليه * وقال والله ما يخيس بالعهد * غير الخسيس الوعد * ولا يرد غديرا الغدر * الا الوضيع القدر * ولو عرفت من انا * لما اسمعتني الخنا * لكنك جهلت فقلت * وحيث وجب ان تسجد بلت * وما اقبح الغربة والاقلال * واحسن قول من قال

* نظم *

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت
لكنه ما تشين الحر منوجعة * فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما اصلي الياقوت جمر غضا * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك * ومولة اهليك * اانت في موقف فخر يظهر * وحسب يشهر * ام موقف جلد يكشط * وقفا يشرط * وهب ان لك البيت كما ادعيت * ايحصل بذلك جم قذالك * لا والله ولو ان اباك اناف * على عبد مناف * او لخالك دان * عبد المدان * فلا تضرب في حديد بارد * ولا تطلب ما لست له بواجد * وباه اذا باهيت بموجودك * لا بجدودك * وبمحصولك * لا باصولك * وبصفاتك لا برفاتك *

وباعلاقك * لابأعراقك * ولا تطع الطمع فيذلك * ولا تتبع الهوى فيضلك * ولله القائل لابنه

* نظم *

بنيّ استقم فالعود تنمي عروقه * قويماً ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى * اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلّق * الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى * على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخونون اذا نبا * زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ * اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم تر ذا نهى * شكى بل اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام النظارة بالعجيبة * والطرفة الغريبة * انف في السماء * واست في الماء * ولفظ كالصهباء * وفعل كالحصباء * ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط * وغيظ مستشيط * وقال أف لك من ضواغ باللسان * رواغ عن الاحسان * تامر بالبر * وتعق عقوق الهر * فان يكن سبب تعنتك نفاق صنعتك * فرماها الله بالكساد * وافساد الحساد * حتى ترى افرغ من حجام ساباط * واضيق رزقاً من سم الخياط * فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الغم * وتبيغ الدم * حتى تلجأ الى حجام عظيم الاشتطاط * ثقيل الاشتراط * كليل المشراط * كثير المخاط والضراط * قال فلما تبين الفتى انه يشكو

اِلىٰ غيرِ مُصمِتٍ * ويُراوِدُ استِفتاحَ بابٍ مُصمَتٍ اَضرَبَ عَنْ رَجْعِ الكلام * واحتفز للقيام وعَلِمَ الشَّيخُ انّهُ قد الامَ * بما اَسْمَعَ الغُلامَ * فجنَح اِلىٰ سِلْمِه * وبَذَلَ اَن يُذعِنَ لِحُكْمِه * ولا يَبغي اَجْرًا على حَجْمِه * وابىٰ الغُلامُ اِلّا المَشْيَ بِدائه * والهَرَبَ مِنْ لِقائه * وما زالا في حِجاجٍ وسِبابٍ * ولِزازٍ وجِذابٍ * اِلىٰ اَنْ ضَجَّ الفتىٰ مِن الشِّقاقِ * وتَلا رُدْنُهُ سُورةَ الانشقاقِ * فاعْوَلَ حِينئذٍ لوفارةِ خُسْرِه * وانعطاطِ عِرضِه وطِمْرِه * واَخَذَ الشَّيخُ يعتَذِرُ مِن فَرَطاتِه * يُغَيِّضُ مِن عَبَراتِه * وهو لا يُصغِي الى اعتذارِه * ولا يُقصِرُ عن استعبارِه * اِلىٰ اَنْ قالَ لهُ فَداكَ عَمُّكَ * وعَداكَ ما يَغُمُّكَ * اَما تَسأمُ الاِعوالَ * اَما تَعرِفُ الاِحتِمالَ اَما سَمِعتَ بِمَنْ قالَ * واَخَذَ بقولِ مَنْ قالَ *

نظم

اَخْمِدْ بِحِلْمِكَ ما يُذْكِيهِ ذُو سَفَهٍ * مِن نارِ غَيظِكَ واصْفَحْ اِنْ جَناجانِي
فَالحِلْمُ افضَلُ ما ازدانَ اللَّبيبُ بِهِ * والاَخذُ بالعَفوِ اَحلىٰ ما جَنىٰ جانِي

فقالَ لهُ الغُلامُ اَما اَنَّكَ لو ظَهَرْتَ على عَيشِيَ المُنكَدِرِ * لعَذَرْتَ في دَمْعِيَ المُنْهَمِرِ * ولكِنْ هانَ على الاَملَسِ ما لاقىٰ الدَّبِرُ * ثمّ كَأنّهُ نَزَعَ الى الاستحياءِ * فاَقلَعَ عن البُكاءِ * وفاءَ الى الاِرْعِواءِ * وقالَ لِلشَّيخِ قد صِرْتُ اِلىٰ ما اشتَهَيتَ * فارْقَعْ ما اَوهَيتَ * فقالَ هَيهاتَ هَيهاتَ شَغَلَتْ شِعابي جَدْواي * فشِمْ بارِقَ سِواي * ثمّ انّهُ نَهَضَ يستَقرِي الصُّفُوفَ * ويستَجدِي الوُقُوفَ * ويُنشِدُ في ضِمنِ ما يَطُوفُ * نظم *

أُقسِمُ بالبيتِ الحرامِ الذي * تهوي اليه الزُّمَرُ المُحرِمَهْ
لو انَّ عندي قوتَ يومٍ لما * مسَّت يدي المشراطَ والمِحجَمَهْ
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل * تسمو الى المجد بهذي السِّمَهْ
ولا اشتكى هذا الفتى غِلظةً * مني ولا شاكَتهُ مني حُمَهْ
لكنْ صُروفُ الدهرِ غادرتني * كخابطٍ في الليلةِ المُظلِمَهْ
واضطرَّني الفقرُ الى موقفٍ * من دونه خوضُ اللظى المُضرَمَهْ
فهل فتىً تُدرِكُهُ رِقَّةٌ * عليَّ او تعطِفُهُ مرحَمَهْ

قال الحارثُ بن همّام فكنتُ اوَّلَ من اوى لبَلواه * ورقَّ لشَكواه * فنفحتُه بدرهمين * وقلتُ لا كانا ولو كانا ذا امين * فابتهج بباكورةِ جَناه * وتفاءَلَ بهما الغِناه * ولم تزل الدراهم تنهالُ عليه * وتنثالُ لديه * حتى آلَ ذا عيشةٍ خضراءَ وحقيبةٍ بجراءَ * فازدهاه الفرحُ عند ذلك * وهنّأ نفسه هنالك * وقال للغلام هذا ربعٌ آنت بذره * وحلبٌ لك شطره * فهلمَّ لنقتسم * ولا نحتشم * فتقاسماه بينهما شقَّ الابلمه * ونهضا متفقي الكلمه * ولمّا انتظم عقدُ الاصطلاح * وهمَّ الشيخ بالرواح * قلتُ له قد تبوّاغ دمي * ونقلتُ اليك قدمي * فهل لك في ان تحجمني * تكفكفَ ما دهمني * فصوَّبَ طرفه في وصعَّد *

ثم ازدلف اليَّ وانشد

* نظم *

كيفَ رأيتَ خُدعتي وختلي * وما جري بيني وبين سخلي

حَتّى انثَنَيتُ فائِزًا بالخَصْلِ * أَرْعى رِياضَ الخِصْبِ بَعْدَ المَحْلِ
بِاللهِ يا مُهْجَةَ قَلْبِي قُلْ لِي * هَلْ أَبْصَرَتْ عَيْنا كَقَطٍّ مِثْلِي
يَفْتَحُ بِالرُّقْيَةِ كُلَّ قُفْلِ * وَيَسْتَبِي بِالسِّحْرِ كُلَّ عَقْلِ
وَيَعْجِنُ الجِدَّ بِماءِ الهَزْلِ * إِنْ يَكُنِ الإِسْكَنْدَرِيُّ قَبْلِي
فَالطَّلُّ قَدْ يَبْدُو أَمامَ الوَبْلِ * وَالفَضْلُ لِلْوابِلِ لا لِلطَّلِّ

قال فَنَبَّهَتْنِي أُرْجُوزَتُهُ عليه * وأَرَتْنِي أَنَّهُ شَيْخُنا المُشارُ إليه * فَقَرَّعْتُهُ على الابْتِذال * والالْتِحاقِ بالأَرْذال * فأَعْرَضَ عَمّا سَمِعَ * ولم يُبَلْ بما قُرِّعَ * وقال كُلَّ الحِذاءِ يَحْتَذِي الحافِي الوَقِعُ * ثُمَّ فاصانِي مُفاصاةَ المُهان * وانْطَلَقَ هو وابْنُهُ كَفَرَسَيْ رِهان * قال أبو محمد القاسم بن عليّ رضي الله عنه * قد أَوْدَعْتُ هذهِ المَقامَةَ بِضْعَةَ عشرَ مَثَلًا من أَمْثالِ العَرَب * وها أنا أُفَسِّرُ منها ما أَخالُهُ يَلْتَبِسُ على من يَقْتَبِسُ * أمّا قوله بَطْءُ فِيدٍ فهو مَوْلى عائِشَةَ بِنْتِ سَعْدِ بنِ أبي وَقّاصٍ وكانت بَعَثَتْهُ بالمَدِينَةِ لِيَقْتَبِسَ لها نارًا فقَصَدَ مِصْرَ وأَقامَ بها سَنَةً ثمَّ جاءها بعد السَّنَةِ يَشْتَدُّ ومعه جَمْرٌ فتَبَدَّدَ منه فقال تَعِسَتِ العَجَلَةُ * وأمّا ذاتُ النِّحْيَيْنِ فهي امْرَأَةٌ من تَيْمِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ حَضَرَتْ سُوقَ عُكاظَ ومعها نِحْيا سَمْنٍ فاسْتَخْلى بها خَوّاتُ بنُ جُبَيْرٍ الأَنْصارِيُّ لِيَبْتاعَهُما منها ففَتَحَ أَحَدَهُما وذاقَهُ ودَفَعَهُ إليها فأَخَذَتْهُ بِإِحْدى يَدَيْها ثمَّ فَتَحَ الآخَرَ وذاقَهُ ودَفَعَهُ إليها فأَمْسَكَتْهُ بِيَدِها الأُخْرى ثُمَّ غَشِيَها وهي لا تَقْتَدِرُ على الدَّفْعِ عن نفسها لِحِفْظِها فَمَ

النِّحْيَيْنِ وشُحِّها على السَّمْنِ فلمّا قام عنها قالَتْ لا هَنَأَكَ فَضُرِبَ المَثَلُ فيمن شُغِلَ وهى في هذا المَثَلِ مفعولةٌ لِانَّها شُغِلَتْ واَكْثَرُ الامثالِ التي على افْعَلَ ياتِي من فِعْلِ الفاعل * واما قوله اَنْفٌ فِي السَّماءِ واِسْتٌ فِي الماءِ فيُضْرَبُ هذا المَثَلُ لِمَنْ يَتَكَبَّرُ مَقالاً ويَصْغُرُ فَعالًا * واما قوله اَفْرَغُ مِن حَجّامِ ساباطَ فذُكِرَ انَّه كانَ حَجّامًا مُلازِمًا ساباطَ المَدائِنِ يَحْجُمُ الجُنْدِيَّ بِدانِقٍ نَسِيئَةً ورُبَّما مَرَّتْ عليه بُرْهَةٌ لا يَقْرَبُهُ فيها اَحَدٌ فكان يبرُزُ اُمَّهُ عِنْدَ تَمادِي عُطْلَتِهِ فيَحْجُمُها لِكَيْلا يُقْرَعَ بالبَطالة فمازال يَحْجُمُها حَتّى نَزَفَ دَمُها وماتَتْ * واما قوله يَشْكُو الى غيرِ مُصَمِّتٍ فهو مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَن لا يَكْتَرِثُ بِشانِ صاحِبِه ولا يُبالِي باستمرارِ شكايَتِه لانه لَوْ اَشكاه لصَمَتَ واَمْسَكَ عن الكلام ومنه قول الراجِزِ يُخاطِبُ جَمَلاه

*** نظم ***

اِنَّكَ لا تَشْكُو اِلى مُصَمِّتِ * فاصْبِرْ عَلَى الحَمْلِ الثَّقِيْلِ او مُتِ

ونحوهٰذا المَثَلِ هانَ على الاَمْلَسِ ما لاقَى الدَّبِرُ * واَمّا قَوْلُه شَغَلَتْ شِعابِي جَدْوايَ فالمراد به انه لَيْسَ يَفْضُلُ عَنِّي ما اَصْرِفُه اِلى غيري والشِّعابُ النَّواحِي واحِدُها شِعْبٌ * وقوله كُلُّ الحِذاءِ يَحْتَذِي الحافِي الوَقِعُ معناه اَنَّ المجهودَ يَقْنَعُ بِما يَجِدُ والوَقِعُ اَن تُصِيبَ الحِجارَةُ القَدَمَ فتُوهِنَها * فاَمّا البَعِيرُ المُوَقَّعُ فهو الذى يَكْثُرُ آثارُ الدَّبَرِ بِظَهْرِه *

المقامة الثامنة والاربعون الحرامية

رَوَى الحارث بن همّام عن ابى زيد السّروجى * قال مازلتُ مُذ رحلتُ عنسى * وارتحلتُ عن عِرسى وغرسى * أحنّ الى عيانِ البصرة * حنينَ المظلوم الى النّصرة * لما اجمع عليه ارباب الدّراية * واصحاب الرّواية * من خصائص معالمها وعلمائها * ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل الله تعالى ان يوطئنى ثراها * لافوز بمرآها * وان يمطينى قراها * لاقترى قراها * فلما احلّنيها الحظّ * وسرح لى فيها اللحظ * نظم

رأيتُ بها ما يملأ العينَ قرّةً * ويُسلى عن الاوطانِ كلَّ غريبِ

فغلستُ فى بعض الايام * حين نصل خضاب الظلام *

وهتف ابو المنذر بالنوام * لاخطو فى خططها * واقضى الوطر من توسّطها * فادّانى الاختراق فى مسالكها * والانصلات فى سككها * الى محلّة موسومة بالاحترام * منسوبة الى بني حرام * ذات مساجد مشهودة * وحياض موروده * ومبانٍ وثيقة * ومغانٍ انيقة * وخصائص اثيرة * ومزايا كثيرة * نظم *

بها ما شئت من دينٍ ودنيا * وجيرانٍ تنافوا فى المعانى

فمشغوفٌ بآيات المثانى * ومفتونٌ برنّات المثانى

ومضطلعٌ بتلخيص المعانى * ومطّلعٌ الى تخليص عانى

وكم من قارئٍ فيها وقارٍ * اضرّا بالجفون وبالجفانِ

وكم من معلّمٍ للعلم فيها * ونادٍ للندى حلو المجاني

ومغنى ما تزال تغنّ فيه * أغاريدُ الغواني والأغاني

فصِلْ إن شئتَ فيها من يصلّي * وإمّا شئتَ فادنُ من الدنانِ

ودونك صحبةَ الأكياسِ فيها * أو الكاساتِ مُنطلقَ العنانِ

قال فبينما أنا أنفض طُرُقَها * وأستشفّ رونقها * إذ لمحتُ عند دلوك براحٍ * وإظلال الرواح * مسجدًا مشتهرًا بطرائفه * مزدهرًا بطوائفه * وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل * وجروا في حلبة الجدل * فعجتُ نحوهم * لا لأستمطر نوءهم * لا لأقتبس نحوهم * فلم يكُ إلّا كقبسة العجلان * حتى ارتفعت الأصواتُ بالأذان * ثم ردفَ التأذين بروزُ الإمام * فأغمدتْ ظُبى الكلام * وحُلَّتِ الحُبى للقيام * شُغِلنا بالقنوت * عن استمداد القوت * وبالسجود * عن استنزال الجود * ولمّا قُضيَ الفرض * وكاد الجمع ينفضّ * انبرى من الجماعة * كهلٌ حلو البراعة * له مع السمتِ الحسن * ذلاقةُ اللَّسَن وفصاحةُ الحسن * وقال يا جيرتي الذين اصطفيتُهم على أغصان شجرتي * وجعلتُ خطّتهم دار هجرتي * واتخذتهم كرشي وعيبتي * وأعددتهم لحضري وغيبتي * أما تعلمون أنّ لبوسَ الصدق أبهى الملابس الفاخرة وأنّ فضوح الدنيا أهونُ من فضوح الآخرة * وأنّ الدين إمحاضُ النصيحة * والإرشادَ عنوانُ العقيدةِ الصحيحة * وأنّ المستشارَ مؤتمنٌ * والمسترشدَ بالنصح قمنٌ * وأنّ أخاك هو الذي عذلك * لا الذي

عذرك * وصديقك من صدقك * لا من صدّقك * فقال له الحاضرون ايها الخِل
الودود * والخِدن المودود * ما سِرّ كلامك المُلغز * وما شرح خطابك الموجز *
وما الذي تبغيه منا لينجز * ولو أعجز * فوالذي حبانا بمحبتك * وجعلنا من صفوة
احبتك * ما زالوك نُصحا * ولا ندّخر عنك نصحا * فقال لهم جُزيتم خيرا * ووُقيتم
ضيرا فانكم من لا يشقى بهم جليس * ولا يصدر عنهم تلبيس * ولا يخيب فيهم مظنون
* ولا يطوى دونهم مكنون * سأبثكم ما حاك في صدري * واستفتيكم فيما عيل
له صبري * اعلموا اني كنت عند صلود الزند * وصدود الجَدّ * اخلصت مع الله نية
العقد * واعطيته صفقة العهد * على ان لا اسبأ مداما * ولا اعاقر ندامى * ولا احتسي
قهوة * ولا اكتسي نشوة * فسولت لي النفس المضلة * والشهوة المزلة * ان نادمت
الابطال * وعاطيت الارطال * واضعت الوقار * وارتضعت العقار * وامتطيت
مطا الكميت * وتناسيت التوبة كالميت * ثم لم اقنع بما اتيتكم المرة * في طاعة ابي مرة *
حتى عكفت على الخندريس * في يوم الخميس * وبت صريع الصهباء * في الليلة
الغراء * وها انا بادي الكآبة * لرفض الانابة * نامي الندامة * لوصل المدامة *
شديد الاشفاق * من نقض الميثاق * معترف بالاسراف * في عب السلاف *
فيا قوم هل كفارة تعرفونها تبعدني من ذنبي * وتدنيني الى ربي * قال ابو زيد فلما حل
انشوطة نفثه * وقضى الوطر من اشكاء بثه * ناجتني نفسي يا ابا زيد هذه نهزة

صَيدٍ * فشمّرَ عن يدٍ وأيدٍ * فانتهضتُ من مجثمي انتهاضَ الشهْمِ * وانخرطتُ من الصفّ انخراطَ السهْمِ * وقلتُ *

* نظم *

أيّها الأروعُ الّذي * فاقَ مجداً وسؤددا
والّذي يبتغي الرشا * دَ لينجو به فدا
إنّ عندي علاجَ ما * بِتَّ منه مُسهَّدا
فاستمعْها عجيبةً * فادَرتني مُلدَّدا
أنا من ساكني سرو * جَ ذوي الدينِ والهُدى
كنتُ ذا ثروةٍ بها * ومُطاعاً مُسوَّدا
مَرْبعي مألَفُ الضيو * فِ ومالي لهم سُدى
أشتري الحمدَ باللهى * وأقي العِرضَ بالجَدا
لا أُبالي بمنفسٍ * طاحَ في البذلِ والندا
أوقِدُ النارَ باليفا * عِ إذا النكسُ أخمدا
ويراني المؤمِّلو * نَ ملاذاً ومقصِدا
لم يشمْ بارقي صدٍ * فانثنى يشتكي الصدا
لا ولا رامَ قابسٌ * قدحَ زندي فأصلدا
طالما ساعدَ الزما * نُ فأصبحتُ مُسعِدا

فقضى الله أن يغيّر * ما كان مفسدا
بوّأ الروم أرضنا * بعد ضغن تولّدا
فاستباحوا حريم من * صادفوه موحّدا
وحووا كلّ ما استسرّ * بها لي وما بدا
فتطوّحت في البلاد * طريدا مشرّدا
أجتدي الناس بعد ما * كنت من قبل مجتدى
وترى بي خصاصة * أتمنّى لها الردى
والبلاء الذي به * شمل أنسي تبدّدا
استباء ابنتي التي * أسروها لتفتدا
فاستبن محنتي ومدّ * إلى نصرتي يدا
وأجرني من الزمان * فقد جار واعتدا
وأعنّي على فكاك * ابنتي من يد العدا
فبذا تنمحي المآ * ثم عمّن تمرّدا
وبه تقبل الإنابة * ممّن تزهّدا
وهو كفّارة لمن * زاغ من بعد ما اهتدى
ولئن قمت منشدا * فلقد فهت مرشدا .

فَاقْبَلِ النُّصْحَ وَالْهِدَايَةَ وَاشْكُرْ لِمَنْ هَدَا
وَاسْمَعِ الْآنَ بِالَّذِي * يَتَسَنَّى لِتُحْمَدَا

قال ابو زيد فلمّا اتممتُ هذرمتي * وأوهمتُ المسئولَ صدقَ كلمتي * أغراه القرمُ الى الكرم بمواساتي * ورغّبه الكلفُ بحملِ الكلفِ في مفاساتي * فرضخ لي على الحافرة * ونضح لي بالعدّة الوافرة * فانقلبتُ الى وكري * فرحًا بنجح مكري * وقد حصلتُ من صوغ المكيدة * على سوغ الثريدة * ووصلتُ من حوك القصيدة * الى لوك العصيدة * قال الحارث بن همّام فقلتُ له سبحانَ من أبدعك * فما أعظم خدعك * فاستغرب في الضحك * ثمّ أنشد غير مرتبك

نظم

عِشْ بِالْخِدَاعِ فَأَنْتَ فِي * دَهْرٍ بَنُوهُ كَأُسْدِ بِيشَهْ
وَأَدِرْ قَنَاةَ الْمَكْرِ حَتَّى تَسْتَدِيرَ رَحَى الْمَعِيشَهْ
وَصِدِ النُّسُورَ فَإِنْ تَعَذَّرَ صَيْدُهَا فَاقْنَعْ بِرِيشَهْ
وَاجْنِ الثِّمَارَ فَإِنْ تَفُتْكَ فَرَضِّ نَفْسَكَ بِالْحَشِيشَهْ
وَأَرِحْ فُؤَادَكَ إِنْ نَبَا * دَهْرٌ مِنَ الْفِكَرِ الْمُطِيشَهْ
فَتَغَايُرُ الْأَحْدَاثِ يُؤْذِنُ بِاسْتِحَالَةِ كُلِّ عِيشَهْ

المقامة التاسعة والاربعون

حكى الحارث بن همّام * قال بلغني انّ ابا زيد حين ناهز القبضة * وابتزّه قيد الهرم

النَّهضة * اَحضَر ابنَه * بعد ما استجاش ذِهنَه * وقال له يابُنَيَّ اِنَّهُ قد دَنا ارتحالي مِنَ
الفناء * واكتحالي بِمِروَدِ الفَناء * واَنتَ بحمد الله وَليُّ عَهدي * وكَبشُ الكتيبة
الساسانيةِ من بعدي * ومثلك لاتُقرع له العصا * ولا يُنَبَّهُ بطَرقِ الحصا * ولكن قد
نُدِبَ اِلى الاذكار * وجُعِلَ صيقلاً للافكار * واِنّي اُوصيك بما لم يُوصِ به شيثُ
الانباط * ولا يعقوبُ الاسباط * فاَحفَظ وصيّتي * وجانِب معصيتي * واحذُ مِثالي *
وافقَه اَمثالي * فاِنَّكَ اِن استرشدتَ بنُصحي * واستصبحتَ بِصُبحي * اَمرَعَ خانُك
* وارتفعَ دُخانُكَ واِن تناسيتَ سورتي * ونبذتَ مَشورتي * قَلَّ رَمادُ اَثافيك *
وَزَهِدَ اَهلُك ورَهطُكَ فيك * يابُنَيَّ اِنّي جَرَّبتُ حقائقَ الاُمور * وبلوتُ تصاريفَ
الدُّهور * فرَاَيتُ المرءَ بِنَشَبِه لا بِنَسَبِه * والفحصَ عن مَكسَبِه * لا عن حَسَبِه *
وكُنتُ سمعتُ اَنَّ المعايشَ اِمارةٌ وتِجارةٌ * وزِراعةٌ وصِناعةٌ * فمارستُ هذه الاربع
* لِاَنظُرَ اَيُّها اَوفقُ واَنفع * فما اَحمدتُ منها مَعيشةً * ولا استرغدتُ فيها عِيشةً *
اَمّا فُرَصُ الوِلايات * وخُلَسُ الاِمارات * فكَاَضغاثِ الاَحلام * والفَيءِ المُنتَسِخ
بالظَّلام * وناهيكَ غُصَّةً بمرارةِ الفِطام * واَمّا بَضائعُ التِّجارات * فعُرضةٌ للمُخاطَرات
* وطُعمةٌ للغارات * وما اشبهها بالطُّيورِ الطيّارات * واَمّا اتّخاذُ الضِّياع * والتّصدّي
لِلازدِراع * فمَنهَكةٌ لِلاَعراض * وقُيودٌ عائقةٌ عن الارتكاض * فلّما خَلا ربُّها
من اِذلالٍ * او رُزِقَ رَوحَ بالٍ * واَمّا حِرَفُ اُولي الصِّناعات * فغيرُ فاضلةٍ عن

الاقوات * ولانا فقة في جميع الاوقات * ومعظمها معصوب بشبيبة الحيوة ولم ارما
هو بارد المغنم * لذيذ المطعم * وافي المكسب * صافي المشرب * الا الحرفة التي وضع
ساسان اساسها * ونوّع اجناسها * واضرم في الخافقين نارها * واوضح لبني غبراء
منارها * فشهدت وقائعها معلما * واخترت سيما هالي ميسماً * اذ كانت المتجر الذي
لا يبور * والمنهل الذي لا يغور * والمصباح الذي يعشوا اليه الجمهور * ويستصبح به
العمي والعور * وكان اهلها اعز قبيل * واسعد جيل * لا يرهقهم مس حيف * ولا
يقلقهم سل سيف * ولا يخشون حمة لاسع * ولا يدينون لدان ولاشاسع * ولا يرهبون من برق
ورعد * ولا يحفلون بمن قام وقعد * انديتهم منزهة * وقلوبهم مرفهة * وطعمهم معجلة
* واوقاتهم غر محجلة * اينما سقطوا لقطوا * وحيثما انخرطوا خرطوا * لا يتخذون
اوطانا * ولا يتقون سلطانا * ولا يمتازون عما تغدو خماصا * وتروح بطانا * فقال له
ابنه يا ابت لقد صدقت فيما نطقت * ولكنك رتقت وما فتقت * فبين لي كيف
اقتطف * ومن اين تؤكل الكتف * فقال يا بني ان الارتكاض بابها * والنشاط
جلبابها * والفطنة مصباحها * والقحة سلاحها * فكن اجول من قطرب * واسرى
من جندب * وانشط من ظبي مقمر * واسلط من ذئب متنمر * واقدح زند جدك *
بجدك * واقرع باب رعيك * بسعيك * وجب كل فج * وخض كل لج * وانتجع
كل روض * والق دلوك الى كل حوض * ولا تسام الطلب * ولا تمل الدأب *

فقد كان مكتوباً على عصا شيخنا ساسان من طلب * جلب * ومن جال * نال * واياك والكسل فانه عنوان النحوس * ولبوس * ذوي البؤس * ومفتاح المتربه * ولقاح المتعبة * شيمة العجزة الجهاله * وشنشنة الوكلة * النكله * وما اشتار العسل من اختار الكسل * ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة * وعليك بالاقدام * ولو على الضرغام * فان جراءة الجنان * تنطق اللسان * تطلق العنان * وبها تدرك الحظوة * وتملك الثروة * كما ان الخور صنو الكسل * وسبب الفشل * ومبطاة العمل * مخيبة الأمل * لهذا قيل في المثل * من جسر * ايسر * ومن هاب * خاب * ثم ابرز يا بني في بكور ابي زاجر * وجراءة ابي الحارث * وحزامة ابي قرة * وختل ابي جعدة * وحرص ابي عقبة * ونشاط ابي وثاب * ومكر ابي الحصين * وصبر ابي ايوب * وتلطف ابي غزوان * وتلون ابي براقش * واخلب بصوغ اللسان * واخدع بسحر البيان * وارتد السوق قبل الجلب * وامتر الضرع قبل الحلب * وسائل الركبان قبل المنتجع * ومهد لجنبك قبل المضطجع * واشحذ بصيرتك للعيافه * وانعم نظرك في القيافه * فان من صدق توسمه * طال تبسمه * ومن اخطأت فراسته * ابطأت فريسته * وكن يا بني خفيف الكل * قليل الدل * راغباً عن الغل * قانعاً من الوابل بالطل * وعظم وقع الحقير * واشكر على النقير * ولا تقنط عند الرد * ولا تستبعد رشح الصلد * ولا تيأس من روح الله انه

لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * واذا خيرت بين ذرة منقودة * ودرة موعودة * فمل الى النقد * وفضل اليوم على الغد * فان للتأخير آفات * وللعزائم بدوات * وللعدات معقبات * وبينها وبين النجز عقبات * وعليك بصبر اولي العزم * ورفق ذوي الحزم * وجانب خرق المشتط * وتخلق بالخلق السبط * وقيد الدرهم بالربط * وشب البذل بالضبط * ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط * ومتى نبا بك بلد * اونابك فيه كمد * فبت منه املك * واسرح عنه جملك * فخير البلاد ما حملك * ولا تستثقلن الرحله * ولا تكرهن النقله * فان اعلام شريعتنا * واشياخ عشيرتنا * اجمعوا على ان الحركة بركة * والطراءة مفتجة * وزروا على من زعم ان الغربة كربة * والنقلة مثلة * وقالوا هي تعلة من اقتنع بالرذيله * ورضي بالحشف وسوء الكيله * واذا ازمعت الاغتراب * واعددت له العصا والجراب * فتخير الرفيق المسعد * من قبل ان تصعد * فان الجار قبل الدار * والرفيق * قبل الطريق * نظم

خذها اليك وصية * لم يؤتها قبلي احد

غراء حاوية خلاصات المعاني والزبد

نقحتها تنقيح من * محض النصيحة واجتهد

فاعمل بما مثلته * عمل اللبيب اخي الرشد

حَتّٰى يقولَ النَّاسُ هٰذا الشِّبْلُ مِن ذاكَ الاَسَدْ *

ثمَّ قال لهُ يا بُنَيَّ قد اَوْصَيتُ * واستَقْصَيتُ * فاِنِ اقتدَيتَ * فوا هاً لكَ * واِنِ اعتَدَيتَ فآهاً منكَ * واللّٰهُ خَلِيفَتِي عليكَ * وأَرْجُو أَنْ لا تُخالِفَ ظَنِّي فِيكَ * فقالَ له ابنُهُ يا اَبَتِ لا وُضِعَ عَرْشُكَ * ولا رُفِعَ نَعْشُكَ فلقد قُلتَ سَدَداً * وعلَّمتَ رَشَداً * وَبَيَّنتَ لي سُؤْدَداً * ونَحَلتَ ما لم ينحَلْ والدٌ وَلَداً * ولَئِنْ أُمْهِلْتُ بعدَكَ * ولا ذُقتُ فَقْــدَكَ * فلَأَتَأَدَّبَنَّ بآدابِكَ الصّالِحَة * ولَأَقتَــدِيَنَّ بآثارِكَ الواضِحَة * حتّى يُقالَ ما اَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبارِحَة * والغادِيَةَ بالرّائِحَة * فاهتزَّ ابو زيد لِجَوابِه وابتسم * وقال مَنْ اَشْبَهَ اَباهُ فما ظَلَم * قال الحارثُ بن همّام فأُخبِرتُ اَنَّ بَنِي ساسان * حِينَ سَمِعُوا هٰذه الوَصايا الحِسان * فضَّلوها على وَصايا لُقمان * وحفِظوها كما تُحفَظُ اُمُّ القُرْآن * حتّى اَنهم لَيَرَوْنها الى الآن * اَوْلى ما لَقَّنُوهُ الصِّبْيــان * وَأَنْفَعَ لهم من نِحْلَةِ العِقيان *

* المقامةُ الخمسون البصرية *

حكى الحارثُ بنُ همّام * قال اُشعِرْتُ في بعضِ الأيّام همّاً بَرَّحَ بي استِعارُهُ * ولاحَ عليَّ شِعارُهُ * وكنتُ سَمِعتُ اَنَّ غِشيانَ مَجالِسِ الذِّكْر * يَسْرُو غَواشِيَ الفِكر * فلم اَرَ لاطفاءِ ما بي مِنَ الجَمرَه * اِلّا قَصْدَ الجامعِ بالبَصْرَه * وكانَ اِذ ذاكَ ماهُولَ المَسانِد * مَشْفُوهَ المَوارِد * يُجتَنَى مِنْ رِياضِهِ ازاهِيرُ الكَلام * ويُسمَعُ في اَرجائِهِ

صَرِيرُ الأَقلامِ * فطلقتُ اليه غيرَ وانٍ * ولا لاوٍ على شانٍ * فلمّا وَطِئتُ حصاه *
واستشرفتُ اقصاه * ترا أى لى ذو اطمارٍ باليةٍ * فوق صَخرةٍ عاليةٍ * وقد عصبت
به عُصبٌ لا يُحصى عَدِيدُهم * ولا ينادى وَلِيدُهم * فابتدرتُ قصدَه * وتوردتُ
وِردَه * ورَجَوتُ ان اَجِدَ شِفائِي عِندَه * ولم اَزَل انتقِلُ فى المَراكِزِ * واُغضِى
للاّكِزِ والواكِزِ * الى ان جلستُ تُجاهَه * وبحيثُ اَمِنتُ اشتِباهَه * فاذا هو
شيخُنا السَّرُوجيُّ لا رَيْبَ فيه * ولا لَبسَ يُخفِيه * فتسرّى بِمَرآهُ هَمِّي * وارفضّت
كَتِيبَةُ غَمِّي * وحِينَ رَآنِي * وبَصُرَ بِمَكانِي * قال يا اَهلَ البَصرةِ رَعاكُمُ اللّهُ و
وَقاكُمُ * وقَوّى تُقاكُم * فما اَضوَعَ رَيّاكُم * واَفضَلَ مَزاياكُم * بَلَدُكم
اَوفَى البِلادِ طُهرةً * وازكاها فِطرةً * وافسحها رُقعةً * وامرعها نُجعةً * واقومها قِبلةً *
واوسعها دِجلةً * واكثرها انهاراً ونخلةً * واحسنها تفصيلاً وجُملةً * دِهليزُ البَلَدِ الحرام
* وقُبالَةُ البابِ والمَقامِ * واَحَدُ جَناحَيِ الدُّنيا * والمِصرُ المُؤَسَّسُ على التَّقوى * لم يَتَدَنَّس
بِبُيُوتِ النِّيرانِ * ولا طِيفَ فيه بالاَوثانِ * ولا سُجِدَ على اَدِيمِهِ لِغَيرِ الرَّحمٰنِ *
ذُو المَشاهِدِ المَشهُودةِ * والمَساجِدِ المَقصُودةِ * والمَعالِمِ المَشهُورةِ * والمَقابِرِ المَزُورةِ *
والآثارِ المَحمُودةِ * والخِطَطِ المَحدُودةِ * به تَلتَقِى الفُلكُ والرِّكابُ * والحِيتانُ
والضِّبابُ * والحادِى والمَلاّحُ * والقانِصُ والفَلاّحُ * والنّاشِبُ والرّامِحُ * والسّارِحُ
والسّابِحُ * وله آيةُ المَدِّ الفائِضِ * والجَزرِ الغائِضِ * وامّا انتم فمَن لا يَختلِفُ فى

خَصائصِهم اِثنان * ولا يُنكِرُهانُ وشَنْآن * دَهماءُكم اَطْوَعُ رعيّةٍ للسلطان * واشكرُهم
لاِحسان * وزاهِدُكم اَورعُ الخليقة * واَحسَنُهم طريقةً على الحقيقة * وعالِمُكم
عَلّامةُ كلِّ زمانٍ * والحُجّةُ في كلِّ اوانٍ * مِنكم مَن اِستنبطَ عِلمَ النّحوِ ووضعه *
والّذي ابتدعَ ميزانَ الشِّعرِ واخترعه * وما مِن فخرٍ الّا لكم فيه اليدُ الطُّولى *
والقِدْحُ المُعلّى * واَنتم اَحقُّ به واَولى * ثمّ اِنّكم اَكثرُ اَهلِ مِصرٍ مؤذِّنين
* واَحسَنُهم في النُّسكِ قوانين * وبِكُم اقتُدِيَ في التَّعريف * وعُرِفَ التَّسحيرُ في
الشَّهرِ الشريف * ولكم اِذا قَرّتِ المضاجع * وهَجَعَ الهاجع * تذكارٌ يُوقِظُ النّائم * ويُؤنِسُ
القائم * وما ابتسمَ ثَغرُ فجرٍ * ولا بزغَ نورُهُ في بَردٍ ولا حَرٍّ * الّا وليتاذينِكم بالاَسحار * دَوِيٌّ
كدويِّ الرِّيحِ في البِحار * وبهذا منكم صَدَعَ النَّقلُ * واَخبرَ النّبيُّ عليه السّلام مِن قَبلُ *
وبيّنَ اَنَّ دويَّكم بالاَسحار * كدويِّ النَّحلِ في القِفار * فشَرَفًا لكم بِبِشارةِ المُصطفى *
وواهًا لمِصرِكم واِن كان قد عفا * ولم يَبقَ منه الّا شفا * ثمّ اِنّه خَزَنَ لِسانَه * وخَطَمَ
بيانَه * حتّى حَدَجَ بالابصار وقُرِفَ بالاِقصار * فتنفّسَ تنفُّسَ مَن قِيدَ للقَوَدِ * اوضَبَثَتْ
به براثِنُ اَسَدٍ * ثمّ قال اَمّا اَنتم يا اَهلَ البَصرة فما مِنكم الّا العَلَمُ المعروف *
ومَن له المَعرِفةُ والمعروف * واَمّا اَنا فمَن عرَفَني فاَنا ذاك * وشَرُّ المَعارِفِ
مَن آذاك * ومَن لم يُثبِتْ عِرفتي * فساَصدُقه صِفَتي * اَنا الّذي اَنجَدَ واَتْهَم *
واَيمَنَ واَشْأَمَ * واَصحَرَ واَبحَرَ * واَدلَجَ واَسحَرَ * نَشأْتُ بِسَروجَ * ورُبِّيتُ

على السُروج * ثم وَلَجتُ المَضائِق * وفَتَحتُ المَغالِق * وشَهِدتُ المَعارِك * والَنتُ العَرائِك * واقتَعَدتُ الشَّوامِس * وارغَمتُ المَعاطِس * واذَبتُ الجَوامِد * وامَعتُ الجَلامِد * سَلوا عَنّي المَشارِق والمَغارِب * والمَناسِمِ والغَوارِب * والمَحافِلَ والجَحافِلَ والقَبائِلَ والقَنابِلَ * واستَوضِحوني مِن نَقَلَةِ الاَخبار * ورُواةِ الاَسمار * وحُداةِ الرُّكبان * وحُذّاقِ الكُهّان * لِتَعلَموا كَم فَجٍّ سَلَكتُ * وحِجابٍ هَتَكتُ * ومَهلَكةٍ اقتَحَمتُ * ومَلحَمةٍ الحَمتُ * وكَم اَلبابٍ خَدَعتُ * وبِدَعٍ ابتَدَعتُ * وفُرَصٍ اختَلَستُ * وأُسدٍ افتَرَستُ * وكَم مُحاقٍ غادَرتُه لَقيً * وكامِنٍ استَخرَجتُه بالرُّقى * وحَجَرٍ سَحَرتُه حتّى انصَدَع * واستَنبَطتُ زُلالَهُ بالخُدَع * ولكِن فَرَطَ ما فَرَطَ والغُصنُ رَطيبٌ * والفَودُ غِربيبٌ * وبُردُ الشَّبابِ قَشيبٌ * فاَمّا الآن وقَد امتَشَّ الاَديم * وتَاَوَّدَ القَويم * واستَنارَ اللَّيلُ البَهيم * فلَيسَ اِلّا النَّدَمُ اِن نَفَع * وتَرقيعُ الخَرقِ الّذي قَد اتَّسَع * وكُنتُ رُوِيتُ في الآثارِ المُسنَدة * والاَخبارِ المُعتَمَدة * اَنَّ لَكُم مِنَ اللهِ تعالى في كُلِّ يومٍ نَظرةً * واَنَّ سِلاحَ النّاسِ الحَديدُ وسِلاحَكُم الاَدعِيَة * فَقَصَدتُكُم اُنضي الرَّواحِلَ * واَطوي المَراحِلَ * حتّى قُمتُ هذا المَقامَ فيكم * ولا مَنَّ لي عليكم * اذ ما سَعَيتُ اِلّا في حاجَتي * ولا تَعِبتُ اِلّا لِراحَتي * ولَستُ اَبغي اَعطِيَتَكم * بَل اَستَدعي اَدعِيَتَكُم * ولا اَساَلُكُم اَموالَكُم * بل استَنزِلُ سُؤالَكُم * فادعوا اللهَ تعالى بتَوفيقي لِلمَتاب * والاِعدادِ لِلمَآب * فاِنَّهُ رَفيعُ

الدَّرَجات * ومُجيبُ الدَّعْوات * وهُوَ الَّذي يَقبَلُ التَّوْبَةَ عن عِبادِه ويَعفُو عنِ السَّيِّآت * ثمَّ أنشَدَ

* نظم *

أستَغفِرُ اللهَ مِنْ ذُنُوبٍ * أفرَطتُ فيهِنَّ واعتَدَيتُ
كم خُضتُ بَحرَ الضَّلالِ جَهْلاً * ورُحْتُ في الغَيِّ واعتَدَيْتُ
وكم أَطَعتُ الهوى اغتِرارًا * واحتَلْتُ واغتَلْتُ وافتَرَيْتُ
وكم خَلَعتُ العِذارَ رَكضًا * إلى المَعاصِي وما وَنَيْتُ
وكم تَناهَيتُ في التَّخَطِّي * إلى الخَطايا وما انتَهَيتُ
فَليتَني كُنتُ قبلَ هٰذا * نَسيًا ولم أَجْنِ ما جَنَيْتُ
فالمَوتُ لِلمُجرِمِين خَيرٌ * مِنَ المَساعِي الَّتي سَعَيتُ
يا رَبِّ عَفوًا فأنتَ أَهْلٌ * لِلعَفوِ عَنِّي وإنْ عَصَيتُ

قال الرَّاوي فطَفِقَتِ الجَماعةُ تُمِدُّه بالدُّعاء * وهو يُقَلِّبُ وَجهَهُ في السَّماء * إلى أنْ دَمَعَتْ أَجفانُه وبَدَا رَجَفانُه * فَصاحَ اللهُ أَكبَرُ بانَتْ أَمارةُ الاستِجابَه * وانجابَتْ غِشاوَةُ الاستِرابَه * فجُزِيتم يا أهلَ البَصرَه * جزاءَ مَنْ هَدى مِنَ الحَيرَه * فلم يَبقَ في القَومِ إلَّا مَنْ سُرَّ لِسُرُورِه * ورَضَخَ له بِمَيسُورِه * فقَبِلَ عَفْوَ بِرِّهم * وأَقبَلَ يَهرِفُ في شُكرِهم * ثمَّ انحَدَرَ مِنَ الصَّخرَه * يَؤُمُّ شاطِئَ البَصرَه * وأَتبَعتُه إلى حيثُ تَخالَيْنا * وأَمِنَّا المُتَجَسِّسَ

والتَّجسس علينا * فقُلْتُ له لقد اغربت فی هذه النوبة * فما رأيك في النوبة * فقال أُقسم بعلّام الخفيّات * وغفّار الخطيّات * انّ شأني لعُجاب * وانّ دعاء قومك لمجاب * فقلتُ زدني افصاحا * زادك الله صلاحا * فقال وابيك لقد قُمْتُ فيهم مقام المريب الخادع * ثم انقلبتُ بقلب المنيب الخاشع * فطوبى لمن صغتْ قلوبهم اليه * وويلٌ لمن يتواعدون عليه * ثم ودّعني وانطلق * واودعني القلق * فلم ازل اغاني الفكر * واتشوّف الى خبرة ما ذكر * وكلّما استنشيتُ خبره من الرّكبان * وجوّابة البلدان * كنتُ كمن حاور عجماء * او نادى صخرةً صمّاء * الى ان لقيتُ بعد تراخي الامد * وتراقي الكمد * ركبا قافلين من سفر * فقلتُ هل من مغرّبة خبر * فقالوا انّ عندنا لخبرا اغرب من العنقاء * واعجب من نظر الزّرقاء * فسألتهم ايضاح ما قالوا * وان يكيلوا لي بما اكتالوا * فحكوا انّهم المّوا بسروج * بعد ما فارقها العلوج * فرأوا بها ابا زيدها المعروف * قد لبس الصّوف * وامّ الصّفوف * وصار بها الزّاهد الموصوف * فقلتُ اتعنون ذا المقامات * فقالوا انّه الآن ذو الكرامات * فحفزني اليه النّزاع * ورأيتها فرصة لا تضاع * فارتحلتُ رحلة المجدّ * وسرتُ نحوه سيرا المجدّ * حتّى حللتُ بمسجده * وقرارة متعبّده * فاذا به قد نبذ صحبة اصحابه * وانتصب في محرابه * وهو ذو عباءة مخلولة * وشملة موصولة * فهبته مهابة

مَن وَلَجَ على الأسْوَد * والفِتْيَةَ مِمَّنْ سِيماهُم في وُجُوهِهِم مِن أثَرِ السُّجُود * وَلَمّا فَرَغَ مِن سُبْحَتِه * حَيّاني بِمُسَبِّحَتِه * مِن غيرِ أنْ نَغَم بِحَديثٍ * ولا اسْتَخْبَر عن قَديمٍ ولا حَديثٍ * ثُم أقبَلَ على أوْرادِه * وتَرَكَني أعْجَبُ مِن اجْتِهادِه * وأغْبِطُ مَن يَهْدِي اللهُ مِن عِبادِه * ولم يَزَل في قُنُوتٍ وخُشُوعٍ * وسُجُودٍ ورُكُوعٍ * وإخْباتٍ وخُضُوعٍ * إلى أنْ أكْمَلَ إقامةَ الخَمْس * وصارَ اليومُ أمْس * فحِينَئذٍ انْكَفأ بي إلى بَيْتِه * وأسْهَمَني مِن قُرْصِه وزَيْتِه * ثم نَهَضَ إلى مُصَلّاه * وتَخَلّى بِمُناجاةِ مَوْلاه * حَتّى إذا التَمَعَ الفَجْرُ * وحَقَّ للمُتَهَجِّدِ الأجْرُ * عَقَّبَ تَهَجُّدَه بالتَّسْبِيح * ثُم اضْطَجَعَ ضَجْعَةَ المُسْتَرِيح * وجَعَلَ يُرَجِّعُ بِصَوْتٍ نَصِيحٍ

* نظم *

خَلِّ ادِّكارَ الأرْبُعِ * والمَعْهَدِ المُرْتَبَعِ
والظّاعِنِ المُوَدِّعِ * وعَدِّ عنه ودَعِ
واندُبْ زَماناً سَلَفا * سَوَّدْتَ فيه الصُّحُفا
ولم تَزَلْ مُعْتَكِفا * على القَبِيحِ الشَّنِعِ
كم لَيْلَةٍ أوْدَعْتَها * مَآثِماً أبْدَعْتَها
لِشَهْوَةٍ أطَعْتَها * في مَرْقَدٍ ومَضْجَعِ
وكم خُطىً حَثَثْتَها * في خِزْيَةٍ أحْدَثْتَها

وتوبةٍ نكثتها * لملعبٍ ومرتعِ

وكم تجرّأتَ على * ربّ السموات العلى

ولم تراقبه ولا * صدقتَ فيما تدّعي

وكم غمطتَ برّه * وكم أمنتَ مكره

وكم نبذتَ أمره * نبذَ الحذا المرقّعِ

وكم ركضتَ في اللعب * وفهتَ عمدًا بالكذب

ولم تراعِ ما يجب * من عهده المتّبعِ

فالبس شعار الندمِ * واسكب شآبيب الدمِ

قبل زوال القدمِ * وقبل سوء المصرعِ

واخضع خضوع المعترف * ولذ ملاذ المقترف

واعص هواك وانحرف * عنه انحراف المقلعِ

إلامَ تسهو وتني * ومعظم العمر فني

فيما يضرّ المقتني * ولستَ بالمرتدعِ

أما ترى الشيب وخط * وخطّ في الراس خطط

ومن يلح وخط الشمط * بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي * على ارتياد المخلصِ

وَطَاوِعِي وَأَخْلِصِي * وَاسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي

وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى * مِنَ القُرُونِ وَانْقَضَى

وَاخْشَيْ مُفَاجَاةَ القَضَا * وَحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي

وَانْتَهِجِي سُبُلَ الهُدَى * وَادَّكِرِي وَشْكَ الرَّدَى

فَإِنَّ مَثْوَاكِ غَدَا * فِي قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ

آهًا لَهُ بَيْتِ البِلَى * وَالمَنْزِلِ القَفْرِ الخَلَا

وَمَوْرِدِ السَّفْرِ الأُوَلَى * وَاللَّاحِقِ المُتَّبَعِ

بَيْتٌ يُرَى مَنْ أُودِعَهْ * قَدْ ضَمَّهُ وَاسْتَوْدَعَهْ

بَعْدَ الفَضَاءِ وَالسَّعَهْ * قِيدُ ثَلَاثِ أَذْرُعِ

لَا فَرْقَ أَنْ يَحُلَّهُ * دَاهِيَةٌ أَوْ أَبْلَهُ

أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ * مُلْكٌ كَمُلْكِ تُبَّعِ

وَبَعْدَهُ العَرْضُ الَّذِي * يَحْوِي الحَيِيَّ وَالبَذِيّ

وَالمُبْتَدِي وَالمُحْتَذِي * وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِي

فَيَا مَفَازَ المُتَّقِي * وَرِبْحَ عَبْدٍ قَدْ وُقِي

سُوءَ الحِسَابِ المُوبِقِ * وَهَوْلَ يَوْمِ الفَزَعِ

وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى * وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى

وَشَبَّ نِيرَانَ الوَغَى * لِمَطْعَمٍ أَوْ مَطْمَعِ

يَا مَنْ عَلَيْهِ المُتَّكَلْ * قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلْ

لِمَا اجْتَرَحْتُ مِنْ زَلَلْ * فِي عُمْرِيَ المُضَيَّعِ

فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمْ * وَارْحَمْ بُكَاهُ المُنْسَجِمْ

فَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَحِمْ * وَخَيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي

قَالَ فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا بِصَوْتٍ رَقِيقٍ * وَيَصِلُهَا بِزَفِيرٍ وَشَهِيقٍ حَتَّى بَكَيْتُ لِبُكَاءِ عَيْنَيْهِ * كَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَبْكِي عَلَيْهِ * ثُمَّ بَرَزَ إِلَى مَسْجِدِهِ * بِوُضُوءِ تَهَجُّدِهِ * فَانْطَلَقْتُ رِدْفَهُ * وَصَلَّيْتُ مَعَ مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ * وَلَمَّا انْفَضَّ مَنْ حَضَرَ * وَتَفَرَّقُوا شَغَرَ بَغَرَ * أَخَذَ يُهَيْنِمُ بِدَرْسِهِ * وَيَسْبِكُ يَوْمَهُ فِي قَالَبِ أَمْسِهِ * وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ يُرِنُّ إِرْنَانَ الرَّقُوبِ * وَيَبْكِي وَلَا بُكَاءَ يَعْقُوبَ * حَتَّى اسْتَبَنْتُ أَنَّهُ قَدْ لَحِقَ بِالأَفْرَادِ * وَأُشْرِبَ قَلْبُهُ هَوَى الانْفِرَادِ * فَأَخْطَرْتُ بِقَلْبِي عَزْمَةَ الارْتِحَالِ * وَتَخْلِيَتَهُ وَالتَّخَلِّيَ بِتِلْكَ الحَالِ * فَكَأَنَّهُ تَفَرَّسَ مَا نَوَيْتُ * أَوْ كُوشِفَ بِمَا أَخْفَيْتُ * فَزَفَرَ زَفْرَةَ الأَوَّاهِ * ثُمَّ قَرَأَ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ * فَاسْتَجَلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ بِصِدْقِ المُحَدِّثِينَ * وَأَيْقَنْتُ أَنَّ فِي الأُمَّةِ مُحَدَّثِينَ * ثُمَّ دَنَوْتُ إِلَيْهِ كَمَا يَدْنُو المُصَافِحُ * قُلْتُ أَوْصِنِي أَيُّهَا العَبْدُ الصَّالِحُ * فَقَالَ اجْعَلِ المَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ * وَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ * فَوَدَّعْتُهُ وَعَبَرَاتِي

يتحدرن من المآقي * وزفراتي يتصعدن من التراقي * وكانت هذه خاتمة التلاقي * قال القاسم بن علي * هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغترار * وامليتها بلسان الاضطرار * وقد الجئت الى ان ارصدتها للاستغـراض * ونادیت علیها في سوق الاعتراض * هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع * ومما يستوجب ان يباع ولا يبتاع * ولو غشيني نور التوفيق * ونظرت لنفسي نظر الشفيق * لسترت عواري الذي لم يزل مستورا * ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا * وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل اللغو * واضاليل اللهو * واسترشده الى ما يعصم من السهو * ويحظي بالعفو * انه هو اهل التقوى واهل المغفره * وولي الخيرات في الدنيا والآخره * قد تمت مقامات الحريري *

بعون الله الغني * ويتلوها

حل لغاتها * وكشف

معضلاتها

* *
*

Allama Iqbal Library
47238

MOONIS BOOK DEPOT
Sotha Street, Badaun. U. P. (India).

J. & K. UNIVERSITY LIB.
Acc. No. 47238
Date 5-11-63